الحياة الروحيّة ١

الأب أنطوان يوحنا لطّوف

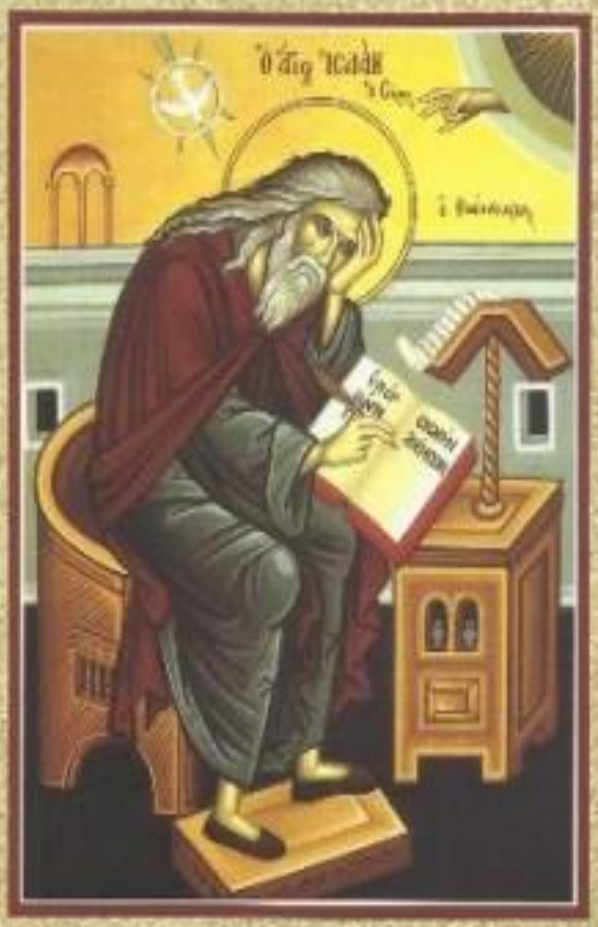

المسيرة الروحيّة

للقديس إسحق السريانيّ

الأب أنطوان يوحنا لطّوف

المسيرة الروحيّة

للقديس إسحق السريانيّ

مُختارات من كتاب " نسكيّات"

مع شُروحات وحَواشٍ

2016

مقدّمـــــة

1- من أشهر كنُوز الأدب النسكيّ في جميع العُصور كتاب " نسكيّات" للقدّيس إسحق السّرياني؛ ذاعَ صيتُ هذا المؤلَّف، كما ذاعَ صيتُ كاتبه، شرقاً و غرباً، فور فَراغ المؤلِّف من تأليفه، فتُرجم خلال فترة وجيزة جداً من السِّريانيّة إلى اليونانيّة، وفي ما بعد إلى العربيّة، ولغات أُخرى، و قامَ عددٌ من الباحثين بالتّدقيق في نُصوصه و مخطوطاته المختلفة المتوفّرة في مكتبات العالم. و أَكبَّ عليه الرّهبان و المتوحّدون، بعد ذلك، ولقُرونٍ، حتى يومنا، يَنهَلون منه تأمُّلاً وقراءةً، فكان لهم خير مُعلّم و مُعين في حُروبهم الرّوحيّة وجهادهم لأجل تَقديس نُفوسهم و مُحاربة أهوائهم و اكتسابهم الفضائل، سالكين سبيل المتُوحِّدين الذي قوامه ثلاث مَراحل : (1) التطهُّر، أي العَمَل والجهاد لأجل اكتساب الفضائل، (2) لتأتي بعد ذلك مرحلة التألّه أو (الثاوريا)، حيثُ يتعلّم المُجاهد الحقائق الإلهيّة بطريقة غير حسيّة، وغير منظورة، و بالأخصّ، وفي لحظات خاطفة، سريّة، ينال نِعمة مُعاينة النّور الإلهّي غير المخلوق، على نحوٍ يُعجِزُ وصفُه أو تَبيان ماهيّته، كما يُعجز بالأكثر تَبيان كيفيّة حُصول تلك المُعاينة.

2- وُلد القدّيس إسحق في منطقة قطر في الخليج الفارسي و ترهّب وهو شاب، و ما لبث أن اعتنق سيرة النّساك المُتوحّدين في أديار قَطَر المُزدهرة آنذاك. بَعدها صار أُسقفًا على نينوى، لكنّه سرعان ما وَجَدَ نَفسه مُشتّتاً بمسؤوليات كثيرة، فترك مَنصبه وعاد إلى البريّة ليقضي فيها بقيّة حياته عائشاً في النّسك الشّديد. و ذاعَ صيتُ هذا القدّيس العظيم في النّصف الأوّل من القرن السادس، وهو سَلِيلُ تُراثٍ رهبانيّ شرقيّ عميق الجُذور، يعود إلى قُرون سابقة عديدة. و إنّ خِبرة هذا التُّراث بمُجمله هي التي أنتَجت الإطار الذي ترعرع فيه هذا النّاسك القدّيس ، فكانت كتاباتُه من قِمَم الأدب النسكيّ المُستنير بالمُعاينة الإلهيّة و أنوار الرّوح القُدس و إلهاماته.

3- في كتاب نسكيّات يرسم القديس إسحق للرُّهبان و المُتوحّدين طريق السّيرة الرُّهبانية الملائكيّة و يُبيّن لهم أُصولَها. وهي تَحديداً تَركُ العالمَ، و الصَّمت، والذِّكر الدّائم لله. كما يُبيّن كيفيّة عَمَل الأهواء في مُهاجمتها للنَّفس، وكيفية التَّعامُل مع تلك الأهواء، وأساليب أفكار الشياطين وخداعها و كيفيّة ردّ هجماتها، وطرائق تَنقية القلب، والتّعامُل مع المَخاوف المُتعلّقة بالجسد، وهَجَمات الرَّغبات الجسديّة، وطريقة التَّعامُل مع ذكريات الخطيئة،

و كيفيّة التَّعامُل مع الإخوة (الرهبان)، و طريقة تَعامُل الرَّاهب مع العالَم وتَجاربه، و حُدود اختلاط المُجاهد بالرّهبان و بأهل العالم، و حُدود وكيفيّة عَمَل الخير (الماديّ) تُجاه الآخرين، و شُروط قِيام الرَّاهب بتَعليم الآخرين، و كيفيّة عَمَل المُجاهد لاكتساب المواهب والفضائل، و شفاء أهوائه بقوّة الروح القدس، و أهميّة يَقظة ذِهنه لكي يُحافظ على ما اكتَسَبه من فضائل، إلى سائر ما هنالك من أساليب الجهاد و الحُرب الروحيّة الآيلة إلى تَقديس المُجاهد و خلاص نفسه، و تَقديس الكنيسة و الكَون من خلال جِهاده و صَلاته.

و في كلّ ذلك، يرجو المُجاهد الربّ و يتَّكِل عليه لاقتناء الفضائل، كما قالت صلواتُنا: " إن لَم يَبنِ الربّ بيت الفَضائل فعَبثاً نَتعب. و إن هو حَرَسَ نُفوسَنا، فلا أحد يَنهب مدينَتنا، "1 أي بيتَنا الدّاخليّ.

4- لَكنّ هذا الكتاب الثَّمين جداً لم يَجد له ما يَكفي من القُرّاء لسبَبَين اثنَين: أولاً، لأنّه يَتوجّه بشكل خاصّ إلى الرّهبان المُتوحّدين، و هُم من أيام القدّيس إسحق نفسه " نادرون جداً ولا يكادون يوجَدون" 2. و ثانياً، لأنّ لُغة هذا المؤلَّف هي لغةٌ مُتَخصّصة من حَيثُ مُفرداتها و مُصطلحاتها و طرائق تَعبيرها. فكما أنّ لُغة الطبّ، أو الهندسة، مثلاً، عَصِيَّةٌ على غير أهلها، فكذلك لُغة هذا المؤلَّف لا تَنقاد بسهولة للقارئ العاديّ، اللهمّ إلاَّ في بعض مَواضعها و أجزائها. وفي ما يلي نُوضح مَعاني بعض العبارات المُستعمَلة في الأدب النّسكي و أبعادَها، ذاكرين بخاصةٍ، أنّ مَنشأ تلك التَّعابير، بمعانيها النّسكيّة، هو ذلك التُّراث الرّهباني الضّاربةُ جُذورُه عميقاً في التَّاريخ.

5- في هذا الأدب، الرّاهب هو مَن اعتزلَ العالمَ لأجل الملكوت، و الصَّمت هو الإطار الطبيعيّ للراهب، في فَيئِة يَعيش أبداً، و في ظِلاله يُصلّي؛ و الصّمت يعني عَدم تلقّي ما يُشوّش الذّهن، لأجل الإصغاء إلى الله، و التأمُّل و الصّلاة. فالصَّمت هو أولاً حالةٌ داخليّة دائمة، و الصمتُ الخارجيّ قد لا يعني حيالها شيئاً، و إن كان في الغالب مُساعداً لها.

---

1. الزمن الخمسيني، أحد المُخلَّع، أناشيد المَراقي، القسم الثاني.
2. المقالة الثَّالثة والسبعون ، الفقرة 23

و الصّحراء (أو البرية) هي الاعتزال عن العالم و هُمومه و شُؤونه، و عن كلّ ارتباطٍ به و تَعلُّق فيه، و التَّفرُّغ للصّلاة الدّائمة. فالرَّاهب يَحملُ صَحراءه في داخِله. أما العُزلةُ الخارجيّة (و أحياناً هي صحراء بالمعنى الحقيقيّ) فهي تُشكِّلُ الإطارَ الخارجيّ ، الماديّ، الذي يُتيح للراهب عَيش الصحراء، أي العُزلة و مُمارسة النّسك القلبيّ 3، لهذا ، الراهبُ غريبٌ، أي مُتغرّبٌ عن ذاته، عملاً بوصيّة الربّ: " فليُنكر نَفسَه"، و مُتغرِّب عن العالم.4 و غُربُته طَوعيّة، كما ورد في الكتاب:" هَرَبت المرأةُ (النَّفس المُجاهِدة) إلى الصَّحراء حيثُ أُعِدَّ لها مكانٌ تَقتات فيه) (رؤيا 12 : 6). فالترهّب هو تَغرّبٌ عن العالم، وقد قال القدّيس يوحنّا السلَّمي:" يا مَن تغرّبَ عن العالم، لا تَعُد تدنو إليه." 5 فالرَّاهب يَتغرّبُ في الصحراء ليُجاهدَ " الجهاد الحسَن"6 ويَغتذي من محبّة المسيح و يَعتنق السيرة الملائكيَّة و يَقتات بقُوت الملائكة، أي الإلهامات الإلهيّة و أسرار الله.7

و العَمَل هو العَمَل النّسكيّ. إنه نَشاط الرّاهب و جِهادهُ لمُحاربة الأهواء و اكتساب الفضائل بجميع الوسائل المُتاحة، التي بها يتلقّى الهامات الله و إعلاناته، و بها يَتعلّم سريّاً أسرارَ الروح، و يبلُغ _ أحياناً _ حالة " الثاوريا" ، أي الاتحاد بالله بالروح.

و الصّلاة هي الصّلاة الدائمة، صلاة القلب:" ربّي يسوع المسيح ابن الله الحيّ، ارحمني أنا الخاطئ" ، يُردّدُها الرّاهب بلا انقطاع، ليلّ نَهار، حتى في أثناء النّوم. هذه الصّلاة تَكونُ نَقيّةٌ حين لا يَشُوبُها تَشتُّت. و الهّذيذ هو الذِّكر القلبيّ الدَّائم، ليلَ نهار لاسم الربّ، والمملوء بالدُّعاء الحارّ والمحبّة والشُكر؛ و العالَم هو جَميع التّجارب الخارجيّة التي تُهاجِم الرّاهب، و النَّاشئة عن العالَم: أي حُبّ الظُّهور، وحُبّ المُقتَنيات، وتَشَتُّتت الحواسّ، و الاهتمامات الدُّنيويّة... والجسَد هو كلّ ما يَنشأ عن الجَسد من رَغبات؛ والتّمييز هو تَمييزُ الأفكار والأحاسيس التي تُراوِد الراهب، ومصدَرِها و صلاحِها أو عَدم مُلاءمتها، و تَمييز مَشيئة الله في جميع الأمور؛

---

3. أنظر : مزمور 54 : 8؛ رؤيا 12 : 14
4. لوقا 9 : 23 ؛ المقالة السادسة و الخمسون، الفقرة5
5. القدّيس يوحنّا السلّمي، السَّلم إلى الله ، 3 : 7
6. 2 تيموطاوس 4 : 7
7. أنظر المقالة 56 ، الفقرة 3.

و التَّمييز موهبة يُعطيها الله لأنقياء القلب و المتواضعين؛ والخَوف (الجُبن) هو تارةً الخوف و الاحتراز من الكَسَل والخطيئة و التّقصير في الجهاد و خسارة الفضائل، و طوراً هو الخوف على الجسد من الأذى و الألم و المرض. لأنّ الراهب، متى بَلَغَ مَرحلة اللاهوى، لا يَخاف على جَسده، فهذا الخوف هو دليل ضعف إيمان بعناية الله، و ضعف إيمان بالحياة الخالِدة.

و الشَّوق هو الشَّوق إلى أسرار الله و مُكاشفاته. فالرَّاهب هو في شوقٍ دائم لأن يَكشفَ له الله الأسرار المَكنونة في الكتُب المقدَّسة: " اكشف عن عينيَّ فأُبصرَ مُعجزاتٍ من شريعتك" 8. هذه المُكاشفات هي تَعزيةُ الراهب و مُتعتُه الروحيّة الفُضلى. أما المُتقدِّمون في الحياة الروحيّة فقد يُعلِّمُهم الله مُباشَرةً، بطُرق سريّة، بحسب قَول الربّ: " أحمدُكَ يا أبتِ، رب السَّماوات و الأرض، على أنك أخفيتَ هذه الأشياء على الحُكماء و الأذكياء، و كشفتَها للصِّغار. نعم يا أبتِ، هذا ما كان رضاك. قد سلَّمَني أبي كلَّ شيء، فما مِن أحدٍ يَعرفُ الابنَ إلاّ الآب، ولا من أحد يعرفُ الآب إلاّ الابن و من شاء الابنُ أن يكشَفهُ له" 9.

و ما شوقُ الراهب إلى مُكاشفات الله إلاّ اشتياقٌ إلى لحالة التي سوف نكون عليها جميعاً في السماء. " النبوَّاتُ ستبطل... و المَعرفة تبطُل، لأن معرفَتنا ناقصة و نبوَّاتنا ناقصة. فمتى جاء الكامل زال الناقص... نحن اليوم نرى رؤية ملتبسة، كما في مرآة، أما في ذلك اليوم فتكون رؤيتنا وجها لوجه، اليوم أعرف معرفة ناقصة، و أما في ذلك اليوم فسأعرف مثلما أنا معروف" . (أي سوف أبلُغ كمال المعرفة)10؛ وكما قال يوحنا الحبيب أيضاً:" ما كُشِفَ لنا بعد عمّا نصير إليه. نحن نعلَم أننا نصبح عند هذا الكشف أشباهه لأننا نَراه كما هو"11.واليَقَظَة (أو السهَر)، هي يقظة الذّهن و السهَر الدّائم لمُراقبة الأفكار و الأحاسيس الدَّاخلة إلى النّفس و الخارجة منها لأجل تمييزها، هل هي من الله أم لا. و غايةُ اليقظة دَفع الأهواء و التَّجارب و الأفكار في مَهدها، و عَدَم قَبولها من بدايتها، لئلا تَستشري و تَتحذَّر و تَتسلّط على النَّفس. و الهَجمات هي هَجمات الجسد وهَجمات الأهواء و التَّجارب، و هَجمات تجارب الشياطين12.

---

8. مزمور 119 : 18.
9. متى 11 : 25 –27
10. 1 كورنتس 13 : 8 –12

11. 1 يوحنّا : 3 : 2

و هجمات الخوف على الجسد من الأذى والموت. والأعداء هم شَهوات الجسد، والأهواء، والعالَم، والشَّياطين، و الحرب هي الحرب ضدّ هذه جميعها. وما يُساعد على اليقظة و مُحاربة الأهواء ذكرُ الموت. فالذِّكرُ الدَّائمُ للموت يُقرّب الراهب من الله و يجعلُه يزدَري بأباطيل العالَم، وتمقُتُ عُيونُه لذَّاته 13.

أما الرَّاحة فتتحقّق للراهب عندما ينتصر في حربة ضدّ تجربةٍ ما. لكن بما أنّ حياة الراهب هي حربٌ دائمة، فهذه الراحة هي وقتيّة، ولا تدوم طويلاً. أما الراحة الدائمة فينالُها الراهب عندما تَنتهي حُروبُه بانتقاله إلى جوار المسيح. و الحُريّة هي حُريّة النَّفس ، أي أن لا تكون مُكبّلةً بالأهواء و العادات والتّجارب، وأيضاً هي حُريّة النَّفس لأن تَرتَقي بالرّوح القُدس نحو الله بَعد تَقدُّمها في الفضيلة. والرّجاء هو تارةٌ يَقين المُجاهد بالحُصول على الخيرات الأبديّة في الدّهر الآتي، و طَوراً الثّقة ويَقين المُجاهد باستجابة الربّ لصلاته، والحُصول على مَعونته في الشَّدائد و التّجارب.

أما التّجارب فهي تَارةً المَشقّات الجَسدية و النّفسية التي يواجُهها المُجاهد، و الصّائرة بسبب ضعف الطّبيعة البشريّة، وطَوراً هي هَجَمات الأهواء و الأفكار التي تُجرّب الرّاهب و تُدخِلُه في الخوف أو التَّراخي أو تَشتيت الحواسّ، لتُوقِعَه في الخطيئة و تَسلبَه و تَستعبدَه. و الحُزن هو الحُزن لأجل التَّقصير في الجهاد، و الحُزن الطّبيعي الكائن في نَفس الرّاهب بسبب سُقوط الطَّبيعة البشريّة و خطيئة العالم، و الحُزن النَّاجم عن الضِّيقات التي يُرسلُها الله للمُجاهد لأجل تَعليمه أو اختباره، و الحُزن لأجل الاستسلام للأهواء و السُقوط في التجارب، ولأجل الخطيئة الذاتيّة و خطيئة الآخرين.14

و النَّوح هو البُكاء الدَّائم عند الراهب بسبب كسَله و تَوانيه و خطاياه، و شوقاً إلى الله، و تَوقَا إلى الفضيلة، و حُزناً على خطيئته و خطيئة العالم. " النَّوحُ ألمٌ يتأصَّل في نَفسٍ تائبة تَزيدُ على أوجاعها أوجاعاً، كالمرأة الحامل عند المخاض.15 "

---

12. 1 يوحنا 2 : 16

(13) المقالتان 33 و 43.

(14) 2 كورنتس 7 : 10

(15) القديس يوحنا السلّمي، السلّم إلى الله، 7 : 60.

أما الفَرَح فهو الفَرَح النّاجم عن معرفة الله 16 و مَعونته، و عن استجابة الله للصَّلاة، و كذلك تَذَكُّر وُعود الخيرات الآتية. إنّه فَرَح الرّجاء، و فَرَح مُعايَنة الرّاهب مَجدَ الله و نُورَهُ الإلهّي غير المَخلوق، و الفَرَح النَّاشئ أيضاً عن تَذكُّر تلك المُعاينة.

أما المُعاينة (الثاوريا)، فهي مُنيةُ المُجاهد و غايةُ جِهاده و مَصدر بَهجته القصوى، التي لا تُوصَف. وهي تَعني اتّحاد المُجاهد بالنِّعمة الإلهيّة غير المَخلوقة، حيثُ " ما لم تَرَه عينٌ ولا سَمِعت به أُذن" 17. هذه الخِبرة تُعطي المُجاهد يَقين الإيمان 18، وهي قِمّةُ تَعزياته في صَحرائه.

و الكَمال ليس حالةً يبلُغها الراهب، بل مَسيرةٌ يبذلُ فيها أقصى جهده، بمَعونة النِّعمة، لبلوغ الكمال، عاملاً بوصيّة الربّ: " كونوا كاملين كما أنّ أباكم السماويّ كاملٌ هو" 19. فالمجاهد، مَهما سَمَت قداستُه، لا يَبلغُ الكَمال في هذه الحياة، لأنّ الله حَفِظَ الكمال للدّهر الآتي.

6. لُغةُ كتاب " نسكيّات" مُتخصّصة على نحو كبير، لكنّها أيضاً لغةٌ مُكَثَّفة، حيثُ تَتداخلُ المَعاني، أحياناً، تَداخُلاً كبيراً، حتى ليصعُبُ تفسيرُ مَكنوناتها. و أحياناً يُحجِم الكاتب عن الإفصاح عن المعاني المكنونة، على سبيل البلاغة كأن يقول: " لا تَكُن حَكيماً" 20، و هذا نَافلٌ إن لم يَكُن المعنى المقصود: " لا تَكُن حَكيماً (في عَينَي نفسِك)" 21.

بالإضافة إلى ذلك، فالضَّمائر لا تُشير دائماً إلى الاسم الذي يَسبقُها في الجملة، بل قد يُشير الضّمير إلى أيّ اسم وَرَدَ في الجُملة، أو قد يُشير إلى اسمٍ وَرَدَ في الفَقَرة. و ليس ذلك عَيباً في لُغة المؤلّف، ولا في لُغة المُترجم، بل إنه أمرٌ مألوف في الأدب النّسكيّ، حيثُ أنّ هذه الميزة لا تُشكّل عائقاً للقارئ، إذا كان راهباً أو ناسكاً، يَحُول دون فَهمه لمعاني ما يقرأ، بل يَفهَمُ ما يقرأ بسهولة لاعتياده على مُفردات الأدب الرّهبانيّ و أسلوبه و تَعابيره.

---

(16) 1 يوحنّا 1 : 1 -4

(17) 1 كورنتس 2 : 9

(18) عبرانيين 11 : 1

(19) متى 5 : 48 ؛ 2 كورنتس 9 : 13 و 11.

(20) المقالة السادسة والخمسون، فقرة 16.

(21) أمثال 3 : 7؛ 26 :12

و بالرُّغم من وُجوده عناوين عامّة للمقالات في كتاب " نسكيّات"، إلاَّ أنّه ، في جميع المقالات تَقريباً، يَتطرّق القدّيس إسحق إلى مَواضيع شتّى في المقالة الواحدة، من دون أن يكون هناك تَسلسُل أو رابط بين الموضوعات. فقد يَتكلّم على الأهواء، ثم على التّواضع، ثم على مُطالعة الكتاب المُقدّس، و هكذا، ولعلّ هذا هو من طَرائق التّعبير في ذلك العَصر.

7. هُناك ، إذن، أربعُ عَقبات تَحُول دُون أن تَكون مَعاني كتاب " نسكيّات" في مُتناول القارئ العَاديّ: اختصاصيّة لُغته و كثافتُها و صُعوبة تَركيبها، و عَدَم وُجود عَناوين فَرعيّة في المقالات، بالرُّغم من تَناوُل المؤلِّف لموضوعاتٍ شتّى في المقالة الواحدة؛ والعقَبةُ الرابعة، و الأهمّ، هي أنّ أجزاء كبيرة من هذا العَمَل تختصُّ بالرّهبان المتوحّدين دون سواهم. فالعيش في " الصحراء" و الصَّمت الدَّائم، و التجرُّد من المُقتنيات، و هَجر العالَم، و عَدَم الاختلاط بالنّاس إلاّ نادراً، و اللّباس الحقير، و الأصوام الدّائمة و الاسهار الطّويلة في الصّلاة، و غيرها، لا تَنطبق كثيراً حتى على الإكليريكيين، فما بالُك بالمؤمنين العاديِّين؟

8. بالرُّغم من جميع هذه الصُّعوبات، فقد آثرنا أن نُقَدِّم للمؤمنين قُرّاء اللُّغة العربيّة أجزاء مُنتقاة من كتاب " نسكيات" نظراً لقيمته الفائقة وَعَظَمَة مَكانته، إذا ما قورن بكثير من الكتابات النّسكية والروحيّة الأخرى. لا بل إنّ كثيرين جداً من الآباء اعتبروا كتاب" نسكيات" ، إلى جانب كتاب " سلّم الفضائل" للقديس يوحنّا السلّمي، من أعظم ما كُتب على الاطلاق، في هذا المجال. لذلك، ولكي نَتخطّى العَقَبات الآنف ذكرُها:

(1) عَمَدنا إلى اختيار فَقَرات مُتنوّعة من كِتاب " نسكيات" ، و اعطَينا لكلّ فقرة عُنواناً يُناسبُها. ولم نَحصُر اختيارَ الفَقَرات بتلك التي تُناسب المؤمنين العاديّين و حسب، لأنّ ذلك يَنتقص من هُويّة الكتاب و الغاية من تأليفه. لأنّه سيكون من الغريب جداً أن نَستلّ من الكتاب ما يُوافق العلمانيّين و نَترك جانباً ما هو موجّه إلى الرّهبان. لأنه بهذا تَندثر هُويّة الكتاب. لذلك، فإلى جانب الفَقَرات التي تهمّ المؤمنين العاديّين، احتفظنا بالفقرات الأساسيّة التي تهمّ الرّهبان المُجاهدين، حفاظاً على روحيّة الكتاب و هويّته. و لهذا الأمر فائدة جزيلة أُخرى: فهذا يُوضِح لنا كيف عاش آباؤنا القدّيسون، وأيّ جهادٍ مرير جاهدوا ، علّنا نَتمثَّلُ بهم ولو قليلاً، ونَقتدي بفضائلهم، ونَلتمس شَفاعتَهم، و نَخجَل من أنفُسنا و نُدرك فَقرنا الروحيّ المُدقع إذا ما قارنّا حياتَنا بحياتهم و خطايانا بفضائلهم.

(2) لأجل تخطّي مُعضلة كثافة اللُغّة و تَداخُل مَعانيها و صُعوبة تَراكيبها في كثير من المواضع، عَمَدنا إلى تبسيط اللُّغة على نحو كبير. فهُناك جُملٌ وفقراتٌ كثيرة أُعيدت صِياغتُها لتؤدّي المعنى عينَه، لكن بتركيب لُغويّ أكثر دقّةً و سلامةً، و أكثر وُضوحاً. وهناك جُملٌ وفقرات أُعيد تَرتيبُها وَ تموضُعُها، أو نُقِلت إلى مَواضع في فَقرات أُخرى، لأجل بُلوغ تسلسُلٍ في الأفكار، من دون إحداث أيّ تَغيير في المَعاني.

(3) لأجل تخطّي صُعوبة اختصاصيّة لغة المؤلّف، عَمَدنا إلى شرح الكلمات و التّعابير المُتخصّصة لكي تتّضح مَعانيها للقارئ العاديّ. وقد أخذنا في شَرحنا، بعين الاعتبار، المعنى النسكيّ للتعبير المُستعمل، و الذي عَمَدنا إلى إيضاحه بما يتّفق مع سياق الفقرة أو النصّ المُستعملة فيه تلك العبارة، و قد وَضعنا الشَّرح الذي يُوضح مَعاني العبارات من دون أن يُغيرّ مَعانيها بين هلالَين ()، أما ما وُضع بين مزدوجَين [] فهو تعليقٌ من عندنا يُقدّم إيضاحاً أو شرحاً إضافيّاً، قد لا يكون شَرحاً للّتعابير و المعاني بقدر ما هو إضافةٌ مُفيدة عليها، تُسهِم في إيضاح مَعناها. و قد أَضفنا حواشي كثيرة تَشرح التَّعابير الصَّعبة الفهم و غير الواضحة للقارئ العاديّ، مع إدراكنا التّامّ أنّ شرح المَعاني، أحياناً، يَحصُر المعنى و يُقيِّدُه بتفسير واحد، بينما قد تَكون العبارة المُفسَّرة مَفتوحةً على تَفاسيرَ و معاني أُخرى. لكنّ تَحقيقَ فَهمٍ أكبر للنصّ قد يُبرّر، في الغالب، حَصرَ المَعاني المُحتَملة بمعنى واحد. فالوضوح، في معظم الأحيان، هو أفضلُ بلا قياس من الغُموض، خاصَّةً متى تَعذَّر إيضاحُ جميع المَعاني.

(4) تبقى المُعضلة الأخيرة، (وهي عَقَبةٌ كبيرةٌ تَحُولُ دون فَهم المعنى)، أعني مُعضلة الضَّمير المُنفصل و الضمير المُتَّصل، اللّذان لا يُشيران إلى الاسم الذي يَسبقُهُما مُباشرة. و قد عالجنا هذه المُعضلة بأن تَفَحَّصنا تلك الضّمائر في سياقها، واستبدلنا بالضّمير الاسم عينَه أو أبقينا الضّمير كما هو في النصّ وأوضحنا الاسم العائد له بين هلالَين. و هكذا، بَعدَ العَمَل على تخطّي جميع العَقَبات الآنفة الذّكر، أمكنَنا أن نُقدِّمَ للقارئ المُعاصر مُختاراتٍ شيّقة من هذا الكتاب الثّمين جداً بلُغةٍ مُبسّطة و على قدرٍ اكبر من الوضوح. ولا فَضل لنا في إنجاز هذا العَمَل، ولا نَدّعي إطلاقاً أننا نُقدّم عملاً يَتفوّقُ لُغةً و أسلوباً على ما كتبه قدّيسُنا العظيم. كلّ ما عملناه هو أننا أخذنا بعض ما كَتَبه هو بلغةِ عصره، لأجل جُمهور قُرّائه، و بَلورناه و أَعدنا صِياغتَه بلُغة عصرنا، و بحسب ما يُوافق جُمهور قُرّائنا، مع الفارق الهائل بين الاثنين. ولا نَنسى أنّ أكثر من أربعة عشر قرناً و نصف القرن تَفصلُنا عن عَصر ذلك القدّيس العظيم. ولا نَدّعي، أيضاً، أننا نُقدّمُ عَمَلاً يَفوقُ في نوعيّته ما قام به المُترجم، المُتوحِّد الأب إسحق عطاالله، الذي بّذَلَ جُهداً

جبّاراً استغرق سنوات لأجل ترجمة هذا العمل. و قد تَرجَمَ المعاني كما هي في الأصل، بأمانة قُصوى، من دون أن يَعمَلَ على إيضاح المعاني و شرحها و تفسيرها، آخذاً بعين الاعتبار أنّ الإنجاز الذي سوف يُحقّقه (ترجمة " نسكيّات" التي بين أيدينا) تَتوجّه بخاصةٍ إلى الرّهبان، الذين لن يصعُبَ عليهم فَهمُ مَعاني هذا العَمَل. أما نحن فلا فَضلَ لنا، لأنّنا انتقَينا بضعَ فَقَرات من ذلك العَمَل الجبّار وأعَدنا صياغَتَها وأوضحنا غوامضَها على النّحو الذي بَيَّنَّا.

و إنّ الفَقَرات و المَقَاطع التي بين أيدينا تَتوجّه إلينا جميعاً، إكليرُساً ورهباناً وعلمانيّين. مع تأكيدنا أنّ هذا الكتاب لم يوضَع للمُطالعة الروحيّة العاديّة، بل يجب أن يُقرأ بتمعُّن و انتباه، في الهدوء المُصلّي وخُشوع القلب، تَكراراً، والتعمُّق في مَعانيه المُلهَمة من الله، و مُحاولة اكتساب الفضائل التي يَحثُّنا هذا الكتاب على اقتنائها.

نّذكُرُ هنا دَعوةَ الربّ لتلاميذه إلى القَفر: " تعالوا إلى مكانٍ قفر تعتزلون فيه، و استريحوا قليلاً، لأنّ القادمين والذاهبين كانوا كثيرين"22. وعبارة " استريحوا "قليلاً" تَعني أنَّ القَفزَ لا يُوفِّرُ للراهب سوى " القليل من الراحة"، التي ينالُها بملئها في الأخدار العلويَّة تكليلاً لجهاده، و أنه مهما طالَ مكوثُه في البريَّة، يبقى الزمنُ "قليلاً"؛ أما عبارة "لأنَّ القادمين و الذاهبين كانوا كثيرين" فتَعني الأفكار الكثيرة، غير المُرتَّبة، الداخلة إلى الذّهن والخارجة منه، والتي لا علاج لها إلاّ بالاختلاء والصلاة في عزلة القَفر.

هذه الدَّعوة التي دعا بها يسوع تلاميذه موجَّهةٌ إلى جميعنا. فنحن أيضاً بحاجة دائمة إلى الاختلاء للصلاة في مكان قفر نَعتزل فيه. ولعلّنا واجدون في مَضمون الكتاب الذي بين أيدينا دليلاً حيّاً يقودُنا من خلاله القديس إسحق في مَسالك الحياة الروحيّة، لنتقدَّم فيها شيئاً فشيئاً.

رجاؤنا أن يُسهم هذا العمَل الذي أنجزناه في إلقاء بعض الأنوار على الكتاب الأساسيّ، أعني كتاب " نسكيّات" وإيضاح مَعانيه، فتُصبحُ قراءتُه أكثر سُهولةً لمُحبّي الأدب النسكيّ، إكليرساً وعلمانيّين. مع تأكيدنا أنّ عمَلنا هذا لا يُغني عن مُطالعة كتاب " نسكيّات"، لأنّه يحوي مُجمَل اللاهوت النسكيّ للقديس إسحق و قد أثبتنا في آخِر كتابِنا هذا فَهرساً مُسهَباً بأهمّ المُوضوعات الواردة فيه، تَسهيلاً لدِراسة كلّ مَوضوع منها على حِدَة، و التعمُّق فيه.

---

(22) مرقس 6: 31.

و إنّنا نَبتهل إلى الربّ يسوع المسيح مخلّصنا، أن نجد في هذا الكتاب رجاءً لقُلوبنا و إنعاشاً لأرواحِنا و فائدةً لحياتنا، نحنُ أبناء القرن الحادي و العشرين الذي تَسودُهُ محبّة المادّةَ والمُتعة و المَظَاهر و اللامُبالاة القُّصوى. فليرحمنا الله نحنُ العائشين في الكَسَل والتّواني، و الغارقين في شتّى أنواع الخطايا، وليُعطنا توبةً صَادقة بشفاعة والدة الإله وقدّيسه إسحق السّرياني العظيم وجميع قدّيسيه. آمين.

= المَقالة الأُولى=

1. <u>في بَدء الفضيلة:</u> بدءُ الفَضيلة مخافةُ الله. (قبل الشُّروع في العَمل النسكيّ لاكتساب الفضيلة، يجب أن تَكون مَخافة الله في قَلب الراهب.) وتَتولّدُ المَخافة من الإيمان؛ و تُزرَعُ (مخافة الله) في القَلب عندما يَنقطع الذّهن عن التشتّت بالعالم، و يَضبط أفكاره الشّاردة ويُثبّتُها في التأمّل بالتَّجديد المُستقبليّ (للعالَم) 23. ولكي يَضعَ الإنسانُ أساساً للفَضيلة، ليس له أفضل من الابتعاد عن هُموم الحياة24والبقاء في ناموس النُّور، أي في السُّبُل المُستقيمة المقدّسة،25 كما سمّاها المُرنّم و أشار إليها بالرّوح26.

---

23 الإيمان يولِّد مَخافة الله، التي تُزرَع في القلب بالانقطاع عن العالم، و ضَبط الأفكار و التأمل في الله؛ التجديد المُستقبَليّ (للعالم): أي مجيء المسيح ثانيةً في المجد و تَجديده للخليقة، بحسب وَعده:" ها إني أجعلُ كلَّ شيء جَديداً" (رؤيا 21 : 5). فالتركيز على الخيرات الآتية والخلاص النهائيّ للعالم، يُبعد الذّهن عن التشتّت بالأمور العالميّة.

24 الابتعاد عن هُموم الحياة هو عَمَلٌ إراديّ يُقرّره المُجاهد و يَتمرّن عليه تَدريجاً، بحسب وصيّة الربّ: " مرتا ، مرتا. أنتِ مُهتمّةٌ ومُضطربةٌ في أمور كثيرة، أما الحاجةُ فهي إلى واحد"، هو الجلوس عند قَدمَي الربّ و الإصغاء إلى كلامه بشوق. هذا هو النَّصيب الأفضل الذي لا ينتزعُه أحد من الراهب" (لوقا10 : 41 – 42).

25 تكون مَسيرة اكتساب الفضائل، التي يصفها القديس إسحق، كالتالي: الإيمان، مخافة الله، ضبط الذّهن وعدم التشتّت، التجرّد عن حبّ المقتنيات، التأمل في الإلهيّات، اكتساب الفضيلة. فكما يقول المرنم: " رأس الحكمة مخافة الله" (أمثال 9 : 10 ؛ 1 : 7)، كذلك يقول القديس إسحق إنّ رأس اكتساب الفضيلة مخافة الله.

26 السُّبُل المستقيمة: أي الوصايا الإنجيليّة: "كلمتُك مصباح لخُطاي و نور لسبيلي" (مزمور 118 : 105). أنظر أيضاً المزمور 18 : 8 –12 والمزمور111.

2. **<u>في بدء طريق الحياة:</u>** بدءُ طريق الحياة تأمُّل الذّهن بصورة دائمة في أقوال الله 27، و العَيش في الفَقر. الارتشافُ من الأقوال الإلهيّة يُساهم في إكمال الفَقر (وعدم تعلّق القلب بالماديّات)؛ و اللاقنية 28 تُتيح فُرصة للتأمّل في أقوال الله.

التأمل والفقر يُساعدان في (الابتعاد عن أمور العالم و تأثيراه و شهواته)، وفي ارتفاع بُنيان الفضائل بسرعة. فلا يمكن الاقتراب من الله من دون الابتعاد عن العالم. ولا أعني الابتعاد الجسديّ، بل الابتعاد (القَلبيّ) عن أُمور العالَم.

3. **<u>في العَالَم و تَجارب الحواس و الخَيال</u>**: تَكمُن الفَضيلة في إفراغ الذّهن من (تأثير الحواس، الذي من) العالم. ["أما مَن لا يزال مُتمسِّكاً بالعالم فيتآمر على نفسه"]29 مادام فِعل الحواسّ سارياً (في الذِّهن)، حتى في أقلّ الأمور العالميَّة، لا يَنالُ القلب الهدوء، ولا يَنعتق من (التشتّت و شُرود) الخيال (وفَساده). لذلك لا تُقمَع لأهواء الجسديّة ولا تُبادُ الأفكار السيّئة من دون الصّحراء.30 [الاختلاء في القَفر يَقطع الذهن عن تشتّت الحواس، فيَقوى في النَّفس الإيمان والمحبَّة لله]. [لا شفاء لضعف الحواس سوى بمحبّة الله] عندما تُصبح النّفس سَكرى بالإيمان بالله (و محبَّته)، بفعل قوّة حسّها (الروحيّ)، تَشفي الضّعف الذي في الحواسّ، و تطأ (تجارب) المادّة المَنظورة بما في داخلها (من شجاعة و قوّة روحيَّتين). (عندها) تُحسّ (تُميِّز خُطورة) رأيها (فِكرها الفَاسد) النّاجم عن حُريّة (تَفلُّت) الإرادة [التي كانت واهنة بسبب تأثير تَشتُّت الحواس] 31.

---

27 أي التأمُّل الدّائم في الكتُب المُقدّسة، و مُطالعتها بالعَقل والقلب والروح، بحسب قول الربّ:" الكلام الذي كلّمتُكم به هو روح وحياة" (يوحنا 6 : 63). و المُقصود هنا التأمُّل النسكي بالكتاب المقدس الذي قوامه اعتزال العالم و عدم الاختلاط غير الضروري بالناس، وعيش الفقر و الزهد بالمقتنيات، كي لا يتَشتَّت بها الراهب.

28 اللاقنية: عدم تَعلُّق القَلب بالماديّات و المُقتنيات، واقتناء ما هو ضروريّ منها فقط، ومُقاومة شَهوة المال، و عَدَم الرَّغبة في تَكديس الثّروة.

29 القديس يوحنا السلمي، السلّم إلى الله، 6 : 21

30 أنظُر تحديد عبارة " الصحراء" في المقدّمة، الفقرة 5.

31 متى تقدَّسَت الإرادة بمُطابقتها لإرادة الله ، يكون رأيُها صائباً، أي لا تميل إلاّ نحو ما هو حَسَن. والعكس صحيح أُنظر فيلبي 2 : 13

ثَمر التأمّل (في الإلهيَّات)، والفقر، سُكر النّفس بالإيمان بالله و الابتعاد عن العالم. و من دون (السكر بالله) لا يَتمّ (الابتعاد). و بثَبات (الابتعاد) تَتقيّد (حُريّة الإرادة) كما بلجَام. [وعندما تُضبَط حريَّة الإرادة تُضبَط الحواس و يَستقيم الفِكر و يَنال الرَّاهب الرأي السَّديد] 32.

4. **<u>في مَفاعيل النِّعمة:</u>** عندما تُراود النِّعمة الإنسان (و تفعل فِعلها فيه) ، يُصبح احتقارُ [المَشقّة] و الموت سهلاً عليه (فلا يكترث لهما)، و ذلك (لمخافته الله) و تَوقه إلى البرّ 33. فيَجد في مخافة الله أسباباً كثيرة تَدعوه إلى احتمال الضّيقات، و يَحتقر ما يؤذي الجسد و ما يُلمّ بالطبيعة (النفس و الجسد) من آلام مُفاجئة (فيعتبرُها كلا شيء) إذا قُورِنَت بالمرجوّات 34.

هذه التجارب (وما يُرافقُها من تَعزية ومَعونة إلهيّة) هي السبيل إلى مَعرفة الحقيقة، لأنها تؤكِّد جَليّاً عَظَمة عِناية الله بنا، و أننا جميعاً تحت عِنايته، و بخاصةٍ الذين يَبتغون وجهه ويَحتملون الآلام من أجله (و حبّاً به). أمّا إذا تَفاقَمَ فُقدان النِّعمة في الإنسان، فينعكس، بالنِّسبة إليه، كلّ ما سَبَقَ ذكرُه35 . عندها، المعرفة (الدنيويَّة المجرّدة من النِّعمة)، في أثناء التّجارب و الضِّيقات، تتغلّب على الإيمان36 ، و الاتكال على الله لا يَنجح في كلّ شيء 37

---

32 يقول القديس إسحق إنّ سبب فَساد الرأي والأفكار السيّئة هو تَشتُّت الذِّهن و شُرود الخيال و تَفلُّت الأهواء. وعلاج هذه جميعُها سُكر النَّفس بالإيمان بالله بفعل قوّة حسّها الروحيّ، وبالفقر والتأمُّل و الابتعاد عن العالَم.

33 المَشقّات تُعينُ على تَحصيل البرّ، الذي يَتحقّق بملئه للمُجاهد عندما يَنتقل إلى جوار الله بعد الموت.

34 المرجوّات: الخلاص الآتي و الخيرات الأبديّة في السماء. أنظر رومة 8 : 18.

35 أي لا يعود يتوق إلى البرّ، ولا يلتمس المرجوّات، و يخاف المشقّة والموت وكلّ ما يؤذي الجسد، و لا يُدرك الحقيقة اليقينيّة من أننا تحت نظر الله ورعايته.

36 يَضعُف اتكال الإنسان على الإيمان و يزداد اتكاله على المعرفة الدنيويّة والوسائل العالميَّة لمساعدته.

37 لهذه العبارة مَعنيان: لا يَعود الإنسان يَتكّل على الله في كلّ شيء، ولا يَعود الله يُعين الإنسان في كلّ أمر.

ولا يَعود الإنسان يُعطي عناية الله الأهميّة المطلوبة (الكافية)38، وبالتّالي، يُصبح عُرضةً لمكائد الشّياطين الأشّرار التي تُصوِّب نِبالها عليه (وتَرميه بها) في الخَفاء.

5. **<u>في مَخافة الله و الحفاظ عليها:</u>** مخافة الله هي بدء الحياة الحقيقيّة. و لا يُمكن استمرار هذه المَخافة ما دامت النّفس مُشتّتة في أمرٍ من أُمور العالَم . فالقلب يَفقد مَلذّته بالله في أثناء عَمَل الحواس 39، لأن المَعاني السّريّة مُرتبطة بوسائل حواسّها الخارجية التي تَخدمُها (كالنَّظَر و السّمع..) 40 [فالحواس إما تكون مُنضبطة و تُساعد على تحصيل المعاني السريَّة، أو تكون مُشتَّتة، مُلتمسة اللذَّة، فَتضعُف عندها ملذَّة القلب بالله.]
6. **في الشُّكوك و عَدَم يَقين الإيمان**: تَردُّد القلب (تذبذُب الإيمان و ضعفه وعَدَم ثَباته)41 يُولّد الجُبن في النّفس (فيَضعُف جِهادُها و اتكالها على عناية الله و الثِّقة بحسب تدبيره. و يزداد حبّ الراهب لجسده، و العناية به، و يَخشى الخسارة الماديَّة و أذيَّة الجسد، والمرض و الموت). أما الإيمان (الثّابت) فيُقوّي عَزم النَّفس حتى في أثناء تَقطيع الأعضاء. فما دامَ حُبُّ الجسد مُسيطراً عليك [لضعف إيمانك] فلن تكون شُجاعاً و خالياً من الفزَع تُجاه ما يُداهم جسدَك من مُضادّات (أُمور مُعاكسة). 42

---

38 أي لا يعود يكترث كثيراً لعناية الله، و يضعُف اتكاله عليها.

39 إنّ محبّة الإنسان لله ترتبط بقُدرته على ضبط حواسه. فإذا تشتّت الحواس و فُسدت، ضعُفت قدرة الإنسان على محبّة الله و التلذّذ بذكره.

40 للحواس تأثير مباشر على قُدرة الراهب على تحصيل المعاني و الأسرار الإلهيّة. فإذا فُسدت الحواس بالتشتّت و الخطيئة ، تتعطَّل قُدرتُه على تحصيل تلك المعاني.

41 تردُّد القلب: أي تَذبذُب الإيمان و عدَم ثَباته. أُنظُر يعقوب 1 : 6 – 8

42 " الجُبن سَجيٌّ طفلٍ في نفسٍ عجوز مُعجَبة بذاتها. إنه ارتدادٌ عن الإيمان يجعلُنا نخشى وقوع شُرور غير مُتوقعة أصلاً. إنه الاغتمام مُقدَّماً لخطر وهميّ، و ارتعادُ قَلبٍ قَلِقٍ لمصائب مُبهَمة غير مُحدَّدة. و سببُ الجُبن الكبرياء. فالنَّفس المتكبّرة عَبدة الجبن، و من لا يهاب ربّه يخاف من ظِلّه". (القديس يوحنّا السلّمي، السلّم إلى الله، 21 : 2 و 4 و11، 5 : 7).

7. **<u>في العفَّة</u>**: العفيف ليس من يَظنّ أن الأفكار القَبيحة كفّت عنه في أثناء المَعركة و الجهاد فقط، بل هو الذي جَعلَ مُشاهدة ذِهنه عفيفةً بيَقين قَلبه 43، لكي لا يَنجذبَ بصورة قَبيحة نحو أفكار سَمحة. و متى شَهدت له جُودةُ ضَميره شهادةً أمينة، من خلال (حفظ النَّظر و التَّحرّز في) رؤية العَينَين، يُصبح الحَياء مثلَ سِتار مُسدَل فَوق سَريرة أفكاره، كالعذراء التي تَصونُ طَهارتها بالإيمان بالمسيح. [و تَستعيدُ النفسُ حياءَها بعد أن تَتحرَّر من تَسلّط وَقاحة المُشاهدات غير العَفيفة].
8. **<u>الذكريات و الكتاب المقدّس</u>**: لا شيء يَردع و يَطردُ الذكريات القبيحة المُتحرّكة و الثّائرة على الجسد، فتُلهبهُ و تُسبِّب لهُ الاضطراب ، 44 مثل الغَوص بشوق في الكتاب المقدّس و كَشف مَعانيه العَميقة.

عندما تَغوص الأفكار مُفتِّشةً بلذّةٍ عن الحكمة المُدّخرة في أقواله، و التي تَبرُر بقوةِ الإعلان الكامن فيها 45، يَنسى الإنسان العالَم وما فيه، ويمحو الذِّكريات التي تَحمل له، صُوراً حيّةً عن العالم. وكثيراً ما يَتحرّر من أفكار (عالميّة) تُراوِد طبيعتَه بمُقتضى الصَّرورة والعَادَة. أما النَّفس فتَكون في حالة ذُهُول تُسبّبهُا لقاءات (مَعاني) جديدة (تَكشَّف من) نَبع الأسرار (الكامنة في) بحر الكتاب المقدّس.
9. **<u>في الرّأفة</u>**: لكي تَحصل على لذّة الحسّ (الروحيّ) 46 غير المُستعبَدة للحواسّ الجسديّة،

---

43 الإيمان القلبيّ الثّابت و العَميق يَنصُر المجاهد على هجمات الأهواء و الحواس والأفكار القبيحة، و يُبطِل المُشاهدات الذهنيَّة غير العَفيفة و يُولِّد في الذّهن مُشاهدات عَفيفة و طاهرة.

44 الأفكار والذكريات غير العفيفة التي تُراود الذهن تُلهب الجسد بالشهوة و تُثير الغرائز. لذلك، تتوقَّف عفَّة الجسد، إلى حَدّ كبير، على حفظ الحواس و قطع الأفكار والذكريات غير العفيفة، و من أفعل السبُل لذلك " الغوص بشوق في معاني الكتاب المقدَّس." بهذا يجعل القدّيس إسحق المُثابرة على الغَوص في معاني الكتاب المقدَّس في رأس الوسائل لاقتناء طهارة الذّهن و اكتساب فضيلة العفَّة.

45 تكمُن في معاني الكلام الله قوّة. تلك القوّة تُعِلن للراهب المُتأمّل فيها الإعلانات والأسرار الإلهيّة، و هذه بدورها تُحارب الأفكار و الذِّكريات القبيحة.

46 لذّة الحسّ الروحي: يَقتنيها الراهب من خلال التأمّل في الإلهيّات، حيث يَكشف الله له الأسرار الإلهيّة. لذّة الحسّ الروحيّ، هذه، غير مُستعبَدة للحواس أي مُتحرِّرة منها ولا تَخضع لتأثيراتها.

إتبع الرَّأفة 47. فإذا صارت في داخلكَ، تَرتسم فيكَ صُورة الجَمال المُقدّس الذي وُسِمتَ به. إنَّ شُموليّة الرأفة (أي المحبَّة 48) تَجعلُ النّفس شَريكةَ الألوهة و مُتَّحِدَةً بها.

لا يوجد طريق يَقود إلى المحبّة الرّوحيّة (المحبَّة النقيَّة نحو الله و القريب) التي تَرسُم (في النفس) صُورة الله غير المَنظورة سوى عمَل الرأفة ، الذي نَوّهَ به ربُّنا عن كمال أبيه. فقد أوصى مُطيعيه أن يجعلوها أساساً للكَمال.

10. <u>كلام الخبرة، و الكلام المُنمّق:</u> الكلام النّابع من الخبرة (الروحيَّة) هو غير الكلام المُنمق. من دون الخبرة الرّوحيّة 49 لا تَستطيع الحكمة أن تَعرف الحقيقة (الحقائق الإلهيّة) ولا أن تتكلّم عنها.

لا يُمكن لأحد أن يُظهِر أسرار الفضيلة و هو يَجهل خبرة عَمَلها 50. الكلام النّابع من الخبرة (الروحيّة الشخصيّة هو) خزانة الرّجاء [يملأ صاحبه بالرّجاء، فيُعطي الرّجاء للآخَرين] أما الحكمة العَارية من العَمَل 51 فهي وديعة الخزِي 52 وكما أنّ الماء الذي يَرسم به الفنَّان لا يطفئ ظَمأه، و أحلام النّائم لا ترويه مهما كانت جميلة، هكذا مَصير الكلام العاري (الذي لا يَنجم عن) عَمَل (الجهاد).

مَن يتكلمّ على الفضيلة من خلال خبرته يُعطي السّامع، كمن يُعطي أموالاً من تَعَبه الخاص. و من يَزرع ما يملكُه من تَعليم في آذان السّامعين

---

47 الرأفة: الشعور بالرحمة تجاه جميع الناس وجميع المخلوقات، المَقرون بالعمَل الصالح، أنظر : " في مَن هو رحيم القلب"، المقالة 81 ، الفقرة2.

48 متى 5 : 48 ؛ لوقا 6 : 36

49 الخبرة الروحيّة: اختبار الراهب لحضور الله في حياته، و مُكاشفاته، و استجابته لصلاته، و الآيات التي يصنعُها فيه و من خلاله.

50 أي لم يَختبر طريقة عملها.

51 الحكمة الخالية من العمَل: أي الحكمة الخالية من العمل النسكيّ، وهي أقرب إلى المعرفة العقليّة وحكمة العالم. ولذلك يقول إنّ هذه الحكمة هي "وديعة الخزي"، أي مُستودع العار، لأنها تخزي صاحبها فلا يجني منها ثماراً روحيَّة. أنظر تعريف العمل في المقدّمة، الفقرة 5.

52 لا تُفيد صاحبها ولا سامعيه روحياً، بل هي هزيمةٌ له.

ويفتح فاهُ بجرأةٍ 53 ويكلّم أولاده الرّوحيين، يكون كيعقوب الذي قال ليوسف " أعطيتُك سَهماً علاوةً على إخوتكَ، و قد أخذتُهُ من (أعدائي) الأمّوريّين بسيفي و قَوسي" 54 . (يعقوب أعطى من تَعَب جِهاده لابنه يوسُف).

11. **<u>الخيرات و السّيئات</u>**: اعتبر الخيرات والسيئات الحاصلة للجسد أحلاماً، فتَتحرّر منها، ليس فقط عند ساعة الموت، بل وغالباً قبل مجيئه 55، و إذا كانت (الخيرات و السيّئات) مُتّصلة بنفسكَ (لا بجسدك)، فاعتبر أنها (ستُلازمُك) في هذه الحياة، و (قد) تُرافقُك في الدَّهر الآتي. فإذا كانت حَسَنةً، افرح و اشكر الله أما إذا كانت سيّئة فاحزن و تَنهّد (مُتحسِّراً) عليها، و اسعَ (بالصلاة الحارة) إلى التَحرُّر منها ما دُمتَ في الجَسَد.

12. **<u>أُكتُم كلّ صلاح:</u>** أُكتم كلّ صلاحٍ يَتحرّك فيكَ عقلياً 56، ولا تُعِلم بهِ أحداً، لأنَّ المَعموديّة والإيمان أصبحا وسيطَينِ لكَ عند الله، و هما اللذان دعاكَ بهما ربُّنا يسوع المسيح إلى الأعمال الصالحة 57.

---

53 المُجاهد لا ينال من الربّ خبرةَ الفضيلة وحسب، بل وينال جرأةَ التكلّم فيها، فيصحّ فيه قول الربّ:" مَن يَعمل و يُعلِّم يُدعى عظيما في ملكوت السماوات" (متى 5 : 19) والعَمَل هنا يَعني أيضاً العمَل النسكيّ.

54 تكوين 48 : 22.

55 سبقَ للكاتب أن قال إنّ عدم الخوف من الألم و المشقّة والموت هو من مَفاعيل النّعمة الإلهيّة. المقالة الأولى ، الفقرة 4.

56 الصلاح هنا هو أفكار الفضيلة و التَّقوى التي تُراود الراهب، و الرغبة في العمل الصالح. على الراهب أن يَكتُم هذه لأنها ليست منه، بل من الله، ولكي لا يَتبجّح أمام الناس و يُصاب بالغرور بسببها فيخسَر تعبَه.

57 الأعمال الصالحة ليست من الراهب، بل الله هو الذي يحفزه لعملها، بسبب نعمة الإيمان و المعموديّة.

= المقالة الثانية =

1. **في الضّحك و المُزاح والتشتّت:** لا شيء يَجعلُنا نَنفصل عن كُنُوز حكمة الله و معرفة أسراره أكثر من الضّحك و التشتُّت (المقرونان بمُسايرة أهل العالم). لذلك ، تَحَفّظ من تأثيرات العدوّ (إبليس) الذي يُغريك بالهَزل، لئلاّ يُفقِدَكَ المُزاحُ حرارةَ محبّة المسيح، الذي ذاقَ المُرّ على الصّليب من أجلكَ، فلا تأخذ عَذابّه بخفّة 58.
2. **2. المُزاح عدوُ التأمُّل:** اقتنِ حَلاوة التأمُّل و الدّالة (التي تَجعلُنا، و تجعل صلاتَنا، أكثر قَبولاً) لدى الله. أما المُزاح (فيَصرف الراهب عن التأمّل و يَشغل الذّهن بأفكار واهية) ويملأ النّفس بخيالاتٍ كثيرة (باطلة) و يجعلُها أسيرةَ أحلام النَّوم و اليَقظة(التي تُبعِدكَ عن الواقع و تجعلُك تَستسلم لهجمات الأهواء). هذه الأحلام كَريهة الرَّائحة ولا تَحتَملُها ملائكة الله، و بالتَّالي تُصبح أنت عَثرةً للآخرين و شوكةً لذاتكَ (تؤذي نفسك).

= المقالة الثالثة =

1. **<u>قدِّم أحزانكَ ذبيحةَ حُبّ:</u>** لقد خَرجتَ إلى البريّة الملأى بالشّدائد من أجل عَمَل البرّ، و صرتَ مُطيعاً لمشيئةِ الله. و باطلٌ تعبُكَ إن لم تُقدِّم (ضيقاتك) و أحزانكَ ذَبيحةَ حُبٍّ لله، هذا الأمر يُميّزهُ جميع الذين يُحبّون الله. فالذين ارتضوا أن يَعيشوا مع المسيح بمخافة الله، و يُحبّوه، يَحتملون الضيّقات و يَصبرون على الاضطّهادات [" لأنه يَنبغي لنا بمَضايق كثيرة أن ندخُل ملكوت السموات. 59") أما هو (الربّ يسوع) فيَكشف لهم أسرارَه و يَجعلُهم أسياداً على كنوزِه الخفيّة60.

---

57 الأعمال الصالحة ليست من الراهب، بل الله هو الذي يحفزه لعملها، بسبب نعمة الإيمان و المعمودية.

58 يَستغلّ الشرّير اختلاط الراهب بأهل العالم ليُغريه بالضحك و الهزل و المُزاح، فيُبعدُه عن حرارة محبّة المسيح و يُلهيه عن اقتناء كُنُوز حكمة الله و مَعرفة أسراره.

59 أعمال 14 : 22

60 أي مكاشفاته و أسراره المُتعلّقة بالمعاني الخفيّة الكامنة في الكتب المقدّسة وبخاصة المتعلقة بطبيعة الله و نوره وإيضاح إرادته؛ " فكلّ كاتب تَتلمذَ لملكوت السماوات يُشبهُ ربَّ بيتٍ يُخرِجُ من كنزه كلَّ جديد و قديم" (متى 13 : 52).

2. <u>في حفظ اللسان</u>: [مَن يَستطيعُ أن يَحفظَ لسانه فهو قادرٌ على إلجام جسده كلّه.61] حِفظُ اللسان لا يَرفعُ الذّهنَ نحو الله وحسب، 62 بل إنه يُعطي قوّةً عظيمةً لإتمامِ الأعمال الظّاهرة 63 التي تَصيرُ بواسطة الجسد، ويُنيرُ الذّهنَ في أعماله (تأملاته وعباداته) الخفيّة. لأنَّ حِفظ الفَم بمَعرفة 64 يَرفعُ الضّميرَ نحو الله65

---

61 يعقوب 3 : 2

62 بدلاً من التكلّم على عيوب الآخرين، يرفع المجاهد ذهنه نحو الله، مُتخطّياً هفوات الآخرين، وحتى إساءاتهم إليه.

63 الأعمال الظَّاهرة: أعمال الخير (الخارجيّة) ، بخلاف الأعمال الخفيّة، التي قوامُها الجهاد الروحيّ و اكتساب الفَضائل.

64 أي بتَمييز، فلا يتكلّم الراهب إلاّ عند الحاجة، عملاً بقول الكتُب: " لا تَخرُجنَّ من أفواهكم كلمة خبيثة، بل كلّ كلمة طيِّبة تُفيد البُنيان عند الحاجة وتهب نعمةً للسامعين" (أفسس 4 : 29).

65 حفظ اللّسان، أو تعفّف اللسان يُوقظ نَفسَ الراهب فلا يَتشتَّت بالأمور الخارجيَّة، بل يَرفع جميع أموره واهتماماته نحو الله. أنظر أيضاً المقالة 43، الفقرات 1 و 4 و 8؛ والمقالة 73، الفقرة 17.

= المقالة الرابعة =

1. **في أنّ التّجارب صليبٌ يوميّ**: لا تَفرح في السّعة (عندما تهدأ الحرب عليك)، ولا تَحزن في الشدّة (عند هجمات التجارب)، بل اعتبر (الفرح والحزن) غريبَين عن سُبُل الله، لأنَّ طريقَ الله يطأُها الصّليب والموت منذ الدُّهور. (مَن حمَلَ صليب الربّ وماتَ عن العالم لا يَكترث لأفراح العالم و أحزانه، لأنَّه حمَلَ الصليب وتَبِع الربّ يسوع في كلّ لحظة من حياته، واحتملَ جميع التجارب و الضيقات بصبر وثَبات، حتى الموت، فهذا هو سبيل جميع القدّيسين الذين تَبِعوا يسوع.)

إذا اعتقدتَ أنكَ تستطيعُ سُلوكَ طريق الربّ (براحة) ومن دون تَجارب ومن دون ألم، فاعلَم أنكَ تَرسمُ طريقاً خاصّاً بكَ ، وتَسيرُ خارج طريق الصّليب، و بَعيداً عنها، وعلى غير خُطى القدّيسين. [فجاهلٌ ومَخدوعٌ الراهب المُبتدئ الذي يَعتقد أنّ حياتَه الرهبانية سوف تكون سَهلةً وخاليةً من التَّجارب، و سوف تؤمِّن له الراحة، أو إذا عزَمَ في قلبه أن يَعيش في الحياة الرهبانّية عيشةَ الراحة والرفاهيَّة.]

طريقُ الربّ صليبٌ يوميّ (بحسب قَول الربّ:" مَن لا يحمل صليبه كلّ يوم و يتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً[66]".) لم يَصعد أحدٌ إلى السّماء براحة. إننا نَعلم إلى أين ينتهي طريق الرّاحة! [67]. أمّا مَن يُكرّس نفسَه لله من كلّ قلبه، فلن يتركَهُ الله من دون اهتمام (مشقّة)، بل يجعلُه يَهتمّ من أجل (أن يُدرك) الحقيقة (ويَسعى إليها). عندئذٍ يُدرك أنّ الأحزان المُرسَلة إليه ليست سوى دليل عِناية الله به.

---

66 لوقا 9 : 23 –24

67 قال الكتاب: " رُبَّ طريق يَستقيمُ في عيني الإنسان وأواخره طُرُقٌ إلى الموت" (أمثال 14 : 12). وقال ربُّنا:" أُدخلوا من الباب الضَيِّق. فإنَّ البابَ رَحبٌ والطريق المؤدي إلى الهلاك واسع، و الذين يسلكونه كثيرون. ما أضيق الباب وأحرج الطريق المؤدي إلى الحياة، والذين يَهتدون إليه قليلون" (متى 7 : 13 –14).

= المقالة الخامسة =

1. **في الملاذ الآمن**: أُدخل إلى ذاتِكَ (بالصّلاة والتّأمُّل وفحص الذّات ومُمارسة الفضائل) فتنجو من الهَلاك 68.
2. **في أنّ ذكر الضّعف ضمانة:** إذا تَذكّرتَ ضُعفكَ بصُورة دائمة، تَظلّ مُحافظاً على ذاتكَ ضمن السّور بأمان (بمنَجاةٍ من التّجارب). 69
3. **في التشوّش والنِّسيان والحِكمة**: الذّهنُ المُشوَّش (بالأهواء و كثرة الاهتمامات العَالميّة) لا يَنجو من نِسيان (ما تَعلّمه و اكتسبه من الروحيّات). والحِكمة لا تَفتحُ بابها لمثل هذا.70 [الحكمة العُلويَّة الطاهرة 71 لا تُعطى إلاّ للذّهن الطَّاهر النقيّ]
4. **في مَفاعيل الأهواء:** مَن لا يَبتعد بإرادته عن أسباب الأهواء (الرّغبات غير المُرتَّبة وغير اللائقة في النّفس)، تَجذبُه الخطيئة رُغماً عنه.72.
5. **في العمل الصّالح والتّجارب المُرافقة له**: إذا أردتَ أن تَبدأ بعملٍ صالح73 فهيّئ نَفسَك أولاً للتّجارب التي ستعترضُكَ،

---

68 **أدخل إلى ذاتك**: بحسب قَول الربّ: " إنّ مَلكوت الله في دَاخلكم " (لوقا 17 : 21). الدخول إلى الذَّات يعني أن يضع الراهب نفسه في حضرة الله، بالصلاة و التأمل، فهناك ملاذه من التجارب ومن الهلاك، وسبيل اكتسابه الفضيلة.

69 مثلاً، مَن ضعفُهُ الغضب، فليَذكُر ضعفه عندما يختلط بالناس، فلا تَقوى عليه التَّجارب. وعبارة " أُذكر" تعني أيضاً أن يَتناول المرء ضعفاته بالصَّلاة، التي هي سورٌ له.

70 ليس حكيماً الراهب الذي يشتِّت ذهنه باهتمامات عالميَّة ويستسلم لأهواء شتى. والحكمة لا تفتح بابها لراهب كهذا.

71 يعقوب 3 : 17

72 مَن لا يَبتعد عن أسباب الأهواء يُبقي باب ذهنه مُشرَّعاً للتجارب وهجمات الشرّير، فتَجذبُه الخطيئة رُغماً عنه. فلا يستطيع الراهب أن يتجنَّب خطيئة النَّميمة والدَّينونة والتشتّت إذا استرسل في أحاديث عالميَّة، ولا أن يحفظ عفّته إذا استرسل في ذكريات الله.

73 العمل الصالح (الموافق للراهب) يعني الجهاد الروحيّ و اكتساب الفضيلة (لهذا يقول :" إذا باشرتَ سيرةً صالحة بإيمان حار")؛ والعمل الصالح أيضاً هو خدمة الربّ في التَّبشير والتعليم والوعظ والإرشاد وأعمال الرَّحمة وخدمة المرضى وإيواء المساكين، و أيّ عمل خدمة يقوم به الراهب، ويُوافق حالته.

، 74 ولا تَتردّد البَتةَ. لأنّكَ إذا باشرتَ سِيرةً صالحةً بإيمانٍ حارّ، سَوف يعترضُكَ العدوّ بتجارب مُتنوعة و مُرهِبة ليُرعبَكَ و يُبرّدَ عَزمَكَ الصّالح حتى تَفقد حرارتَكَ، فلا تَتمكّن من تَحقيق ما يُرضي الله. فاستعدّ بشجاعة لمُجابهة التّجارب المُعاكِسة للفضائل 75، وبعد ذلك ابتدئ بالجهاد لاكتسابها، لأنكَ إذا لم تتأهّب لهذه المُجابهة فسوف تبتَعد عن عَمَل الفضائل.

6. **في الخطايا الصغيرة:** مَن يَحسب خطاياه صغيرةً يَقَع في أسوأ منها، ويَدفع جزاءها سبعة أضعاف [لأنّ مَن يَستَهِن بالصَّغائر يقع في الكَبائر] .76 اقتلِع الهفوةَ في أوان الزَّهر، قبل أن تنمو و تنضج. لا تَستَهِن بالخطيئة و إن بدت لكَ صغيرة، لأنها ستَظهر لكَ فيما بعد سيّدةً عديمة الرّحمة، تقودُك أمامها مثل عبدٍ أسير. إذا قاومنا الهوى مُنذ نشأته نَقوى عليه بُسرعة.

---

74 يهيّئ الراهب نفسه للعمل الصالح باليقظة والصلاة ، لأنّ العمل قد يُخرجه عن هدوئه و يسبّب له التشتّت والعثرات. لذلك يُصلّي الراهب قبل الشروع بذلك العمل، لكي يبقى في هدوئه ويقظته و سكينته؛ و من ناحية أخرى، يَعملُ الشرّيرُ جاهداً ليمنعَ الراهب من اكتساب الفضيلة وخدمة الربّ والقيام بعمل صالح، ويَسعى لتشتيته و إفشال عمله و التسبّب له بالإحباط. و يكونُ الاستعدادُ للعمل الصالح بالصلاة الحارّة وتقديس الذّات والتماس المعونة الإلهيّة، و الصَّبر والاتكّال على الله، فيكون الراهب بمنَجاة من هَجمات الشرّير الخبيثة في أثناء عمَله، كما قال الكتاب:" إذا أقبلتَ لخدمة الربّ الإله فاثبُت على البرّ و التَّقوى وأعدِد نَفسكَ للتَّجربة" (سيراخ 1: 2). و يقول بولس الرسول :" كلُّ مَن أرادَ أن يحيا في المسيح حياة التقوى أصابه الاضطهاد" (2 تيموطاوس 3 : 12). بهذا يؤكّد القديس إسحق أننا لا نُنجزُ أيّ عمل صالح بقوّتنا الذاتيَّة.

75 لكلّ فضيلة تَجربة مُعاكسة لها، تأتي من الجسد أو العالم أو من الشرّير . هكَذا يُهاجَم الراهب ليَخسرَ فضائله. مثلاً، فَضيلة التَّواضُع تُحارَب بالكبرياء وحُبّ الظهور.

أما الذي يخاف الخطايا و لو بَدَت صغيرةً في عَينَيه (فلا يَستهين لا بفكرة ولا بعَمل لا يُلائم الراهب، ولو بدا بسيطاً)، فيَقطع المَسيرة المُخيفة (في وسط التجارب وهجمات الأهواء) من دون عثرة. فإذا أدركَه الظّلام و جَدَ النّور مُشرقاً في داخله. الربّ يحفظ خطوات مَن يخشى الخطايا، وعند انزلاقه تُدركهُ رحمةُ الله.

7. **في الايمان:** الذي يَشكّ في أنَّ الله يُعينهُ في العمل الصّالح يخاف من ظِلّه، وفي زمن الطّمأنينة يَبقى قَلِقاً. و في البُحبوحة يَبقى جائِعاً، و يمتلئ تَشويشاً حتى في بيته الهادئ. أما المُتوكِّل على الله فيَتشدّد قلبُه و تَظهر كرامتهُ، و يَمتدحُه أعداؤه.
8. في استعادة الصّلاح: إنك لا تَستعيدُ الصّلاح إلا بابتعادكَ عما أفقدكَ إياه 77.
9. **في أنّ الدنيا غادِرة:** سَلّم كلَّ شيءٍ إلى سابقِ مَعرفة الله، ولا تَثِق بعَدم تَبدُّل الأشياء (أحوالك) في هذه الدُنيا 78. [أحوالُك ستتغيّر حتماً، فكُن على استعداد دائم]
10. **في احتمال الظّلم و التُهمة:** مَن يَحتمِل الظّلمَ بفرَحٍ، مع أنهُ قادرٌ على صَدّه، يَنال تَعزيةً من الله، لإيمانِه به. ومَن يَصبرِ على التُهمة الباطلة يَصِل إلى الكمال (كمال الفَضيلة)79 و تَتَعجّب منهُ الملائكة، لأنهُ لا تُوجد فَضيلةٌ أعظم من احتمال الظّلم بفَرَح ، ولا يوجَد أصعب من (هذه الفضيلة) منالاً.

---

76. أن يحسَبَ المرءُ خطيئتَه صغيرة يَعني أن يكون جاهلاً بأبسط مبادئ الحياة الروحيَّة. فهو يَتهاون بشأن خطيئته و يَتقاعس عن محاربتها وعن قَطع أسبابها والتَّوبة عنها، وبهذا يُبقي باب الخطيئة مُشرَّعاً لتدخل منه خطايا أخرى، تتعاظَم و تَتسلّط ويَصعُب الإقلاع عنها. والخديعة هنا أنّ الخطيئة ليس لها حجم ولا يمكن اعتبارُها صغيرة أو كبيرة. الخطيئة لا تُقاس بحجمها بل بتأثيرها؛ و مَهما كانت، فهي دائماً مؤذية للنفس، و تُحسَبُ تراجُعاً في حياة الراهب. لهذا يقول القدّيس إسحق إنّ الذي يَستهين بخطيئته "يدفع جزاءها سبعة أضعاف". لذلك وَجَبَت مُحاربة الخطيئة في بداية ظُهورها ، وهذا هو مَعنى اليقظة، أن يخاف" الراهب من ارتكاب أيّ هفوة،" فلا يتركُ لإبليسَ سبيلاً (أفسس 4 : 27)

77 مثلاً: إذا خسر الراهب فضيلةَ محبّة الفقر بسبب تحوّله إلى حبّ المقتنيات، فلن يستعيد فضيلة محبّة الفقر إلاّ بتراجُعه عن حبّ القنية.

78 ليس من الحكمة الاعتقاد أنّ الطمأنينة و الهناءة ورغد العيش و الصحة.. ستبقى على حالها. كثيرون يتصرّفون وكأنّ استقرار حياتهم لن يتغيَّر، فيعيشون في طمأنينة كاذبة، و عند تَغيُّر أحوالهم يُصابون بالإحباط، وقد يَتزعزع إيمانُهم. و مِثالُ ذلك الغنيّ الجاهل الذي قال له الله:" يا جاهل، الليلة تؤخَذ منك نفسُك" 0لوقا 12 : 20). و نذكُرُ قَولَ الربّ لبطرس :"

11. **في أنَّ الله يَعتني بكَ:** إذا آمنتَ أنّ الله يَعتني بكَ، فلا تَشغل نفسكَ بالزمنيّات وحاجات الجسد. و إذا كنتَ لا تؤمن بذلك، و تَنصرف إلى حاجاتكَ، مُستغنياً عن الله، فأنتَ أشقى الناس. 80" ضَع على الربّ همّكَ وهو يَعولُكَ"81.

كرّس نفسكَ لله { وثِق بأنَّه يَعتني بك في جميع حاجاتك}، تَعِش مُرتاح الفكر. فالنَّفس لا تَتحرّر من تَشوّش الأفكار بغير اللاقنية (عدم التعلّق بالمُقتنيات)؛ و بغير سَكينة الحواسّ (و عَدَم جُنوحها نحو الماديّات) لا تُحسّ بسلام الذّهن 82. رجلُ الله هو مَن مات عن حاجاته الضّرورية لرأفاته الكثيرة 83 (و يتعطَّف بإعطائها لذوي الحاجة). مَن يَرحم فقيراً تَتلقّفهُ عناية الله، و مَن يَفتقر (مادياً) من أجلِ الله يجد كنوزاً (روحيّةً) لا تَنفد.

12. **في دَرَجات الحِكمة:** حِكمةً الروح تُقتَنى بالتّجارب (أتعاب الجهاد)، و بالمُطالعة بكدّ تُعرَف حِكمة المعاني (الكامنة في الأسفار المقدَّسة). اقتناءُ الأسرار الخفيّة يَتمّ بصفاء الأفكار (أي بطهارتها)84. يَقدِرُ القلبُ أن يَرجو الله باقتناء خِبرة العناية الإلهيّة الفعَّالة؛ 85 أما (خبرة) الشركة مع المسيح فلا تَحصَل إلا بتذوّق النّفس آلامه بمَعرفة (بفطنة واعتدال).86

متى شختَ يُمنطقُكَ آخر و يسيرُ بك إلى حيثُ لا تشاء" (يوحنّا 21 : 18). فالموقف الحكيم في هذا المجال أن نَعتبر أنّ لا شيء يَبقى على حاله في هذه الحياة؛ ولا يجب أن يَدعونا هذا الأمر إلى القلق، أو أن يُزعزع إيماننا. بل علينا أن نُسلِّم كلّ شيء " إلى سابقِ مَعرفة الله،" أي إلى مشيئته و حكمته و حُسن تدبيره، مُعتبرين أنّ الله يَعلَمُ سلفاً بما سوف يُصيبُنا، و أنّه، بالرغم من تَغيّر أحوالنا، عاجلاً أم آجلاً ، سوف يكون مَعنا و يُعينُنا و يَرعانا، لأنه هو أبونا و مُسيرّ حياتنا.

79 ليس المقصود هنا بلوغ الكَمال الرهبانّي، بل بُلوغ فَضيلة من أسمى الفضائل.

80 هنا موقف غير حكيم: أن يطلب الإنسان اقتناء ما يفوق حاجته، فيكون أشقى الناس، وأن يَستغني عن الله و الاتكال عليه لأجل معيشته، و أن يَسعى، بلا طائل ، إلى اقتناء الضروريّات التي يُوفِّرُها الله له إن هو توكَّل عليه.

81 أمثال 3 : 25.

82 سَكينة الحواس: عَدَم تَشتّتها و تلهّيها بالملذّات والماديّات. تَشتّت الحواس يُفقد الذّهن صفاءه وسلامه.

83 اللاقنية لا تعني فقط عدم التعلّق بالماديّات، بل يُقابل تلك الفضيلة فضيلة أخرى هي الاهتمام بإعالة المحتاجين. رَجُل الله، لشدّة رحمته، يهتمّ بإعالة المساكين أكثر مما يهتمّ بحاجاته الضروريّة. وهذا الأمر هو علامة تَجرّد كبير.

13. **في تأديبات الله الخلاصيّة:** يجعلُنا الله قابلين (عُرضةً) للضّيقات والخوف حتى لا نَقع في الرّاحة الكاملة ، 88 فنَنسى إلهَنا و نَحيد عنه و نَقع في عبادة كثرة الآلهة، 89 كما سَقَطَ كثيرون، حتى تَجاسروا على الله نفسه.90 فهو يَسمح (أن تُصيبَنا) الضّيقات، كي لا نُغضِبَهُ بابتعادنا عنه (بل نَجِدّ في الاقتراب منه). وهو يُنمّي ذِكرَهُ في قَلبنا بالآلام والمُحزنات، و يجعلُنا نَخشى الأمور المُعاكسة، (أي) الأهواء والتّجارب و التّراخي، حتى نَستيقظ ونَقرع باب تَحنُّنه. فمِن أين لكَ أن تَعرف عناية الله و اهتمامه لو لم تُصادفك أمورٌ مُضادّة؟ 91

بطهارة الذهن؛ مع التأكيد على أنّ الطهارة شرطٌ لاقتناء كلّ حكمة. وسبق القول إنّ صفاء الأفكار يَتحقّق بضبط الذهن والحواس عن التشتت بأمور العالم و مُغرياته

84. يتكلَّم القديس إسحق على حكمة الروح، وهي الحكمة المفيدة للحياة الروحية ومواجهة التجارب؛ وحكمة المعاني، وهي الحكمة الكامنة في الكتاب المقدَّس والمفيدة لفهمه و إدراك أسراره؛ والحكمة الأسمى، وهي اقتناء أسرار الله، التي تُقتَنى في ذكر الله: أُذكر الله في كلّ حين حتى يَذكُرَكَ عندما تَسقُطُ في الخطيئة 87.

85يقتني الراهب " خِبرة العناية الإلهيّة الفعَّالة" عندما يلمس لمس اليدّ حضور الله الدَّائم في حياته وعناية الله الدَّائمة به، فيعطيه ذلك رجاءً (ثقةً) بعناية الله به في الحاضر و المستقبل. بهذا يصف القدّيس إسحق إحدى الوسائل الفعّالة لاقتناء الرَّجاء.

86 خبرة الشرِكة مع المسيح تَحصَل بتذوّق النّفس آلآمَه بمَعرفة، أي بالتفكّر القلبيّ بآلامه، و تَقبُّل مَشقّات الجهاد بفطنة واعتدال. بهذا يجعل القديس إسحق " خبرة العناية الإلهيّة الفعّالة"، " وخبرة الشركة مع المسيح بتذوّق آلامه" ، نوعان من الخبرة الروحيَّة النسكيّة، أي الحكمة، أو المؤدِّية إليها.

87 مَن يَذكُر الله دائماً، عندما تُداهِم ذهنَه التَّجارب، يَدحَرُها بذكر اسم الله؛ و أيضاً: مَن يذكُر الله دائماً ، يُنجِدُه الله في أوان التَّجربة.

88 إنّ تعرُّض المجاهد للضيقات يجعله يزيد من جهاده و اتكاله على الله، فلا يتراخى؛ وبهذا أيضاً يكتسب من الله انعامات وفضائل ، فيشكُر الله لأجلها.

الخيرات التي تَقتَنيها بالمُحزنات (الضّيقات التي تُسبِّب الحُزن) تُعلّمُكَ الشكر92. فاذكر الله (على الدوام) لكي يَذكرك، فتَنال منه كلّ غبطة. لا تَنسَهُ بتشتُّتك في الأمور الباطلة، لئلاَّ ينساكَ أيام حُروبكَ (الرّوحيّة) . 93 كُن مُطيعاً له في وقت الرّاحة (عند خلوّك من هجمات التجارب) لكي تحظى بالدّالّة (العناية واستجابة الصلاة) لديه عند الشدّة، بالصّلاة القلبيّة المُستمرّة. 94

14. **في الدّالة لدى الله بالتّنقية والذِّكر الدّائم:** طهِّر ذاتكَ أمام الربّ، مُحتفظاً بذِكره في قلبكَ 95 أما ابتعادُكَ الطَّويل عن ذِكره فيُفقِدُكَ الدّالّة لديه في أثناء دخولك إليه. لأنَّ الدّالة (قبول الله لنا و لصلاتنا) تُقتَنى بالهذيذ (ذكر الله) المُستمرّ والصّلاة الكثيرة96. العلاقة مع الناس و البقاء معهم (من دون تحفُّظ) يَتِمّان بالجسد (مع ما يُرافق ذلك من تشتُّت)، أما العلاقة مع الله فتتمّ بالسّهر على النّفس (واليقظة) والانتباه في الطلبات (أثناء الصلاة)، و بتضحية الذّات (إماتة الذّات عن الشّهوة ، و الأهواء، والعالم)97 الحفاظ الطويل على ذكر الله يؤدّي إلى دَهَش وتَعجُّبٍ. 98 "ولتَبتَهج قلوبُ مُلتمسي الربّ"99.

---

89. ليس المَقصود آلهة الوثنيّين، بل آلهة الشَّهوات كالكبرياء وحبّ المقتنيات و مُتعة الحواس

90. كقول زوجة أيوب له: " جَدِّف على الله و مُت." (أيوب 2: 9).

91 الله يَستعمل ما يُصيبُنا من مُحزِنات لكي نَذكُر إلهنا و نَلتمس مَعونته وعَفوه ورحمته.

92 الأمور المُحزِنة و الضّيقات تُعلّم المُجاهد الصَّبر و التَّسليم لعناية الله والتماس رحمته، وهذا الأمر هو نوعٌ من الجهاد الروحيّ يَقوم به الراهب. والربّ يُعينه في جهاده، فيشكُره لأجل مَعونته ومُعاضدته.

93 الله لا ينسى المجاهد، لكنّ الابتعاد عن الله يُضعف اتكال المجاهد على إلهه ويخسر معاضدته، وقد قال الكتاب: "إقتربوا من الله يقترب منكم" (يعقوب 4 : 8).

94 تعني الدّالّة أن يكون الراهب أكثر قُرباً من الله، وتكون صلاتُه، أكثر قبولاً لديه. والصلاة القلبيَّة المستمرّة هي صلاة اسم يسوع المسماة أيضاً صلاة القلب: "أيها الرب يسوع المسيح، يا ابن الله، إرحمني."

95 بهذا يجعل القديس إسحق ذكر الله الدائم سبيلاً للتطهّر.

96 يقول القدّيس إسحق إنّ التطهّر يُكسب الراهب دالةً لدى الله.

15. **في الاستعداد الدّائم:** "تَسلّحوا بسلاح الله لتستطيعوا مُقاومة مكايد الشرّير في يوم الشرّ"100. قَبل أن تبدأ الحرب (الرّوحيّة) استعن بالحُلفاء (التطهُّر والصّلاة والاتكال على الربّ)، وقَبل أن تَقَعَ في المرَض (الرّوحيّ) أُطلب الطبيب (الإلهيّ). قبل أن تُداهمكَ الشَّدائد، صلِّ إلى الله تجده في وقت الحُزن، 101 فيَستجيبُ لكَ قبل أن تنزلق (تسقُط) توسّل إليه و تضرّع، 102 وقبل أن تبدأ الصّلاة هيءّ الوُعود (التي يَعِدُك الله بها)، أي غَنائم الصّلاة 103. سفينةُ نوح صُنِعت في وقت السَّلام ، لكنَّ أخشابَها زُرِعت قبل ذلك بمئة سنة. [وكذلك الراهب يَزرع زَرع الصلاة و الجهاد في وقت السلام ليكتَسب الفَضائل و يَنال ثمرة أتعابه والنَّجاة في وقت الشدَّة].

16. **في هجر العالَم واحتمال الظّلم:** إنّ الذين أماتوا (شهوات واهواء) العالَم في داخلهم يحتَملون التّجارب (الظُّلم و المشقّة). أما الذين يحيَونَ للعالمَ فلا يَقدرون أن يَتحمّلوا الظُّلم. هؤلاء يَتحرّكون بدافع المجد الباطل فيَغضَبون و يضطّربون، أو أنهم مُستحوَذون بحُزنِ (العالَم).

---

97 إنّ العلاقة بالناس تتمّ "بالجسد" لأنها تُشتِّت الراهب و تُلهيه عن اليقظة الروحيّة. فصير عنده دالة على الناس، ويلتمس الكرامة و التعزية البشريَّة ... وهذه العلاقة مُضادة للعلاقة بالله، التي تتمّ "بالروح" و تتضمّن اليقظة والسهر وذِكر الله الدَّائم.

98دَهَش وتعجّب: على مِثال الملائكة الذين يُسبّحون الله على الدَّوام وهُم في حالة دهشة دائمة وفَرح أبديّ (إشعيا 6 : 1 –3).

99 مزمور 104 : 3.

100 أفسس 5 : 11 و 13.

101 أنظر تعريف الحُزن في المقدّمة، الفقرة 5.

102 يؤكِّد القديس إسحق مِراراً على وُجوب الاستعداد بالسَّهَر والصلاة قَبل وقوع التَّجارب و الضِّيقات، فيكون ذلك الاستعداد بمثابة حِصن ضدَّها ، ويكون ذلك بمثابة إيمان بالله و ثقة بعنايته الدَّائمة ، كما فعل نوح.

103 أي كُن على يقين بأنّ الله يَستجيب صلاتك، بحسب وَعده لأبراره.

ما أعظم اقتناء فَضيلة احتمال الظُلم (من أجل الربّ)، و ما أعظم مجدَها عنده! مَن أرادَ نَيلَ هذه الفضيلة، أي تحمُّل الظلم (بصبر) وطول أناة، يحتاجُ إلى ابتعادٍ و تغرُّبٍ عن الأهل و الأقرباء، لأنهُ يَستحيلُ نيلُها في الوطن 104. فاحتمالُ ألم هذه الفضيلة وسط الأخصّاء، هو من شِيمة الأقوياء الذين ماتَ العالَم فيهم، وَفَقدوا كلَّ رجاء في التَّعزيات الحاضرة 105.

17. **في التّواضُع والهَرب من الكرامات**: 106 اتضع ترَ مجدَ الله في داخلك، لأنه حيثُ يَنبتُ التواضُع، فَهناك يَنبعُ مجدُ الله. جاهد في أن تحتقرَ الكرامات، تمتلئ من كرامة الله.107 مَن جاعَ و عطشَ من أجل الله، يُسكِرهُ الله بخيراتِه. و من افتقرَ من أجله يُعزيِّه بغِناه الحقيقيّ. حَقِّر ذاتكَ من أجله، يُكثِر مجدَه فيك كلَّ حياتك من دون أن تَعلم. لا تطلُب إكراماً و أنتَ مُثخَنٌ بالجراح (ومُشوَّهٌ بالسقطات والأهواء والشهوات والخطايا) من الدّاخل 108 أُهرب من المجد الباطل تتجدّد؛ خَف من الكبرياء تتعظّم. إذا كنتَ قد رفضتَ بإرادتكَ جميع أمور الحياة، فلا تُخاصِم أحداً على شيء البَتَّة.

---

104 في الوطن: أي بين الأهل و الأقارب، تلميحاً إلى قول الربّ إنه لم يكن له كرامة في وطنه (مرقس 6 : 4)

105 من الواضح أنّ الأهل لن يقبلوا المهانة لابنهم، و سوف يطلبون ردّ الإساءة بمثلها، كما أنّ الشخص نفسه يصعُب عليه احتمال المهانة بين أهله. يحبّذ القدّيس إسحق العزلة لأجل اكتساب الفضائل؛ هذا الكلام موجّه بخاصةٍ إلى الرّهبان المُتوحدين.

106 في هذا المقطع يوضِح القدّيس إسحق أُسس التواضُع، وهي : عَمَل الرَّحمة، و الفقر والجوع والعطش من أجل الله، وعَدَم طلب الكرامات، وعَدَم مُخاصمة أحد من النَّاس.

107 وهذا معنى قول الربّ: " إذا دُعيتَ إلى عرس، فاجلس في المقعد الأخير، حتى إذا جاء الذي دعاك قال لك: قم إلى فوق، يا أخي. فيَعظُم شأنُك في نظر جميع جُلسائك. فمَن رَفع نفسه وُضع، و من وَضع نفسه رُفع" (لوقا 14 : 8 – 11)

108 جراح السّقطات والخطايا والأهواء.

18. **في محبّة الفُقراء:** أحبب الفُقراء تَنَل الرّحمة بسبب إحسانك إليهم، 0لأنّ الرحمة لمن يرحَم)109. لا تَشمئزّ من نَتانة المَرضى وبخاصةٍ الفُقراء منهم، فإنكَ تملك جسداً مثلهم. أحبب الخطأة و أبغض أعمالهم، ولا تَحتقرهم بسبب نَقائصهم حتى لا تُجرَّب بما هم مجرَّبون. أذكر أنكَ شريكٌ في الطّبيعة الأرضيّة (ومُعرَّضٌ لصنوف الأمراض والنوائب) واصنع الخير مع الجميع (لأنه قد يأتي يومٌ تحتاجُ فيه إلى مَعونة الآخَرين).

19. **لا تُخاصم أحداً**: لا تُخاصم مَن هُم بحاجة إلى صلاتك 110 ولا تحرمهم من أقوالِك اللّينة المُعزّية.111 إقتدِ بالأطباء الذين يُعالجون الآلام الحادّة بالأدوية المُبرِّدة، والآلام الباردة بالأدوية الحارّة (كُن ليّناً مع الخطأة ومع المُسيئين إليك) 112.

20. **صلاتُك:** (تَقواك، وخُصوصاً) صلاتُك هي ما يَجذِبُ الآخرين إليك 113

---

109 يعقوب 2 : 13 و 3 : 13 ؛ أمثال 19 : 17 و 21 : 31.

110 يقول القدّيس إسحق إنّ الرَّاهب لا يُخاصم أحداً، وحتى لو تَعرّضَ للظُّلم وهُدرت حُقوقه، لأنّ الأوليَّة هي خلاصة وخلاص الآخرين. الراهب مَدعوّ إلى أن يَحتملَ الظُّلم ، ويَرضى أن تُهدر حُقوقه، في سبيل خلاص القريب، فحريّ بالراهب أن يصلّي لأجل جميع الآخرين، بدلاً من أن يُخاصمَهم. فالخصام هو من الأهواء والخطايا، ويُولِّد في النَّفس الغَضَب والأحقاد. الخصام و النِّزاعات و المشاحنات هي من تصرّفات أهل العالم، الذي خرج منه الراهب لكي يتحرّر من أهوائه.

111 بدلاً من مُخاصمة الآخرين، واجبُ رجُل الله أن يُقدِّم لهم كلام النُّصح و التَّشجيع و التَّعزية، وكلّ ما يَبني نُفوسَهُم.

112 الذين يَجرّونك إلى الخصام قد يكونون مَرضى روحياً وبحاجة إلى شفاء، وخصامُكَ لهم يحرمهم العلاجات التي بإمكانك أن تُقدِّمها إليهم.

113 ليس المقصود مَظاهر صَلاة الراهب، ولا ذكاءَه ولا فَصاحته وبلاغته في الكلام ولا دهاءه ولا سَعة عِلمه ولا قوَّة شخصيتَّه ولا شعبيّته وكثرة علاقاته؛ بل إنّ حياته الدَّاخليّة وإشعاعه الروحيّ هي ما تؤهِّلُه لإفادة الآخرين روحيّاً، في التَّعليم والوَعظ والإرشاد وسَماع الاعترافات ، و المَثَل الصالح، وهذا ما يَجذب الآخرين اليه، كما قال الكتاب، إنّ الأبرار "يُضيؤون كالنيِّرات في الكَون" (دانيال 12 : 3 ؛ متى 13 : 43 ؛ فيلبي 2 : 14 – 15).

=المقالة السادسة=

1. **في مَنفعة الهَرب من العالَم:** 114 أدرَكَ آباؤنا أنّ الجّهاد وسط المُغريات صَعبٌ جداً، وأنّ الذِّهن لا يثبُت على حالةٍ واحدة، ولذلك لا يستطيع أن يَصون نفسَه بالاحتراس ممّا يؤذيه. لذلك تَشاوروا بحكمة واتّشحوا بعَدَم القنية (بمحبَّة الفقر) سلاحاً يُغنيهم عن جهادات كثيرة. لأنَّ الفاقة تُبعد الإنسان عن زلاّتٍ كثيرة، وذهبوا إلى البريّة بعيداً عما يُسبّب الأهواء، حتى لا يَجدوا أثناء الضّعف أسباباً تؤدّي بهم إلى السّقوط. و أعني بالأسباب: الغضب و الشّهوة والحقد والمجد (الباطل).. هذه الأهواء وغيرُها تَنخفض حِدَّتُها في البريّة. لذلك جَعَلوا الصّحراء حِصناً لهم و سُوراً، وتمركزوا فيها مثل بُرجٍ لا يُقهَر. وهكذا استطاعَ كلٌّ مِنهم أن يُتمِّمَ جِهادَهُ بهدوء، حيثُ لا تَجد الحواس سبباً لتَتحالف مع العدوّ (الشرّير) الذي يُصارعنا من خلال اقترابنا من الأشياء المؤذية (فقد أيقن آباؤنا) أنَّ الموت في الجهاد خيرٌ من الحياة في السّقوط.

114 أنظر أيضاً: " في حَلاوة العالم و شهواته" ، المقالة 85 ، الفقرة 4.

= المقالة الثامنة =

1. **في نظام التَّمييز الدّقيق**: إذا كانت الأهواء القديمة التي كانت مُتسلّطةً عليك لا تزال تُزعجك، فهي لم تُمحَ منكَ بالكليّة، والحرب لا تزال قائمة في النَّفس، بالرغم من اعتقادك أنّ النَّفس قويّة أمامها. وهذا مُطابق لِما قال الكتاب:" سكنَ الملك في بيته [والراهب في بَريَّتِه] فأراحهُ الربّ من جميع الجهات من جميع أعدائه" 115. والكتاب لا يَتكلّم على ارتياح الملك من هوى واحد، بل منها جميعها (جميع أعدائه): أي من أهواءه الطّبيعيّة و الشَّهوانية والنَّفسية، وحُبّ المجد، وحُبّ الغضب...

حرّك نفسَك (انهض) الآن و تَضرّع إلى مُخلّص الجّميع و اسأله أن يُزيل السِّتار (الحجاب الذي يمنعُكَ من الرّؤية) عن باب قلبكَ و يُبدِّدَ من الفُلك (السّفينة) الداخليّ عاصفةَ الأهواء الدّاخليّة ويؤهّلكَ لرؤية أشّعة النهار116، (فتَنال نِعمة التَّمييز، و تُحارب أهواءك)، فلا تَبقى جالساً كالميت في ظُلمة (الأهواء والشَّهوات) إلى الدَّهر.

2. **القلاَّية تُعلّمك**: اجلس في قلاَّيتِكَ (مخدعك، مكان جهادك) وهي وحدَها تُعلِّمكَ كلّ شيء 117.
3. **مَنظرُكَ منفعةٌ للآخرين**: يجب أن تكون أعمال الرّاهب (المُجاهد) و تَصرّفاته نموذجاً لمنفعة كلّ مَن يَنظُر إليه118.
4. **في الأهواء... أيضاً**: لا تَتعجّب عندما تَفحص ذاتكَ، فلا تجد فيها السّلام، بسبب إزعاج الأهواء (الميول والرّغبات غير اللائقة في النّفس). فإذا كانَ جوفُ الأرض يُحافظ على حرارة الشمس بعد غُروبها، فماذا تكون حالُ الأهواء؟119 إنها

تُشبه كلاباً اعتادت (أدمنت) لحس الدّم من دُكّان الجزّاز، فإذا مُنِعَت عنه، مَكثَت عندَ الباب نابحةً، ولا تُفارقُهُ حتى تَستنزف قوّتَها الغريزيّة الأولى بكاملها120.

---

115 2 مُلوك 7 : 1 والمَقصود: لا راحةَ إلاّ بالصّلاة الدّائمة والنّزول إلى بيت القلب.

116 يُشبِّه الكاتب حياة الجهاد بسفينةٍ غايتُها بُلوغ ميناء الخلاص. و يُشبّه الأهواء بالأعاصير التي تَهبّ على هذه السفينة، فتجعلُها تدخُل في الظلمة التي تُعيق تَقدُّمَها.

117 بالصّلاة الدّائمة والمُطالعة الرّوحية و التأمُّل وذكر الله، و التواضع والطّهارة، ينال الراهب نعمة التمييز و يَتعلّم أسرار الملكوت. أنظر تعريف التمييز في المقدمة، الفقرة 5.

= المقالة الثّانية عشرة=

1. **الفُتور الرّوحيّ سببُه التَّهاون**: عندما يَتسلّل إليكَ التَّهاوُن كلصّ، وتَبدأ نفسُكَ بالتَّقهقُر، وسط غَمام (الأفكار المُقلِقة والمُشوِّشة)، و يُوشِك البيت (الداخليّ) أن يُظلِم، تَظهر (فيك) الدّلائل التّالية: تُحسّ بأنكَ قليل الإيمان؛ تَطمَع في الأشياء المَنظورة؛ تَضعُف ثقتُك؛ 121 تَشكّ بقريبك؛ تَذمّ كلّ مَن تُصادفُه بفكرك و حواسّك، بل وتّذمّ خالقَه أيضاً. ويَتسرّب إليك الخوف على الجسد، 122 والخوف يُسبّب لكَ صِغَر النّفس (الجُبن)، مما يجعل نفَسكَ تخاف من ظِلّها. 123 الإيمان (هو) القوّة العقليّة التي تَدعم القلب بنور الذّهن 124. تلك القوّة تُولِّد في النَّفس، بشهادة الضّمير، ثقةً كبيرةً بالله، فلا تَعود تَهتمّ بذاتها، بل تُلقي همّها على الله في كلّ شيء125.

118يجب أن يَكون الراهب مثالاً يُقتدى به، عَملاً يقول الربّ: " فليضيء نوركم للناس ليروا أعمالكم الصالحة و يمجدوا أباكم الذي في السماوات" (متى 5 : 16)

119 حرارة الشمس لا تزول بغروبها، و تسلط الأهواء لا يزول لمجرّد الانقطاع لفرةٍ ما عن تلبيتها. الأهواء لا تُفارقُنا بسُهولة، بل تَستمّر في مُحاربتنا لأمد مُعيَّن، حتى بعد أن نقطع عنها الأسباب والمواد التي تُغذِّيها.

120 إنّ تَلبية مُتطلّبات الأهواء تتحوَّل إلى إدمان يُشبه إدمان الكلاب المَسعورة التي اعتادَت لحس الدمّ، ولا تَكفّ عن أن تَلتمس بشراسةٍ ونَهَم المادة التي تُغذِي إدمانها. وكما تستنزف الكلاب كلّ قوّتها الغريزيّة في طَلَب مادة إدمانها، كذلك تَستنزف النَّفس طاقتها الغريزيَّة لتلبية مُتطلّبات أهوائها. و يضَع الراهب كلّ جهده في هذا الأمر بدلاً من أن يبذله في الجهاد. في هذه الفقرة يُعبّر القدّيس إسحق عن مدى قوّة الأهواء، و يقول إنها تكاد تكون قاهرة. وفي هذه الفقرة ،أيضاً، وصف بَليغ لحَالة الإدمان.

121 تضعُف ثقتُك: أي ثقتُك بحُسن تدبير الله و عنايته بك، فتَصير عُرضةً المَخاوف والشُّكوك.

122 الخوف على الجسد: أنظر المقدّمة ، الفقرة 5.

123 مَن يَشكّ في عناية الله له يَخاف من ظلّه. المقالة الخامسة، الفقرة7.

124 الإيمان يُنير الذّهن ويُعطي العقل قوّةً تَدعم القلب، فيصير جريئاً، مُقاوِماً للخوف.

2. **علامات التّقدّم:** إذا تَقدّمتَ في مَسيرتك الرّوحيّة فستَجد في نفسكَ العلامات الواضحة التَّالية: تَتقوّى بالرّجاء في كلّ شيء (ترجو الله و تتَّكل عليه بدلاً من أن تتَّكل على نفسك و على الأمور الخارجيَّة)؛ تُصبح غنيّاً بالصّلاة؛ لا تُفارق المادّة المُفيدة (الأفكار الصّالحة وأفكار الفضيلة) ذِهنكَ في كلّ شيء تصادفهُ؛ تُحسّ بضعف طبيعتك البشريّة، فيُصبح بإمكانكَ أن تتّقي الكبرياء، ولا تُبالي بنَقائص القريب 126. والشَّوق إلى الله يُولّد فيكَ شَوقاً إلى الخُروج من الجسد، لكي تَلتقي الله بعد الممات. ثمَّ تُواجه الضّيقات الظَّاهرة والخفيّة بروح العدالة 127، ويُصبح كلّ شيءٍ قريباً منكَ وواضحاً بدقّة وبعيداً عن الغُرور. بهذا (لا تعود تتذمَّر من شيء وترى عناية الله بك و إحسانه إليك)، وتَرفع الاعتراف والشُّكر على كلّ شيء. هذه العلامات هي ميراث اليَقظين والحريصين والعائشين في السَّكينة، والتّائقين إلى بُلوغ تمام السيرة، (أي سيرة الكَمال الرّهبانيّ).

125 ضمير الراهب يَشهد له أو يَشكوه؛ أنظر رومة 2 : 15.

126 من عادة المتكبِّر أن يُعيرّ الناس بأخطائهم. لذلك متى تواضَع الإنسان ينظُر إلى عيوبه و خطاياه أولاً ولا يعود يُبالي بنقائص الآخرين ويكفّ عن تَعبيرهم وإدانتهم.

127 تؤمن أنّ الضّيقات تُحقّق عدل الله لأنّ سبَبها خطاياك، فلا تَشكو ولا تتذمَّر من الآلام والضِّيقات.

= المقالة الثالثة عشرة=

1. **في أنّ كثرة الاهتمامات تُبدّد السّكينة وتُضعف النُّور**: كثيرُ الاهتمامات (الدّنيويّة) لا يَستطيع أن يُصبح وديعاً وهادئاً، لأنَّ الحاجات الضّرورية تُضنِكهُ وتَجعلهُ مُجبَراً على (كَثرة) التّفكير فيها، فيَتبدّد هُدوء السّكينة (في قلبه).128 لذلك يجب على (المُجاهد) أن يَقف أمام وَجه الله ويُحدّق إليه دائماً بنَظَر ثابت، إذا أراد أن يُحصِّن ذهنَهُ ويُنقّيه مما يَجوب (يَحوم) فيه من حركات (أهواء وتجارب) صغيرة (في بدايتها). و أن يَتعلّم الهدوء وتَمييز الأفكار الدَّاخلة إليه (إلى ذهنه) والخارجة منه (هل هي صالحة أم شرّيرة). اهتمامات الرّاهب الكثيرة تَدلّ على التّراخي في الاستعداد لإتمام وصايا المسيح، وتُظِهر عُيوبَه تجاه الأمور الإلهيّة 129. لا تُفتّش عن النُّور في نَفسكَ إذا لم تَنزع عنكَ الاهتمامات (الخارجيّة، الدّنيويَّة) ولا (تَبحث) عن الصَّفاء والهدوء، إذا كانت حواسُّكَ مُتراخية. إذا وُجِدَت بعض الاهتمامات (الانشغالات) فلا تَزِدها حتى لا يُصيب التشتّت ذهنكَ أو صلاتكَ لأنّكَ بغير الصّلاة المُستمرة لا تَقدِر أن تَقترب من الله. وإذا أرهقتَ ذهنَك في الصّلاة، ثم شغلتَه بأمرٍ ما، فإنَك تُسبّب لذهنك التشتّت [وقد تَخسر تَعبك].
2. **في مضارَ الأحاديث الدنيويّة:** كما أنَّ الجليد إذا سَقطَ بقوّةٍ على رؤوس النَّباتات النَّضرة يُجفّفُها ويُتلفُها، هكذا تُجفِّف الأحاديث مع النّاس، مهما كانت قصيرة ومُفيدة، أزهار الفضائل المُفرَعة حديثاً في رُبوع السّكينة، والتي تُحيط ببساطة ونُعومة بِنَبتَة النّفس المغروسة على مياه التّوبة130.

128 يتبدد هدوء السَّكينة: كثرة الانشغالات تُرافقها حتماً الاهتمامات الكثيرة، فيتبدّد هُدوء السكينة، والمقصود طبعاً، سكينة قلب الراهب.

129 أي تُظِهر تَقصيره في الحياة الروحيّة.

130 أفعال التوبة الصائرة في السكينة وهدوء الصلاة تُفرِع الفضائل في النفس، إن خُروج الراهب عن سَكينته للحديث مع الناس في الأمور الدّنيويّة و شؤون العالَم، يؤخِّر نموّ الفضائل في نَفسه. هذا الكلام موجَّه بخاصةٍ إلى الرهبان المتوحِّدين.

الأحاديث (العالّميّة) مع الناس تُتلف جُذور الذّهن (جذور الأفكار الصّالحة) التي بدأت تُفرع نبات الفضائل. فكما أنّ الإنسان الشّريف المُكرَّم إذا سَكِرَ ونَسيَ نَسَبه يُهانُ مَنصبُه و تُنتهَك كرامتهُ بسبب أقوالهُ المُستغرَبة المُتولِّدة من الخَمر، هكذا عِفّة النفس تَتشتَّت بأحاديث الناس (التي تُسبِّب غَفلةً تُشبه غَفلة السُكر)، فيَنسى الرّاهب طَريقة حِفظ (العفّة) ويُنزَع منه أساس أحواله الرّوحيّة المَدوحة (الذي هو العفّة)131.

3. **في ظلام الكبرياء:** المتكبّر لا يَعلم أنه يَسير في الظّلام، ولا يُدرك أنه يَجهل معنى الحكمة. وكيف يُدرك ذلكَ مادام في الظّلام؟ إنّ فكرَهُ المُظلم يَستكبر على الجميع، مع أنهُ أحقر الجميع و أضعفُهم، ولا يَقدر أن يَتعلَّم طُرُق الربّ. لهذا يُخفي اللهُ إرادته عنه، لأنه يَرفض السّير في طريق المُتواضعين 132.
4. **تجربتان للعائش في السّكينة:** هناك تجربتان للعائش في السّكينة، الأحاديث وحُبّ الظّهُور . ومُجرَّد الدنوّ (من هذين الأمرين) 133. يَكفي لتبريد حرارة الذّهن (المتَّقِد بمحبّة الله) وتشويش الأفكار الإلهيّة في داخله. فإذا كانت البُرهة القصيرة من التّجربة تُسبّب للرّاهب العفيف ضرراً كهذا، فما بالُك باللقاءات المُستمرّة والعوائق المُزمنة؟

131 العفّة هنا تَعني التعفّف عن الاهتمامات الخارجيّة.

132 الظلام هنا هو الجَهل بالأمور الإلهيّة. الكبرياء يُدخِل صاحبه في ظُلمة الجهل لأنّ الله لا يكشف أسراره إلاّ للمتُواضعين. وقد قال الكتاب: " تأتي الكبرياء فيأتي الهَوان؛ "وقَبل الانحطام الكبرياء" (أمثال 11: 2 ؛ 16 : 18). وقال أيضاً إنّ موسى كان أكثر الناس تَواضُعاً في الأرض (عدد 12 : 3) فأكرَمه الله و كشف له ذاتَه وأعطاه الشريعة وجعله لشعبه قائداً ومُحرِّراً.

133 أي مجرّد الحديث، ولو قليلاً، مع الناس، والخروج عن السَّكينة، ومُجرّد الرغبة في الظهور، ولو قليلاً، يُسبّب للراهب برود محبّته لله وللأمور الروحيّة. فكيف بالأحرى إذا استرسل الراهب في هاتَين الرذيلتَين ، فتملّكتا فيه؟

= المقالة الرَّابعة عشرة كاملة =

1. **في التّحوُّل الحاصل للذين يَسيرون في طريق السّكينة التي رسَمها الله:** مَن يُوطِّن النّفس على العيش في السّكينة يجب أن يكون مُستعدّاً لإتمام أعمالها و نظامها طيلة حياته.

يحصل أحياناً تَشويشٌ داخليّ يُظلم النّفس ويحرمها التّعزية الرّوحية مدّةً من الزمن، ويَتبدَّد نور النّعمة الدّاخليّة بسبب غُيوم الأهواء، ويُغطّي الذّهنَ ضبابٌ غير عاديّ هذا يحدُث عادةً في نِظام السّكينة، و يؤثّر في ما أُعطينا من النّعمة الإلهيّة. عندها، لا يضطرب فكرُكَ ولا تَستسلم بداعي الجّهل، بل اصبر و طالع كتبَ المُعلّمين وأرغم نفسكَ على الصّلاة، فتأتيكَ المعونة من دون أن تَعلم. لأنه كما أنّ الضَّباب الذي يُغطّي وجه الأرض يَنقشع بُبزوغ الشمس، هكذا سُحبُ الأهواء المحيطة بالنّفس تَتبدّد بالصّلاة، فيَستضيء الذّهن بنور التَّعزية والبهجة. يتولّد النور في ذاكرتنا، بخاصةٍ إذا توفّرت لهُ المادّة من الكتاب المقدّس 134 ، واليَقظة التي تَصقل الذّهن 135. إنَّ مُطالعة كتب القدّيسين تملأ النّفس بالدهشة غير المُدرَكة والبهجة الإلهيّة 136.

134 خبرة الراهب السابقة (والحاضرة) مع الكتاب المقدَّس تُعينُه في التغلّب على هَجمات الأهواء، فيُشرِق في نفسه النور الإلهيّ من جديد.

135 اليقظة تعني أن يُراقب الراهب الأفكار الدّاخلة إلى ذهنه والخارجة منه، فيرفض الفاسد منها. وهذا هو "صقل الذِّهن" ، فيُشبه الراهب النحّات الذي يَصقُل الصَّخر.

136 بحسب قَول يعقوب الرَّسول: " مَن يُكبّ على الشريعة الكاملة، شريعة الحريّة (التي بالمسيح)، فيُواظب عليها، شأن مَن يَعمل، لا شأن مَن يَسمع ثمّ ينسى، فإنما يجد السعادة في الشريعة التي يَعمَل بها" (يعقوب 1: 25).

= المقالة السادسة عشرة=

1. **صلاة لأجل التحرّر من الإرادة الذاتيّة ، والتماس التّواضعُ:** أيها الربّ يسوع المسيح إلهي ! أهلّني لأن أتحرّر من إرادتي الذاتيّة التي تولّد لي التَّخيُلات 137، فأعمَلَ إرادتكَ و أسلّم ذاتي لمشيئتك، لكي أراكَ على الدّوام رؤيةً تَفُوق الطّبيعة، من خلال ذهني المُتحرّر من الأفكار المُتنوعة (غير اللائقة) التي رفعتَها على الصّليب 138.

زِد محبتكَ فيَّ لكي أتركَ العالَم، مُنجذِباً بعشقِكَ. حرّكني واجتذبني لأُدرِك تواضُعَكَ الذي تَسربلتَه و تَصرّفتَ بَحسَبه حين كنتَ في الجسد، حتى إذا ما تذكّرتُ تواضُعَكَ على الدَّوام أستطيعُ أن أتقبَّل حَقارة طبيعتي بلذّة 139 (ورِضَى).

2. **في الطّاعة و الخضوع و التّواضُع**: لا يَقدر الذّهن أن يُطيع (و يَخضع لإرادة الراهب) ما لم يُخضِع له الجسد أولاً 140. فملَكة الذّهن كامنة في صَلب الجسد 141.

مَن يُخضِع ذاتهُ للّه لن يكون بَعيداً عن أن يَخضَع له الكلّ [ذاته بكليّتها] و مَن يَعرف نَفسَه تُعطى لهُ مَعرفة الكُلّ، لأنَّ معرفة الذّات هي ملء معرفة الكلّ. بطاعتكَ (للّه ووصاياه) يَخضعُ الكلّ لكَ 142.

عندما يَسُود التّواضُع فيكَ تَخضع نفُسكَ لكَ، و مَعها يَخضع الكلّ [تسود على ذاتك بكليّتها] عندئذٍ ينبعُ سلامُ اللّه في قلبكَ. أما إذا بقيتَ غَريباً عن التّواضعُ، فستكونُ عُرضةً للأهواء، وللنوائب 143 أيضاً

التّواضعُ الحقيقيّ وليد المعرفة [معرفة الذّات، و معرفة الأسرار الإلهيّة] والمعرفة (الروحيّة) الحقيقيّة وليدة التّجارب [الخُبُرات التي يَكتسبُها المُجاهد من حروبه الرّوحية] فلا تَكفَّ ياربّ عن أن تَدعونا إلى التَّواضُع 144.

137 عندما يرغب الراهب في تَتميم إرادته الذاتيّة، تَتولّد في نفسه تخيُّلات شتّى. فإذا رغب، مثلاً، في الرئاسة، تتولَّد في ذهنه تخيّلاتٌ عن ترؤسه الأديار وإدارة شؤون الرُّهبان... فيُظلم ذهنُه ويَخسَر جهادَه، ولا يَعمل مَشيئة الله.

138 يقول القدّيس إسحق إنّ الربّ بموته على الصَّليب حرّره من الأفكار الباطلة.

139 يصعُب على الراهب، بسبب طبيعته البشريّة الساقطة، أن يَتقبَّل ضعفه. لكنّه عندما يَرى تواضُع الربّ، يَصير قادراً على تقبُّل ضعفه و حقارة طبيعته.

3. **في أنّ صَلبَ الجسد يتمّ بالتحرّر من الأهواء:** " إنّ الذين هم خاصّة المسيح صَلبوا جسدَهم بما فيه من أهواء و شهوات" 145 . هناك طريقتان للصّعود إلى الصّليب : الأولى صَلب الجسد، و الثانية الارتقاء إلى " الثاوريا" (المُشاهدة) 146. الأولى (صَلب الجسد)، تتمّ بالتحرُّر من الأهواء، والثانية (تحصل) بفعل الرّوح القُدس 147.

140 لا يستطيع الراهب أن يُحافظ على نقاوة ذهنه إذا أطلقَ العَنان لنَزوات جسده. لأنّ شهوات الجسد تملأ الذهن بالأفكار و الذِّكريات الفاسدة.

141 صَلب الجسد يعني إخضاع نَزواته باليقظة والتَّقوى والصلاة الدّائمة والتأمل في الكتب المقدّسة وكتابات القديسين، و مُمارسة أعمال الرَّحمة.

142 على الراهب أن يعرف ذاته (ومكامن ضعفه، فيُحاربها) لكي يُخضع ذهنه و إرادته وجسده له. و التواضُع شرطٌ لهذا كلّه.

143 النَّوائب: الحوادث المُعاكِسة، التي تُسبب الضّعف و التَّشوُّش.

144 خبرة الجهاد تُولِّد المَعرفة الروحيَّة، وهذه تُولِّد التَّواضُع. فالتّواضُع يُقتنَى بالجهاد.

145 غلاطية 5 : 24

146 أي مُعاينة الله من خلال خبرة روحيّة داخليّة.

147 يقول القديس سيرافيم ساروف إنّ غاية الحياة الروحيّة هي اقتبال الروح القُدس، وهنا يقول القدّيس إسحق إنّ الراهب بعد أن يصلب جسده بما فيه من أهواء وشهوات، على مِثال المسيح، يبلُغ مرحلة الثاوريا التي تتمّ بفعل الروح القُدس.

= المقالة التَّاسعة عشرة=

1. **في التّواضُع والرّحمة:** كما أنّ الظلّ يَتبع الجسد، هكذا الرّحمة تَتبع التّواضُع (المُتواضع يصير رحيم القلب بالضّرورة). [أما المتكبّر فيعجز عن عمَل الخير لأنّ قلبَه يَخلو من الرّحمة.]
2. **في التّواضُع:** التّواضُع هو رائحة آدم قبلَ المَعصية، والتي انتُزِعَت منّا. غير أنَ يسوع جَدَّدها فينا وأعادَها إلينا بُحضوره الذي عطّرَ (طيَّبَ) الجنس البشريّ 148. [لهذا، فتواضُع القلب هو بابُ المَلكوت 149].
3. **في الإيمان وتدبير الربّ وعنايته:** إذا آمنتَ بالربّ القادر على حِفظكَ ، فلا تهتمّ، بل قُل لِنفسكَ: إنَّ الذي سلّمتُهُ ذاتي يكفيني في كلّ شيء، ولم أعُد أنا المدبّر لحياتي بل هو. وعندئذٍ تُشاهد عجائب الله بالفعل وتَرى أنه قريبٌ لإنقاذ الذين يخافونه، و أنّ عنايتَه (حاضرةٌ دائماً) ، وتَشمل (خائفيه) بحالٍ غير مَنظورة.
لا تَشكّ بوجود حارسكَ الكائن معكَ بمحبّة ويَشملُك بمحبّته و عنايته (الدَّائمة). إنه لا يُرى بالأعين الجَسديّة، مع أنه يُمكن أن يُعلَن للأعين الجسديّة بُغية تَشجيعكَ 150.
4. **في الصّلاة بلا ملل ولا فُتور:** صلِّ بلا مَلل وتضرّع بحرارة واطُلب باجتهاد كثير لتَنال الحِماية (من هَجمات التّجارب)، و احذر من أن تتراخى فيما بعد. وسوف تَستحقُ الحماية إذا أَرغمتَ ذاتكَ على وضع همّكَ لدى الله بإيمانٍ، و استبدلتَ عنايتكَ الذاتيّة بعنايته، (لأنك لا تَقدر أن تَدفَع عنك التَّجارب بقوّتك الذاتيَّة).
عندما يرى الله أنكَ آمنتَ به بفكرٍ طاهر أكثر من إيمانكَ بنفسكَ، وأنكَ أرغمتَ ذاتكَ على الرّجاء (الثقة) بهِ أكثر من رجائكَ (ثقتك) بنفسكَ، فسيُظلِلُكَ بتلكَ القوّة (قوَّة عنايته و الثّقة بها)، وتُدرِك إدراكاً حسّياً أكيداً القوّة التي

حلَّت فيكَ، والتي يحسُّ بها كثيرون (من المُجاهدين)، فيَعبُرون في وسط النّار من دون وَجَل ويمشون على المياه من دون خوف. لأنَّ الإيمان يُقوّي النَّفس و يجعُلها تُحسّ بوجود كائن غير منظور 151 يَحثُّها على عدم الاكتراث للمَشاهد المُخيفة والمَشاهد التي لا تَستطيع الحواسّ أن تَحتملَها 152.

---

148 الطِّيب والعُطور بلُغة النّسك هي رائحة القَداسة وأريج الفَضائل. يسوع عَطَّرَ بحضوره جنس البشر لأنه فتح لنا باب القداسة بعد أن خسرناها بسقطة آدم.

149 القدّيس يوحنّا السلّمي ، السلّم إلى الله، 25 : 30.

150 يُرسل الله أحياناً الملائكة إلى النسّاك لأجل تشجيعهم وتَعزيتهم.

5. **في فوائد التّجرّد من كلّ معونة منظورة، و النِّعَم المرافِقة لذلك:** عندما يَتجرّد الإنسان من كلّ مَعونة مَنظورة وكلّ رجاء بشريّ (رجاء بمعونة بشريّة) 153 ويَتبع الله بإيمانٍ وقلبٍ نقيّ ، 154 تَتبعُهُ النّعمة حالاً، و تَكشف له قوَّتَها بمساعداتٍ مُتنوّعة. تُريه (النِّعمة) معونتَها أولاً من خلال الأشياء الظّاهرة التي يحتاجُها الجسد، فيُدرك قوّة عناية الله بهِ بشكلٍ أفضل. ويَتأكّد من الخفيّات بإدراك الظّاهرات، 155 لأنّ حاجتَهُ تُهيّأ من دون أن يَهتمّ بها 156

كما أنَّ المعونة (الإلهيّة) تُنقذهُ من أضرارٍ كثيرة مُداهِمة، و تتقيه في أحيان كثيرة من ظُروف خَطِرة يَجهلُها، و تُقصيها (المعونة) عنه بأُعجوبة كبيرة، من دون أن يُحسّ بها. وتَصونُه كما تَصون الدّجاجة فِراخَها، كي لا يمسَّها ضَرر، و تُريه بعينيه كيف أوشَكَ على الهلاك، لكنَّه مع ذلكَ حُفِظَ بغير أذى.

ولا تَكتفي نِعمةُ المَعونة بالظّاهرات، بل تُدرّبهُ أيضاً في الأمور الخَفيّة و تَكشف له مكائد الأفكار والمعاني (الباطلة)، الصَّعبة وغير المُدرَكة، فيَسهُل عليه إدراكُها (تمييزُها و معرفة مصدرها) ومعرفة تسلسُلها وكَشف خِداعها 157 . ويَعرف (ويُميِّز) الأفكار (الفَاسدة) التي تَلتصق به، وكيف تَتوالد بعضُها من بعض و تُهلِك النَّفس، فتُخذَل أمام عينيه مكائد الأبالسة وقَواعد (أُصول حِيَل) أفكارها، وتمنحُهُ فَهماً لمعرفة المُستقبَلات 158، ويُشرِق في قَلبه البَسيط 159 نورٌ خفيٌّ لإدراك قوة معاني الافكار الدّقيقة في كل شيء 160، وتُريه كما بإصبع (يُشير إلى) المصائب التي كانت مُزمَعة أن تحلَّ بهِ لو لم يَستدركها.

---

151 حضور الله نفسه، والإحساس بعنايته.

152 المقصود هنا المَشاهد الناشئة عن خداع الشياطين لحواس الراهب، فيرى ويَسمع ويُحسّ بأمور مُخيفة ومُرعِبة يَصعُب عليه احتمالُها.

153 التجرّد من المعونة المنظورة، ومن الرّجاء البشريّ، يعني أن لا يَتوقَّع المُجاهد مُساعدةً أو نجدةً أو نُصرةً، أو إنصافاً، أو عدالةً من أحد من الناس، وبالتالي، أن لا يَضع رجاءه في إنسان. ويلي ذلك أن لا يأمل في معونة بشريّة، و أن لا يطلُبها ، بل أن يتّكل على الله وحده، بالصَّلاة . هذا النّوع من التجرّد صعب، لكنه فضيلةٌ تدلّ على عمق الإيمان بالله والرجاء بمعونته وحدَها . وقد يبدو للمبُتدئ في الحياة الروحيّة أنّ المعونة البشريّة هي أقرب مَنالاً، بخاصةٍ إذا أمكن الاعتماد على الأخصّاء و الأقربين لكنّ فضيلة التجرّد تُعلِّمُنا الاتّكال على الله أولاً، لأنّ مَعونة البشر محدودةٌ وضعيفة وعُرضةٌ للفشَل، و فيها مِنَّةٌ أحياناً، وقد تُخيِّب مُلتمسيها، وكثيراً ما تكون في غير محلّها بخلاف معونة الله الأكيدة ، والتي لا حدّ لها.

154 إنّ فضيلة التجرّد هي من مَظاهر نَقاوة القلب، وعلامةٌ لها.

وهكذا يَعي أنّ كلّ شيءٍ، كبيراً كان أم صغيراً، يجب أن يُطلَب من خالقه بالصّلاة.

6. **في التَّجارب المُرافقة لفضيلة التجرّد من المَعونة البشريّة**: متى ثَبَّتت النّعمة الإلهيّة عقلَ المُجاهد في هذه الأمور كلّها (المذكورة آنِفاً، وتعلَّمَها و حَفِظَها جيِّداً)، وجَعلتهُ (النِّعمة) يَثق بالله، يبدأ بالدّخول في التّجارب (الشّدائد) التي تَبدأ قليلةً، ثم يَسمح الله بأن تَتكاثر إذا كان باستطاعته احتمال قوَّتها (أي يُجرِّبُه الله على قَدر طاقته). وفي أثناء التّجارب تأتيه المَعونة الإلهيّة بصُورة حسيَّة لتشجيعه، حتى إذا تَروَّضَ بها تدريجاً يَقتني الحكمة، متَّكلاً على الله و مُزرياً (هازماً وذالاً) أعداءه في أثناء الحروب الرّوحيّة. [فالتّجارب تنشئ الحكمة]. 161 ويُحسّ بإلهه، ويُدرك عنايتَه، فيتوطّد في الإيمان به سريّاً (بطريقة سريّة). هذه كُلُّها يُحسّ بها بسبب قوّة التّجربة الآتية عليه (والتي انتصرَ عليها بالثَّبات في الجهاد، بمعونة الله). أمّا إذا رأت النِّعمة الإلهيّة أنَّ الإنسان أخذَ يَتعظّم بفكره ويَتكبّر، فإنها تَسمح بدخوله في التّجارب فوراً، و بشكلٍ أقوى و أشدّ، لكي يَعرف ضُعفه ويلجأ إلى الله بتواضُع، و بذلكَ يَبلُغ مرتبة الرَّجُل الكامل ويَرتفع إلى محبّة (الله) بالرّجاء (أي بالثقة بالله والاتّكال عليه)162.

---

155 يُدرك الإنسان عناية الله الخفيّة من خلال الماديّات الظّاهرة التي أعطاه الله إياها تلبيةً لحاجات جسده.

156 لهذا قال الكتاب: " اعتصم بإلهك ولا تَعتصم بذاتك" (مزمور 90 : 9)

157 مَعرفة تَسلسل الأفكار التي يوسوسها إبليس : أي الترتيب المنطقيّ لتلك الأفكار، من جُذورها إلى غايتها النهائّية. مثلاً قد يُغري الشرّير الراهب بمغادرة صَومعته لخدمة المرضى و معونة الفقراء، فيتشتّت وتَضعُف صلاتُه ويقع في التجارب. والراهب يَكتشف عناية الله به عندما يكشف له الله حيلة إبليس هذه، بتسلسل أفكارها.

158 ليس المقصود هنا التنبؤ بما سيحصل في المُستقبل، بل استشراف المستقبَلات وإدراك النَّتائج (الفوائد أو العواقب) على صعيد الحياة الروحيّة.

159 القَلب البسيط: غَير المُنقسم وغير المجزَّأ بسبب التشتُّت وكثرة الانشغالات

160المقصود هنا الحكمة والتَّمييز ووضوح الرؤية. متى تعلَّمَ المُجاهد فضيلة التجرّد والاتكال على الله، يُرسل له الله التجارب على قدر ما بوسعه أن يحتمل، ويُعلِّمُه ويُعينُه في أثنائها، لينتصر عليها، فينال الخبرة الروحيَّة ويتعلّم

7. **في أنّ التجارب هي علامة محبّة الله:** إنَّ محبّة الله عَجيبة. فهو لا يُظهِر قوَّتهُ التي تُخلّص الإنسان إلاَّ عندما يَكون في غَمرة التجارب التي تَقطَع منهُ الرَّجاء الأرضيّ، فيَشعُر أنّ لا معونة له. والإنسان لا يَقدر إطلاقاً أن يَعرف قوَّة الله وهو في الرّاحة والرفاهيّة؛ والله لا يُظهِر قوَّتهُ بصُورة حسيّة إلاَّ في مكان السّكينة والقَفر (المملوء بالعبادة والعَمَل النسكيّ)، وفي أمكنة خالية من الحديث وضوضاء النّاس.

لا تَستغرب أن تُحيط بك الشّدائد الصّعبة والقويّة عند بداية اكتسابك للفضيلة. لأنها لا تُعَدُّ فضيلةً تلك التي لا تُمتَحَن في الصُّعوبات. إنّ وجود الصُّعوبات يَجعلُ الفضيلةَ فضيلةً. (الفضيلة لا يُمكن نوالُها و إتمامُها من دون جهاد ومَشقّة وألم). وكلّ فَضيلة تَتمّ بحسب وصيّة الرّوح (تطبيقاً للوصايا الإلهيّة) تُدعى صليباً 163. "فكلّ مَن أراد أن يحيا في المسيح يسوع حياة التّقوى أصابه الاضطهاد" 164 وقال الربّ:" من أراد أن يتبعني فليُنكر نفسَه وليحمل صليبهُ كلّ يوم ويتبعني " 165. لهذا استَدرِك الأمر (تَراجَع عن تهاوُنك قبل فوات الأوان) وتخلَّ عن الرّاحة وخُذ المَوت على عاتِقكَ (تقبَّل المشقّة)، واجعل الصّليب أمامكَ واندفِع للسّير وراءهُ 166.

8. **في الزُّهد وقوّته التي لا تُقهر:** الزُّهد من أشدّ الأمور وأقواها. إنه لا يَعرف الغلَبة لا من اليمين (المسّرات) ولا من اليسار

من خلال ذلك الحكمة ويزداد إيمانه بالله و بمعونته.

161 رومة 5 : 1 –5

162 هناك نوع آخر من التجارب يُرسلُها الله إذا اعتدّ المجاهد بنفسه وتكبَّر، فيُدرك ضعفه وحاجته إلى الله، ويتعلّم بواسطة التجارب الاتكال على الله. وفي كلا الحالَين، فإنّ انتصار الراهب على التجارب، بسبب المعونة الإلهيّة، يُقوّي ثقتَه ورجاءه بأنّ الله سوف يُعينُه دائماً، وهذا الأمر يزيده محبّةً لله.

163 تُسمّى الفضائل صليباً لأنها تُقتَنى بالمشقّة والألم والجهاد الكثير.

164 2 تيموطاوس 3 : 12

165 مرقس 8 : 34 – 35

166 اجعل الصليب أمامك: اجعل غايتك اكتساب الفضائل.

(المُحزنات). لا يُوجد أكثر جُرأةً من الذي يُصمّم بفكرِه على قَطع آماله من هذه الحياة، فبهذا لا يَتجاسر أحدٌ من أعدائه 167 على مُقاومته، ولا تَستطيعُ شدّةٌ أن تَردَّهُ عن هدفه، لأنَّ الضِّيق أدنى من الموت بالنّسبة لمن عزَمَ على قُبوله 168. إذا عقدتَ العَزمَ على العمل والجهاد واحتمال الحُزن، تُصبح جريئاً ومُتيقّظاً في مُقاومة الصُّعوبات، وتَزول منكَ الأوهام المُجزعة والمُرهبة المتولّدة من الأفكار المُشوِّشة النّاجمة من الرّاحة، وتَبدو لكَ المشاقّ التي تَعترضُكَ سَهلةً، وتُحقّق كلّ ما تَشتهيه في كلّ زمان ومكان. وسترى أنَّ الأُمور التي تظنُّها مؤذية هي مُفيدة لكَ، و أنّهُ لن يُصادفَكَ شيءٌ مُضِرٌ مِن بَعد.

9. **في القوّة الفائقة للفضيلة**: عندما يكون الذّهن غيوراً في الفضيلة 169 لن تَستطيع الأعمال (الأفكار) الغريبة الصَّعبة الطارئة (التي ليست من الله)، ولا القوّة الطّبيعية المَحدودة (الميُول والرّغبات والمخاوف) أن تَتغلّب على حواسّه الظّاهرة (المُستنيرة بالفضيلة).

عندما يَحتدم القلب بغَيرة الرّوح، يَتوقّف الجسد عن الحُزن في الشّدائد وعن الجزَع في المخاوف، ويَقف الذّهن إلى جانب القلب مُحارباً جميع التّجارب ومُقاوماً إياها بصلابة الفولاذ. فلتكُن غيرتُنا كغيرة الرّوح 170 كما يشاء يسوع، ليَطرُدَ عنّا كلّ إهمالٍ يؤدّي بعقولنا إلى التَّواني. لأنّ الغَيرة تَلد الشّجاعة وعزّة النّفس ونَشاط الجَسد

---

167 أعداء نفسه: رغبات جسده، وشهوات العالَم، وذكرياته الباطلة، و أهواؤه، و الشّياطين؛ أنظر المقالة 83 ، الفقرة2.

168 مَن كان على استعداد للجهاد حتى الموت، لن يكترث للضيقات.

169 أي عندما يكون الذّهن في شوق شديد إلى الفضيلة، وفي جهاد لاقتنائها، و غيوراً على المُحافظة عليها.

170 " إن الرّوح الذي جَعلهُ فينا يَغَارُ شَوقاً" (يعقوب 4 : 5 ؛ رومة 8 : 26).

171 الغيرة تولّد الرّغبة في النشاط والجهاد.

172 أُنظر التَّحديد النسكيّ لعبارة "الخوف" في المقدّمة، الفقرة 5.

173 المكافآت الروحيّة التي ينالُها المجاهد كاعتراف من الله بأتعابه وثمار جهاده.

174 إنّ الغَضَب ضدّ الخطيئة والأهواء يَرفع عن المجاهد ألم الجهاد و يُولِّد فيه غيرةً تجعلُه يَثبت في الجهاد فينال من الله أكاليل أي مكافآت جهاده.

= المقالة العشرون=

1. **في قيمة التّواضعُ وسموّه:** التّواضعُ وشاح الألوهة، لأنَّ الكلمة المُتجسّد تَسربَلَهُ وكلّمَنا عنه من خلال أجسادنا (حين أخذَ جسداً مثلنا). فكلّ مَن تَسربَلَ التَّواضُع يَتشبّه حقاً بذاكَ الذي انحدرَ من عُلوّه وغَطّى فضيلةَ عَظمَته بالتَّواضُع و سَتَرَ مجدَه به، كي لا تَلتهبَ الخليقة بمنَظره.

مَن يرتَدي وشاح التَّواضُع الذي ارتداهُ الخالق، يَرتدى المسيح. لأنَّ الوشاح الذي ظَهَر به لخليقته وتصرّفَ فيه، أحبَّ أن يُلبسَهُ لإنسانه الدّاخليّ ويَظهرَ به على عِباده الذين تَشبّهَ بهم، فتَزيّنَ به عِوضَ لباس المجد.

2. **في تَعريف التَّواضُع وصِفات الشخص المُتواضع:** التّواضُع قوّة خفيّة يَنالُها القدّيسون الكاملون بعدَ تمام سيرتهم. ولا تُعطي النّعمةُ هذه القوّةَ إلاَّ للكاملين في الفضيلة، وبمقدار ما تَستوعب الطَّبيعة البشريّة175.

ليس المُتواضع مَن يَتذلّل بتَذكُّر سَقطاته، و يَنسحق قلبُه ويتّضع ذهنهُ. لأنَّ فكر الكبرياء قائم فيه، و إن كان هذا العمل (التذلُّل وانسحاق القلب) ممدوحاً وليس المُتواضع هو الإنسان الرؤوف، الهادئ، الفهيم، الوديع بطبيعته. بل المُتواضع هو مَن يَملك في سريرته شيئاً جديراً بالعظمة ولا يُفاخر به، ويَعتَبر نَفسَه تُراباً.

المُتواضع الكامل لا يحتاج إلى الوسائل والأسباب العقليّة في تواضُعه. فهو اقتنى التّواضُع بصُورة كاملة، طبيعيّة، كمَن يَتقبّل بدون جهد موهبةً عظيمةً تَفوقُ كلّ خليقة وطبيعة، ويرى ذاته مثلَ خاطئ وحقير ومَرذول. وهو يَدخُل إلى أسرار الطّبائع

كلّها، لأنَّ كمالهُ في الحكمة والدقّة يَفوقُ الخليقة، ومع ذلكَ يَعتبر نفسَه جاهلاً، و تكون هذه حالة قلبه 176 من دون أيّ تَكلُّف.

---

175 التواضعُ لا حُدود له لأنه من صفات الألوهة (أنظر فيلبيّ 2 : 6–8)، ولذلك فإنّ طبيعتَنا البشريّة المحدودة لا تستوعب إلاّ قَدراً مَحدوداً من التَّواضُع.

176 حالة قلبه: التَّواضُع حالة قلبيّة، وليس مَظهراً أو تَصرُّفاً خارجياً.

177 في أعمال الفضائل قوّة روحيّةً سريّةً تُمكِّنُه من اقتناء درجة عالية من التّواضُع

178 أعمال 2 : 1 – 4؛ 1 : 4 –5.

3. **في كيفيّة اقتناء التَّواضُع**: هل يُمكن أن يُغيّر الإنسان طَبيعتَه ويُصبح مُتواضعاً على هذا النحو؟ لا تَشُكّ في ذلكَ ! إنَّ القوّة السريّة الموجودة في أعمال الفضائل 177 تُكمّل هذه الأمور فيه (ليصير عنده مُميّزات التواضُع)، وهي القوّة عينُها التي قَبِلَها الرسُل المغبوطون بشكلٍ ناريّ (في يوم العنصرة)، ومن أجلها أوصاهم المخلّص ألا يبرحوا أورشليم حتى يَنالوها من العلاء 178. أورشليم هي الفَضيلة، والقوّة هي التّواضُع أما القوّة من العلاء فهي المُعزّي، أي الرّوح القُدس 179. وعلى هذا قال الكتاب الإلهي إنّ الأسرار تُعلَن للمُتواضعين 180. إنّ روحَ الإعلان هذا الذي يكشف الأسرار، لا يؤهَّل لقبوله إلاَّ المُتواضعون. فالتَّواضُع يُكمّل النَّفس بالرؤى الإلهيّة.
4. **في كمال التّواضُع**: كمالُ التَّواضُع أن يَتغلّبَ الإنسان على الأرواح المُضادّة (روح الكبرياء و المباهاة والادّعاء والانتفاخ وحبّ الظّهور)، و ألاَّ يَدَعَ شيئاً من أعمال الفَضائل من دون أن يُتمَّهُ ويَكتسبه، و أن يَنتصر على الأعداء (الرّوحّيين، أي الأهواء والتّجارب والشّياطين وشهوات العالم) ويُذلِّل حُصونَها كلّها بشخصه. ثمَّ يُحسّ أنّ الرّوح (الإلهيّ) قد قَبِلَ الموهبة (قَبل جهادَنا وارتضى به، فيَشهد مَعَنا) كما يقول الرسول " الرّوح يَشهد مع أرواحنا " 181. طوبى لمن اقتنى التّواضُع لأنهُ يَغمر حِضنَ يسوع ويُقبّلهُ في كلّ لحظة. 182

= المقالة الحادية والعشرون=

1. **في مَعرفة الضّعف، و التَّواضُع**: " طوبى لِمن يَعرف ضعفَهُ"183 ، لأنَّ هذه المعرفة تُصبحُ أساساً وجَذراً وبدايةً لكلِّ صلاح.184 فعندما يَعلم أحدٌ ضعفَه ويُحسّ به

179 أعمال الفضائل تُنشئ في النفس قوّةً سريّة هي قوّة التواضُع، التي هي أيضاً قوّة الروح القُدس السريَّة التي نالها الرسُل في العنصرة، والتي تؤهِّل المجاهد لنَيل الأسرار الإلهية التي لا تُكشَف إلاّ للمتواضعين.

180 مزمور 24 : 14 ؛ مزمور 16 : 15 ؛ متى 5 : 8 و 13 : 11؛ 1 كورنتس 2 : 11– 12 ؛ 2 كورنتس 3 : 18 ؛ عبرانيين 12 : 14 ؛ 1 يوحنّا 2 : 3

181 رومة 8 : 16

182 إشارة احتضان يسوع للأطفال وقوله: " إن لم تعودوا كالأطفال (في تواضُعهم) لن تدخلوا ملكوت السَّماء" 0متى 18

183 أيوب 37 : 7

إحساساً حقيقياً ، يَضبط نفسَه ويَشدّ ارتخاءها (الذي يُشوّش المَعرفة) ويَجعل لنفسه حِصناً منيعاً (ضدّ التّجارب وهجمات الأهواء).

لا يَقدر أحد أن يُحسّ بضعفه ما لم يُسمَح له بالتَّجربة، سواءً في ما يؤلم الجسد أم النّفس. و إذ يُقارِن مَعونة الله بضعفه، يُدرِك عَظَمَة (المَعونة الإلهيّة) 185.[المشقّة تولّد التّواضُع الذي يُعين المجاهد في الحفاظ على الفضيلة، والله يؤدِّبُنا ليُشركَنا في قداسته]. 186

2. **في أنّ الصّلاة أمّ التّواضُع، وملجأ وعَون، وترسٌ، وينبوع خلاص**: إذا أدركَ الإنسان أنه يَحتاج إلى المعونة الإلهيّة ، عليه أن يُضاعف صلواته، وبمقدار ما يُضاعفُها يَزداد قلبُه تواضُعاً، لأنّ مَن يَطُلب ويَسأل يَتواضَع رُغماً عنه. وما دامَ القلب فاقداً التَّواضُع، لن يَكفّ عن التشتّت، لأنَّ التّواضُع يَضبط القلب.
عندما يُصبح الإنسان مُتواضعاً تُحيط به الرّحمة حالاً، ويُحسّ قلبُه بالمعونة الإلهيّة، لأنه يجد قوّةً مليئةً بالثّقة تتحرّك فيه. ومتى أحسَّ بالمَعونة الإلهيّة، أي بحضور قوّة تُساعده، يمتلئ قلبُه بالإيمان ، ويُدرك أن الصّلاة ملجأ وعون وينبوع خلاص وكَنز ثقة و ميناء مُنقِذ من العاصفة، ونورٌ للذين في الظَّلام وسِترٌ في التَّجارب و سَندٌ للضُعفاء و مَعونةٌ عند اشتداد المرَض ، ودرعٌ مُنقذٌ في الحرب (الجهاد) وسَهمٌ مُصَوَبٌ ضدَّ الأعداء (الأهواء والتجارب وهجمات الشياطين ومُغريات العالم). 187

184 المُتواضع يعرف ضعفه، بل ويسعى إلى معرفة ضعفاته ويُقرّ بها، فيكون ذلك تأكيداً لتواضُعه، و سبيلاً لمُداراة ما به من ضعفات وتسليمها للربّ لتقويته، فلا تغلبه، وأيضاً سبيلاً لمُحاربة ضعفاته الروحيّة، كالأهواء والشهوات. أما المُتكبِّر فيستحيل أن يعرف ضعفه ويُقرّ به، لأنه في الظلام، ويبقى قابعاً فيه. المقالة الثّالثة عشرة، الفقرة3.

185 التَّجربة الجسديّة أو النَّفسيّة أو الروحيّة تَجعل الشخص يُدرك ضعفه، فيتواضَع وعندما يَستغيث بإلهه، فيُنجدُه، يُدرك عظَمة معونة الله، فيزيده هذا الأمر تواضُعاً. الله أحياناً يُوقع المشقّات بالمُجاهد ليعلِّمه التواضُع.

186 عبرانيين 12 : 5 –10

187 عندما يحسّ الإنسان بحاجته لمعونة الله يُضاعف صلاته، وبذلك يتواضُع، و تُحيط به رحمة الله، فيَقوى إيمانُه ويبتهج قلبُه بالثقة بالله ويتخلى عن تصلُّبه السابق، وعن الكلام البطّال، ويُدرك أنّ الصَّلاة ملجأ في جميع الظُّروف وقاهرة للأعداء، و يَقتنيها مثل كنز.

إنّ كلّ هذه الصّالحات هو الصّلاة. منه يَدخُل الإنسان و يَتمتّع بنعيم صلاة الإيمان. أما قلبُه فيبتهج بالثِّقة بالله، مُتخلّياً عن التّصلّب السّابق، وعن الكلام السخيف (البطّال). فإذا أحسَّ بهذهِ الصّالحات، يَقتني الصّلاة مثل كنز 188، و من شِدّة الفرح تَتحوّل صلاتهُ إلى أصوات شُكريّة.

3. **في أنّ الإحساس بالضّعف حافزٌ على الصّلاة**: جميع هذه الخُبرات تتولّد في الإنسان نتيجة إحساسهِ بالضّعف، لأنّهُ لِشدّة حَنينه إلى مَعونة الله يُصلّي أمامه بصبرٍ وثَبات. و بمقدارٍ ما تَصبو نفسُه إليه يقترب الله منه، مُغدقاً عليه نِعَمَه، 189 ولا يَرفعُها عنهُ لكثرة تواضُعه 190.

إنَّ البارَّ الذي لا يَعرف ضعفه يَضَع أُمورَه على حَدّ السّيف 191 ولا ينجو من شدق الأسد المُفسِد، أي من شيطان الكبرياء. ومَن لا يَعرف ضعفه يُعوِزُه التَّواضُع 192، و من يُعوِزُه التَّواضُع يُعوِزُه الكمال الذي يُحرّر الأنسان من الخوف. 193 (فالكمال هو عمق التَّواضُع) . 194

4. **في أنّ انسحاق القلب و مَقت الكبرياء سبيل التَّواضُع**: لا يقدر أحد أن يَقتني التَّواضُع ما لم يقتنِ مَناهجهُ التي هي انسحاق القلب ومَقت الكبرياء. لأنَّ العدوُ يُفتّش عن أثر عِلّة 195 لِيُميل الإنسان نحوهُ.

188 عندما يَنال المجاهد ثمار الصلاة يُدرك قوّتها ويُقدِّر قيمتها، فيَعتبر الصلاة كنزاً لا يُقدَّر بثمَن، و يُثابر عليها بحرارة و إلحاح.

189 إحساس الإنسان بالضّعف يجعلُه يشتاق إلى مَعونة الله، فيلجأ إليه بالصّلاة، و يَكتسب الخُبرات والمواهب والفضائل.

190 بهذا يجعل القدّيس إسحق التَّواضُع حارس جميع المواهب والإنعامات والفضائل.

191 يُعرّض نفسه للخَطَر و السُّقوط.

192 المتواضع يَرتضي على نفسه الضّعف والخطأ، أما المتكبِّر فيأبى على نفسه الضعف والخطأ، و لذلك فهو لا يعرف ضعفه. و الأسوأ من ذلك أنه ينسب إلى ذاته فضائل ومواهب ليست فيه.

193 التواضع بداية طريق الجهاد في سبيل الكمال الرهبانّي، الذي يُحرِّر مَن بَلغَه من الخوف على الجسد، و الخوف من العوَز والخسارة... لهذا فمَن لا يتواضَع يُعوزِهُ الكمال ويبقى أسير مخاوفه.

194 أنظر المقالة 81، الفقرات 1 و 4 و 9 و 10؛ أنظر الحاشية 208.

195 يبحث إبليس ولو على قَدر قليل من الكبرياء في الإنسان، وهذا القليل يكفي ليستميلَ إبليسُ الإنسانَ نحوه.

إنَّ عمَل (جهاد) الإنسان من دون التّواضُع لا يكون كاملاً (ويَبقى مُبتدئاً في الحياة الروحيّة، يُراوح مَكانه)، ولا يُوضَع خَتم الرّوح على حُريّته (من التّجارب و المَخاوف والأهواء)، بل يَظلّ عبداً (لنَزواته)، و عمَلهُ لا يتخطّى مرحلة الخوف 196. فلا يُمكن لأحد أن يُصلِح عمَله من دون تواضُع، ولن يتأدّب من دون تجارب، ولن يَبلغَ إلى التَّواضُع من دون تأديب 197.

5. **اليقظة ومعرفة الضّعف الذاتيّ، و طلب معونة الله**: على الإنسان، أن يَكون أثناء قيامهِ بعمل الصّلاح مُتنبّهاً صاحياً، و أن يَحفظ نفسهُ، و أن يُفكّر أنَّهُ مَخلوق و أنَّهُ سَهلُ التحَوُّل. كلُّ مَخلوقٍ يحتاج إلى قوَّة الله العاضِدة، و كلُّ مَن يَحتاج إلى عضدِ الآخر هو ضَعيف بالطّبيعة.

ومَن يعرف ضعفهُ يحتاج بالضَّرورة إلى التَّواضُع حتى يَنال حاجته من (الله) القادر على العطاء. لو عرفَ الإنسان ضعفه و أدركهُ مُنذ البداية، لما تَهاونَ. ولو لم يَتهاون لما نامَ و أُسلِمَ إلى أيدي مُضايقيه (التجارب و مُغريات العالم وهجمات الشياطين).

6. **السّقوط يجلب اليقظة و النُّهوض من الكبرياء**: على مَن يسير في طريق الله أن يَشكرُه على كلّ ما يُصادفُه وأن (يّتضع) ويَلوم نفسَه و يُحقِّرُها، عالماً أنَّ سقوطه هو بسبب تهاوُنه، و أنَّه يحتاج إلى السّقوط ليَستيقظ عقلهُ من الكبرياء. فعليه ألا يرتعِد و يَهرُب من ميدان الجهاد، بل أن يَلومَ نفسَه حتى لا يكون الشرُّ فيه مُزدَوجاً (أي الكبرياء والهرَب من الجهاد).

196 أنظر المقالة 19، الفقرتين 1 و 2

197 في هذه الفقرة يَجعل القدّيس إسحق التواضعَ بداية وأساس الجهاد، الذي تتخلّله، بالضَّرورة، تجارب و تأديبات من الله، تحمل المُجاهد على التواضُع؛ وتؤدّي تأديبات الربّ إلى حُريّة المجاهد من المخاوف والأهواء، حين يَبلُغ درجة الكمال وينال ختم الروح على عمله الرهبانيّ، أي المواهب المتنوَّعة وأكاليل القداسة.

= المقالة الثانية والعشرون=

1. **في العمل الصّالح و الاتّكال على الله:** ما لم تُتقِن عمَلاً ما يدلّ على إيمانكَ 198، فلا تَمدّ قدمَيكَ إلى البطّالة وكأنّكَ تَعمل أعمال الله. ولا تَقُل إنّي أؤمن بالله، وهو يمنحُني كلّ ما أحتاج إليه. و إذا كان ذِكرُ الله بعيداً عنك بالكليّة، فلا تُلقِ بنفسكَ في بئر (التجارب والشهوات) بغباوة، ثمّ تقول إني متوكّل على الله، وهو يُنقذُني.
لا تضِلّ أيها الجاهل! إنّ التَّعَب من أجل الله و التَّعرُّق في عمل الوصايا يَسبقان الاتّكال على الله (الرّجاء). فإذا كنتَ تؤمن بالله، فحَسناً تفعل. لكنّ الإيمان يحتاج إلى أعمال (الجهاد)، و الرَّجاء لا يَظهر جليّاً إلا في أثناء إتمام الفضائل و احتمال المشقّات. أتؤمن أنّ الله يَعتني بمخلوقاته وأنّه قَديرٌ على كلّ شيء؟ فليكُن إيمانُكَ مَقروناً بالعمل المُناسب، 199 وعندها يُستَجابُ لكَ. فلا تُحاول أن تَقبض على الهواء بكفّكَ، أي أن تَقتني الإيمانَ من دون أعمال200.
2. **في الرَّاهب الخَمول:** لا يَقدرُ الرَّاهب الخَمول المُتكاسل أن يَحصل على الرّجاء في أعماله (أي أن يتّكل على الله لمُعاضدته)، بعكس الرّاهب الذي يَبقى مع الله دائماً في كلّ شيء ويَدنو منه بالأعمال الصّالحة، ويَرفع قلبَه إلى نِعمتهِ بلا انقطاع، كما قال داود النبيّ: "كلَّت عينايَ من الرّجاء بإلهي" (وانتظار مَعونته)201.

198 العمل هنا هو عمل الجهاد، كالأصوام و مُحاربة الرَّذائل والانقطاع إلى ذِكر الله.

199 إذا كنتَ تؤمن أنّ الله يَعتني بك، فلا تتَّكل على قوّتك الذاتيّة، ولا تَقُل الله يُنجيني"، ولا تتّكل على تكديس المال لأجل تأمين حياتك، ولا تجعل رجاءك في المعونة البشريّة. أُنظر ما ورد عن التجرّد في المقالة التَّاسعة عشرة، الفقرة 5.

200 يعقوب 2 : 13 – 26

201 يُعطي القديس إسحق رومة 8 : 18 معنى نسكيّاً. يقول بولس الرسول: " إنّ آلام الدَّهر الحاضر لا تُقاس بالمجد الذي سيتجلّى فينا"، ويعطي عبارة "آلام الدهر الحاضر" معنى الجهاد الروحيّ، الذي مَهما عَظُم فلن يوازي المكافاة المعدَّة لنا في الدَّهر الآتي.

= المقالة الثَّالثة والعشرون=

1. **في الآلام الصائرة من أجل الحقيقة**: إنَّ آلام الدَّهر (الحاضر) الصائرة من أجل الحقيقة (اقتناء الحقائق الإلهيّة) لا تُقارَن بالنَّعيم المُعدّ للذين يَشقَون في طلب الصّالحات. 202 فكما أنَّ أغمار السَّرو (السَّنابل) تَلي الزرعَ المَرويّ بالدموع 203، هكذا الفرح يلي الشّقاء الصّائر من أجل الله.

الخبز المَغموس بالعرَق (تعَب الجهاد) يَبدو لذيذاً للمُزارع، والأعمال التي تَتمّ في سبيل البرّ تَلذُّ القلبَ المُحتوي على معرفة المسيح. احتمِل الذُّل والتَّحقير بطيبة خاطر فَتحصلَ على الدَّالة لدى الله (وتصيرَ أنتَ وصلاتُك أكثر قبولاً لديه).

مَن يحتمل كلَّ كلامٍ قاسٍ يوجَّه إليه من دون أن يكون مُذنباً، يُوضَع على رأسه إكليلٌ من شوك204، ويكون مَغبوطاً لأنه ينالُ إكليلَ عدم الفساد في يومٍ آتٍ (عند انتقاله إلى السماء).

2. **في المُسامحة والإحسان:** مُسامحة المُذنبين هي من عمَل البرّ. بذلك تَرى الهدوء والابتهاج يُحيطان بذهنك من كلّ جهة. إذا اجتزتَ طريق البرّ فستلتصق بالحُرية في كلّ شيء205.

إنّ المُحسِن إذا لم يَتخطَّ إحسانُه حُدود عَدله فليس بمُحسن 206. ولا يَكفي أن يُعطي الناس (أموراً ماديّةً) من خاصّته، بل (عليه) أن يَحتمل بفرح ظُلم الآخرين له وهو يُحسن إليهم. فعندما يَغلِبُ البرُّ بالرّأفة (يغلبُ البرُّ في نَفسِ المُجاهد من خلال مُمارسته الرّأفة)، لا يُكلَّل بإكليل الذين في الشريعة 207، بل بإكليل الكاملين 208 الذين في الإنجيل.

---

202 يُعطي القديس إسحق رومة 8 : 18 معنى نسكيّاً. يقول بولس الرسول : "إنّ آلام الدَّهر الحاضر لا تُقاس بالمجد الذي سيتجلّى فينا"، ويعطي عبارة" آلام الدهر الحاضر" معنى الجهاد الروحيّ، الذي مَهما عَظُم فلن يوازي المكافاة المعدَّة لنا في الدَّهر الآتي.

203 المُجاهد يُشبه المُزارع الذي يروي زُروعَه بدُموع الجهاد، لكنّه يَفرح بغِلاله في وقت الحصاد.

204 هو إكليل فَضيلة قَبول الظُّلم، حبّاً بالآخَرين، على مِثال المسيح الذي كُلِّل بالشوك ظُلماً، حُبّاً بنا.

205 أنظُر تعريف الحريّة في المقدّمة، الفقرة5 ؛ إنها حُريّة "الرّوح الذي يهبّ حيث يشاء" (يوحنا 2 : 8). أنظر أيضاً الحواشي 133 ، 375 ، 389.

206 مثلاً: تفرض العدالة أن يُعطي المرء أبويه حقَّهم. لكنّه إذا اكتفى بإعطائهما ما تَفرضُه العدالة، فليس هو بمُحسِن.

إنّ إعطاء الفقراء وكسوة العُراة ومحبّة القريب كالنّفس هي أمورٌ يُعلِّمُها النّاموس القديم. أما ملء التّدبير الإنجيليّ فيأمرُنا: " مَن طلَبَ منكَ شيئاً فأعطه، ومن أخذ ما هو لكَ فلا تُطالبهُ" 209. فعلينا أن نحتمل الظُّلم بفرح، وأن نُضحّي بأنفُسنا لأجل أخينا.

الرّؤوف بالحقيقة ليس الذي يُحسن بالعطاء الماديّ فقط، بل من يَحترق قلبُه لأجل أخيه إذا (بَدَرَ من أخيه) شيء يُحزنهُ.
210 الرّؤوف يَحتمل الأذى من دون مُقاومة مخافة أن يُحزِن قلب أخيه (الذي سبَّبَ له الحُزن).

3. **في الذّهن النقيّ**: هل يَقتني أحدٌ ذهناً نقيّاً، وهو مُحبٌّ للثرثرة؟ وهل يَقتني أحدٌ فكراً مُتواضعاً وهو يَطلُب مجدَ النّاس؟ ومَن يَستطيعُ أن يكون نَقيّ الذّهن ومُتواضع القلب وهو فاجرٌ، و فاسد الأعضاء، ومُكبَّلٌ بشهوةِ الجسد وخطاياه 211؟ الذّهن عندما تَجذبُه الحواسّ، يأكل معها طعام الوحوش (الأهواء و الخطايا). أما إذا جَذَبَ الذّهنُ الحواسَّ (تغلّب عليها بالتّواضُع والعفّة والنّقاوة) فإنها (الحواسّ) تَتناول جَذَبَ الذّهنُ الحواسَّ (تغلّب عليها بالتّواضُع والعفّة والنّقاوة) فإنها (الحواسّ) تَتناول معه طعام الملائكة (أي الإلهامات الإلهيّة) 212

4. **في العفّة والتَّواضُع**: أَحبب العفّة كي لا تُخذَل أمام الله عند الصَّلاة 213. اقتن الطهارة في أعمالكَ لكي تَسطَعَ نفسُكَ في الصّلاة ويَلتهبَ ذهنُكَ فرَحاً عند تذكُّركَ الموت214. احترس من الصَّغيرات كي لا تَسقُط في الكبيرات. اعتبر نفسَكَ غريباً كلّ حياتكَ، و إينما حللتَ، فتَنجو من الأذى النّاجم عن اللذّة 215.

---

207 إكليل الذي في الشريعة: يعني إكليل الذين أتمّوا العمل بما تفرضه الشريعة من أعمال البرّ. هؤلاء هم أقلّ كمالاً من الذين يَعمَلون البرّ بحسب شريعة المحبّة.

208 بالتَّعبير النسكيّ و الكتابيّ معاً، عبارة " الكاملين" لا تَعني الذين تحقّق لهم الكمال، بل تعني "السائرين في طريق الكمال". أنظر مزمور 118: 1. فقد جعل الربُّ الكمالَ غاية حياتنا، بقوله: " كونوا كاملين"، لكنّنا لا نبلُغ الكمال إلاّ بعد الموت (عبرانيين 12 : 23). أنظر ما يقوله إسحق أيضاً أدناه، " في طريق الكمال"، الفقرة 11 من هذه المقالة.

209 لوقا 6 : 30.

210 الرؤوف لا يُفكِّر بالأذيّة اللاحقة به، بل يُشفق على الذي أخطأ تجاهه ويتألم لخطيئته، ويُصلّي لأجله لكي يتوب، وهو لا يُقاومُه لكي لا يُسبّب له الحزن.

أحبب الثّياب الرثّة [غير الباذخة] كي تَقضي على أفكار الكبرياء الصّادرة عن قلبك لأن من يُحبّ الزِّينة لا يُمكنه اقتناء أفكار مُتواضعة. فالقلب يتأثَّر بالصُّور الخارجيّة (الزّينة و المُشاهدات) كما يتأثّر بالأمور الدّاخلية 216 .

5. **في الحكمة والتّعلُّم**: احسَب نفسكَ بحاجةٍ إلى التعلُّم في كلّ شيء، فتُعتبَر حكيماً طيلة حياتِكَ 217. لا تُعلِّم أحداً شيئاً لم تَتعلّمه لئِلا تَخزى عندما يَنكشف نفاقُك (وكبرياؤك) بسلوككَ .218 أما اذا كلَّمتَ أحداً بشيء مُفيد، فكلِّمهُ كتلميذ لا كمعلّم ذي مَرجع وجرأة. ثم استدرك ذاتكَ للحال بالديّنونة (بإدانة ذاتك) مُظهِراً أنّكَ أدنى منه، وذلك لكي تُظهِر للسّامعين أسلوبَ التَّواضُع وتحثَّهم على سماع أقوالكَ، فيبدأون العمل (الجهاد) وتكون مُكرَّماً في عيونهم.219

---

211 المُلفت أنّ القدِّيس إسحق لا يَشترط لنقاوة الذّهن الطهارة من شهوة الجسد وحسب، بل وأيضاً حفظ اللسان (عدم الثرثرة) وعدم التماس المجد العالميّ.

212 الذّهن المُنجَذِب إلى الحواس تَنهَشُه الشّهوات، كما تَنهش الوحوش فريستَها، فيعجز عن مُقاومتها، ويُقبل عليها بنَهَم لا شَبَع فيه، فيَقتات من مائدة الشياطين بدلاً من أن يَقتات من طعام الملائكة.

213 صلاة الإنسان غير الطَّاهر غير مقبولة لدى الله، لأنها غير طاهرة بسبب الخيالات و التصوّرات الرديئة التي تُراوده في أثناء صلاته.

214 الطهارة تجعل الإنسان حاراً في صلاته، و يَتقوّى في الرجاء بالحياة الآتية، فيفرح عند ذكر الموت، بدلاً من أن يخاف. وذكر الموت، لدى النسّاك، هو من أقوى الحوافز على التَّوبة والجهاد الروحيّ.

215 مَن يعتبر نفسَه غريباً في الأرض لا يلتمس اللذّة، بل يطلُب خلاص النَّفس.

216 إنّ الدافع وراء حبّ الزّينة والبَذخ في المَلبَس هو حبّ التَباهي، أي خطيئة الكبرياء. و المظهَر المتأنّق، أي الصورة الخارجيّة، تزيد الشخص كبرياء. الكبرياء يَصدر عن الأفكار الداخليّة، وكذلك عن المظهر الخارجيّ، الذي هو ترجمةٌ للكبرياء الداخليّ.

217 الحكيم هو مَن يُدرك أنه لا يَعرف كلّ شيء، وليس خبيراً في جميع الأمور، و أنّ هناك مَن يعرف أكثر منه في أمور كثيرة، وأنه، بالأخصّ، لا يملك معرفة كاملة في الأمور الروحيّة، وعندما يتعامل مع الآخرين، يفتَرض دائماً أنهم أكثر منه

6. **نَقِّ نَفسَكَ**: نقِّ نفسكَ أيها الإنسان و أبعد عنّكَ الاهتمام بالأمور الخارجيّة وأسدِل ستار العِفّة والتواضُع 220 أمام أفكارك وحركاتك، 221 فتجد (بالعفّة و التّواضُع) الحقيقةَ في داخلكَ. لأن الأسرار تُكشَف (للعَفيفين) والمتُواضعين.222
7. **في المُطالعة**: طالِع باستمرار، وبلا مَلل، كُتب المُعلّمين التي تَتكلّم على العناية الإلهيّة، لأنها تقُود الذّهن إلى مُشاهدة نظام مخلوقات الله ومَعرفة أعماله بوضوح 223. (المُطالعة الرّوحيّة) تُقوّي الذّهن وتؤهّلهُ لاقتناء معانٍ نَيّرة من مَعانيها (معاني العناية الإلهيّة) الشفّافة.

طالع أيضاً الأناجيل التي وَضعَها الله لمعرفة المسكونة كلّها، فتتزوّد بقوّة عنايته التي تَشمل كافة الأجيال، و يَغرق ذهنُك في عجائبه 224. ولتكُن قراءتُكَ للأناجيل في مكانٍ قَفر، بعيداً عن كلّ شيء.

علماً وفهماً؛ وجميع هذه تتطلَّب تَواضُعاً. بهذا يربط القديس إسحق الحكمة بالتّواضُع. فالحكيم هو المُتواضع الذي يُدرك أنه بحاجة للتعلُّم طيلة حياته. وفي التراث الرهباني، يُطالع الرهبان الكتاب المقدَّس وكتابات الآباء القدّيسين طيلة حياتهم. أُنظر ما يقوله أدناه عن المُطالعة، الفقرة 7 من هذه المقالة.

218 مَن يُعلِّم الآخَرين أموراً لم يتعلّمها ولا يعرفُها، يكون دافعُه الكبرياء و ادّعاء المَعرفة، وهو لن يُفيد الآخرين في شيء، وقد يؤذيهم ويودي بهم إلى التَّهلكة، ويُفتَضَح جهلُه وكبرياؤه ورياؤه ونِفاقُه، ويَخسر ثقة الآخرين به، ويلومونه، ويدينه الله لأجل كبريائه وكذبه وادّعائه. وهو بهذا يُخالف و يُناقض إحدى أهمّ غايات الحياة الرهبانيّة، أي إفادة الآخَرين. و من الواضح هنا أنّ التصرّف المُشار اليه هنا يؤذي صاحبه و يؤذي الآخرين بدلاً من أن يُفيدَهم روحيّاً. وهذا يعني بخاصة أنّ إرشاد وهو غير مؤهَّل له يُودي بالآخَرين إلى التَّهلكة، " لأنّ الأعمى إذا قاد الأعمى، سَقَطَ كلاهما في الحُفرة" **(متى 15 : 14)**.

219 من عادة المعلّمين الروحيّين عند نُصحِهم للآخرين أن يُعلنوا عدم أهليّتهم لتعليم الآخرين، أو أنّ هناك مُعلّمين أكثر فهماً منهم في الأمور ا لروحيّة، أو أنّهم لم يبلُغوا إلى تطبيق ما يقولون، و أنهم لا يزالون مُبتدئين وجهّالاً في الحياة الروحيّة. وغاية هذا التصرّف أن يُظهِر المتكلّم تواضُعه، و يكون مِثالاً للآخَرين في التَّواضُع، وهذا الأمر يحثّ الآخرين على الاستماع إليه والاستفادة من تَعليمه.

220 يربط الأدب النسكيّ، تكراراً، بين العفّة و التّواضُع، فإنه يَستحيل على المُتكبر أن يكون طاهراً ، و أن يقتني فضيلة العفّة. أنظر " في العفّة والتواضُع"، الفقرة 4 أعلاه ن هذه المقالة.

تَحرّر من الاهتمام الزّائد بالجسد، ومن الأُمور التي تُسبّب الاضطّراب، فَتتذوّقُ نفسُكَ اللذّة النَّابعة من فَهم الكتُب الرّوحيّة التي تَفُوق حلاوتُها كلّ حسّ، و تظلّ (النّفس) متمتّعة بها (بمُطالعة الكتب الرّوحيّة) مادامت مأخوذةً بقراءتها 225.

لا تُساوِ أقوال (الشُّيوخ) ذوي الخبرة بأقوال (المُعلِّمين) المُزيَّفين الذين يَرفضون الأقوال الإلهيّة، حتى لا تَظلّ ماكثاً في الظلام إلى نهاية حياتكَ، و تُحرَم فائدتَها (فائدة أقوال ذوي الخبرة) وتَضطَّرب في أثناء الحرب كَمَن أَظلَمَ عَقلُه، فتسقُط في الحُفرة و أنتَ تَظنّ أنكَ قد فَعلتَ خيراً226.

221 حركاتك: التي قد تكون غير بريئة، و غير طاهرة، ولا تأتي عن نيَّةٍ سَليمة، و غايتُها المُتعة الحسيّة.

222 إنّ ضبط الحواس وعدم الاهتمام بالأمور الخارجيّة، لا سيّما المُشاهدات وكلّ ما يتعلّق بالحواس، كالنظر واللمس والأكل و الملبس، هي ضروريّة لاقتناء فضيلة الطهارة. و جزاء الطهارة حيازة الإعلانات و المُكاشفات الإلهيّة. أنظر أيضاً المقالة 20، الفقرتين 3 و 4؛ أنظر الحاشية رقم 105.

223 أي تُشاهد أسرار المخلوقات وكيف خَلقها الله ووضع لها نظاماً واعتنى بها. فقد دأبَ القدّيسون على التأمّل في أسرار خلق الله لمخلوقاته، و عنايته بها، وتدبير خلاص جنس البشر. وهذا يَقودُهم إلى تمجيد الله، و الثِّقة وخلاصه، و التأمُّل في عطاياه، والرَّجاء بخيراته الآتية.

224 موضوع الأناجيل هو تدبير خلاصنا بالمسيح؛ لكن يقول القدّيس إسحق إنّ مَعرفة الأناجيل تؤدّي إلى " معرفة المسكونة كلّها" . فقد كان همّ النسّاك المتوحّدين هو خلاص نُفوسهم وخلاص العالم، ولكن أيضاً مَعرفة أسرار الله وتدابيره الخفيّة ومكاشفاته، كما قال الكتاب: " سرُّ الربِّ لمتَّقيه، ولهم يُعلن عهده" (مزمور 24 : 14) هذه المُكاشفات تُعطي ذهن الراهب قوّةً لأنه يُدرك عظَمة عناية الله بالبشر عبر جميع العُصور، و يُذهَل ذهنه تُجاه عجائب الخالق.

225 لكي يُحافظ الراهب على ما اقتناه من فضيلة و معرفة من خلال تأمّله في الكتب الإلهيّة وكتابات القدّيسين، عليه أن يَبتعد عن الاهتمام الزَّائد بالجسد، و بكلّ ما يُسبِّب له التشوّش والاضطراب.

226 المُزيّفون هم الجسدانيّون والشهوانيّون، الذين يعتمدون على المعرفة العقليّة وليس على المعرفة الروحيّة الناشئة عن الخبرة بالأمور الإلهيّة . وقولُه إنّ هؤلاء " يرفضون الأقوال الإلهيّة" يعني أنّهم يرفضون مَغزاها الروحيّ والتعامُل معها بطريقة

8. **في فَحص الأمور الرّوحيّة**: إنَّه لأمرٌ قبيح أن يَفحصَ الأمورَ الرّوحيّة أُناسٌ جَسديّون شَرِهون. إنهم كالفاسقة التي تَتحدّث عن العفّة. الذّهن الذي يَهتمُ بالدّنيويّات لا يُمكنه الاقتراب من الإلهيّات. النَّار لا تُوقَد بالحطَب الأخضر، و الحرارة الإلهيّة لا تَلتَهب في القلب الذي يُحبّ الرّاحة 227. الفاسقة لا تَحفظ الوداد لشخص واحد، والنَّفس المُرتبطة بأمور كثيرة لا تَثُبت في التّعاليم الإلهيّة 228. إنّ الذي لم يَر الشّمس لا يُمكنه أن يَصِف نورَها، ولا أن يُحسّ به لمُجرَّد السّماع عنه. هكذا أيضاً (حالُظ9 الذي لم يَتذوّق في نَفسه حلاوة الأعمال الرّوحيّة.

9. **في علاقة التشوّش الخارجيّ بيقظة القلب**: إنّ الذين انتصروا في الحرب (التّجارب الخارجيّة) تحرَّروا من الخوف الدّاخلي (من التَّجارب) ومن الأشياء التي تُضيّق عليهم. وأعني بالحرب نُهُوض الحواسّ ضدّ النَّفس ، الذي يُسبّبهُ (تجَارب) شتّى إلى النَّفس فتُظلمُها 229.

ويَنتج من التّشويش الخارجيّ عَجز النّفس عن (اليَقَظة) ومُراقبة الحرب الخفيّة المُتحرّكة عليها، 230 وعدم السّيطرة (بواسطة الهدوء) على الأفكار التي تُهاجمُها من الدّاخل (الهدوء يُساعد على اليقظة) 231. لكن عندما يوصِد الإنسان أبواب المدينة (أي الحواسّ والسّمع واللسّان) يَستطيع مُحاربَة الأعداء المتربّصين خارج الأبواب (بشجاعة) ومن دون رَهبة.

روحيّة. وإنّ تعاليم هؤلاء، و إن كانت بليغةً ومُنمَّقة، لا تُفيد الرّاهب في شيء، بل تُضيع وقتَه وتحرمه الخبرة الروحيّة الحقيقيّة التي تأتيه من المُعلّمين الروحيّين الحقيقيّين، فَيتعطَّل نموّه و يَضطرب عقلُه و يَسقُط في حُروبه الروحيّة ويَبقى في الظّلام .

227 الراحة هُنا تعني الكسَل و الفتور و التقاعس في الجهاد و إهمال الصلاة، و التراخي و اللامُبالاة بالأمور الروحيّة، و حُبّ الشهوات و الانغماس في الملذّات و الخطايا.

228 النَّفس المشتَّتة لا تَثْبت فيها الحقائق الإلهيّة، ليس فقط بسبب النسيان النَّاجم من التشتّت، بل أيضاً لخسارة النِّعمة.

229 الانتصار في الحرب الخارجيّة يعني القُدرة على ضبط الحواس. يقول القديس إسحق إنّ ضبط الحواس يُحرر الراهب من الخوف من التَّجارب المُتأتية من الحواس، ويُعينُه على مُحاربة التجارب الداخليّة التي تُسبّب ظلام النّفس

10. **في جِهاد الصلاة:** إن لم تُجاهد فلن تَجِد (نِعمةً و مَعونةً من عند الله)؛ وإذا لم تَقرع بحرارة وتَسهر عند الباب 232، فَلن يُفتَحَ لك . ("فلنَجتهد لنَتعلّم الإلهيّات بالأتعاب والأعراق لا بالكلام. فإنَّنا في وقت خُروجنا من الدّنيا لا نَحتاج إلى تَقديم أقوال بل أفعال". 233 و إن نُقدِّم للربّ أثمار أتعابنا وجِهادنا، فلن يُفتَح لنا.)

11. **في طريق الكمال:** طريق الكمال أن يموت الإنسان الخارجيّ عن الخطيئة والأمور الدّنيويّة وكلّ عمَل جسديّ. و أن يموت الإنسان الداخليّ عن الأفكار الرَّديئة لكي تَضعُف حركة طبيعته الجسديّة، فلا تَتحرّك في قلبه لذّة الخطيئة 234. بهذا تتحرّك فيه حلاوة روح الله، و تَتنقّى أعضاؤه، و تَلج إلى نَفسه المعاني الإلهيّة، فيُدركُها و يُشاهدُها. إذا لم يَبلغ الإنسان (يَسلك) طريق الكمال فلن يؤهَّل لنعمة الله، ولن يجد تعزيةً لكن عندما يَزدري بالأشياء غير اللائقة و يَبتعد عنها بالكليّة، ويتّجه نحو الصّالحات ، يُحسّ بمعونة الله بعد وقت قصير. و إذا جاهدَ قليلاً، يجد تعزيةً في نفسه ويَحظى بمغفرة زلاّته، ويؤهَّل للنّعمة، و يَنال خيرات كثيرة.

---

230 الحرب خَفيّة لأنّ هجمات العالم والجسد والشرّير خَبيثة وتحدُث بطريقة خبيثة، ويَستحيل على الرَّاهب مواجهتُها من دون اليقظة الروحيّة. و اليقظة بدورها غير ممكنة إذا استسلم الراهب للمُشوِّشات الخارجيّة.

231 الهدوء هنا يعني قطع دابر التجارب المتأتّية من الحواس، وهو يُساعد على اليقظة.

232 هنا إشارة إلى السَّهر أي اليقظة الدائمة، المَقرونة بالدُّعاء القلبيّ المُلِحّ و التماس مَعونة الربّ ورحمته، هو القائل : " أسالوا تُعطوا، أطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتحَ لكم" (متى 7 : 7). فالسؤال و الطَّلب وقرع الباب تعني الإلحاح في السؤال وقرع الباب تكراراً والباب أيضاً هو الباب الضيّق الذي أوصانا ربُّنا بأن نجاهد للدخول منه، فهو المؤدّي إلى الخلاص والحياة الأبديّة:" أُدخلوا من الباب الضيّق... ما أَضيقَ البَاب و أَكربَ الطَّريق الَّذي يُؤدّي إِلى الحياة و قليلون يجدونه!" (متى 7 : 13 –14). فالقديس إسحق يُعطي معنى نسكيّاً لعبارة الربّ: " اجتهدوا Αυτο-στρες أن تدخلوا من الباب الضيّق" (لوقا 13 : 24) والعبارة اليونانية تعني إجهاد النفس، وهذه العبارة مُستعملة أيضاً في الأدب النسكيّ لتُعطي معنى الجهاد ." والباب الضيّق" هو أن يُضيّق الراهب على نفسه، فلا يَتراخى في الصلاة ولا يَتمادى في الراحة وإضاعة الوقت والثرثرة والأحاديث العالميَّة، ولا يسترسل في مُتعة الحواس و سواها.

233 القدّيس يوحنّا السلّمي، السلّم إلى الله، 26 : 26.

234 الإنسان الخارجيّ: أي كلّ ما له علاقة بالحواس الخارجيّة. الإنسان الداخليّ : أي الأفكار و الذكريات والمخيّلة...

= المقالة الرَّابعة والعشرون=

1. **في التّواضُع**: لا تَثق بنفسك (أنك صرتَ قويّاً في مواجهة التَّجارب) قَبل الدُّخول إلى مَدينة التَّواضُع (اقتناء التّواضُع) ودارِها المُقدَّسة. و إن رأيتَ ذاتَكَ مُستريحاً من إزعاج الأهواء، فلا تَطمئنّ، لأنّ العدوّ يخفي لك فخاً.235 فانتظر بعد الرّاحة قُدوم اضطّراب و انزعاج كثيرَين. و إذا لم تَعبُر إلى دُور الفضائل (مُقتَنيا إيّاها) فلن تَرى استراحةً في تَعَبك ولا راحةً من الأعداء الكامنين لك 236.
2. **في الازدراء بالدُّنيا**: كلّما ازدرى الإنسان بهذه الدُّنيا واهتمّ بمخافة الله، كلّما اقتربت منه عنايتُه و أحسّ بمُعاضدتها سرياً، و مُنحَ الأفكار النَّقيّة، و بمقدار ما يَحرم نفسَه الخيرات الدُّنيويّة تتبعُه رحمة الله و تحتضنُه محبّة الله للبشر 237.
3. **في الحُزن**: اللهُ قريبٌ من القلب الحزين الصّارخ إليه عند الشدّة 238. فإذا حُرم مرّةً من الأشياء الماديّة أو افتُقد بإحدى الضّيقات، فبقَدر ما يُعانيها يتحنّن الربّ عليه. الله يُعاملُنا بهذه الطريقة ليُساعدنا، كما يفعل الطبيب إذا رأى أنّ صحّة المريض لا تُستعاد إلاّ بعمليّة جراحيّة239.

---

235 من دون التواضُع يصعُب على الراهب تمييز هجمات الأهواء التي تُحاك ضدّه خفيةً، و تُنصَب له مثل فخّ.

236 الرّاحة من انزعاج الأهواء، من دون اقتناء الفضائل، هي خداع يخفي وراءه فخاخ التَّجارب وهجمات إبليس.

237 يصعُب على المُتعلّق بالعالم أن يَهتمّ بمخافة الله. ازدراء العالم وحرمان النَّفس من الخيرات الدنيويّة يُمكِّنان الراهب من مخافة الله، فينال عنايته ويعضُده الله بطريقة سريّة، ويُمنَح الأفكار النَّقيّة ورحمة الله و محبّته.

238 الحزين هنا هو الحزين لأجل خطاياه وخطايا العالم، ولأجل تَقاعُسه في تَقديس نفسه، كما قال الرسول:" لان الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبةً لخلاص بلا ندامة وأما حُزن العالم فيُنشئ موتاً" (2 كورنتس 7 : 10) وأيضاً: " الله قريب من مُنكسري القُلوب و يُخلِّص مُنسحقي الأرواح" ، أي المنسحقين بالتخشُّع في حضرته (مزمور 33 : 19). هذا " الحزين" يُستجاب له عندما يَصرُخ إلى إلهه في الشدَّة. أُنظر المعنى النسكيّ للحُزن في المقدّمة، الفقرة 5.

239 يَستعمل الله التَّجارب القاسية لإصلاحنا، في بعض حالاتنا الصعبة، كما يَستعمل الطبيب العمليّات الجراحيّة في الحالات الصَّعبة أحياناً.

= المقالة الخامسة والعشرون=

1. **في الصَّوم والخلوة وثمارهما**: أساسُ الصّالحات كلّها استرجاع النَّفس من سَبي العدوّ (الشرّير) 241. و الطَّريق المؤدّي إلى النُّور والحياة لا تحصل إلاّ بضبط الذات في مكان واحد 242، و الصَّوم الدائم، أعني وَضعُ قانون لضبط (المأكل) بحكمة، و البقاء بتَعقُّل من دون حركة (في السّكينة)، والتفرُّغ الكامل للتأمُّل في الله 243.

وعن هذه جميعها تنجم الأمور التالية: إخضاع الحواسّ، يَقظة الذّهن، تدجين الأهواء الشَّرسة المُتحرّكة في الجسد، وداعة الأفكار ، استنارة حركات الّذهن، 244 الاجتهاد في عَمَل الفضيلة، التأمّلات السّامية الدّقيقة، الدّموع المدارة المُنسكبة في كلّ حين، ذكر الموت، العِفّة الطّاهرة البعيدة عن أي خيال يؤذي الذّهن، البصيرة الثّاقبة في الأمور البعيدة (وُضوح الرؤية و التَّمييز الروحيّ)، إدراك المعاني السّرية العَميقة الكامنة بقوّة في الأقوال الإلهيّة، تمييز الحركات الدّاخليّة المُتولّدة في النّفس (هل هي صالحة أم ليست من الله)،245 التمييز بين الأرواح الشّريرة والقوّات الملائكية لأنّ الأرواح الخبيثة تأتي المُجاهد أحياناً بثياب من نور، وبين الرؤى الحقيقيّة والخيالات الباطلة.246.

---

240 شوق المسيح يجعل الراهب مطمئنّاً وحراً من أهواء العالم ورغباته و مخاوفه، وغير مُكترث للضيقات، وواثقاً بعناية الربّ وراجياً مَعونته، فيكون على يقين من أنّ الله يَعتني به في كلّ ما يُصيبُه. وهو لا يَخشى ما يُصيب الجسد من ألم وموت، ليقينه بمُعاضدة الربّ له، ويَقين رجائه بالحياة الأبديّة. لكن عندما تتغلّب على الراهب المخاوف، فهذا دليلٌ على أنّ أهواء العالم في داخلة قد غَلبت شوقه إلى المسيح.

241 غاية الجهاد الروحيّ هي اكتساب الفضائل و التغلّب على الأهواء، والتحرّر من التَّجارب التي تُقيِّد المُجاهد. وهذا ما يُسميّه القديس إسحق "استرجاع النَّفس من سَبي العدوّ". فقد سَبى العدوّ إبليس أبوينا الأوَّلَين عندما أخرجهما من الجنّة، و كانت أداتُه لذلك إضرام قلبيهما بالأهواء المُنحرفة وتجريدهما من الفضائل.

242 ضبط الذات في مكان واحد: الكلام موجّه إلى الرهبان المتوحّدين . بالنسبة إلى غير الرّهبان، ضبط الذات في مكان واحد يعني عدم التنقّل وعدَم تشتّت الذّهن في أثناء الصّلاة.

243 بهذا يضع القدّيس إسحق الأسس الأوليّة للحياة الهدوئيّة. ونلحظ هنا تسلسلاً مهمّاً: ضَبط الذَّات في مكان واحد، ضبط المأكَل، ضبط الحرَكة، وهذه جميعُها غايتُها التهيئة للعمل الجهاديّ الأساسيّ، أي التأمُّل في الله، و الكلام الإلهيّ. وقد سبَق القديس إسحق فقال:" بداية طريق الحياة نأمُّل الذّهن بصورة دائمة في أقوال الله" (المقالة الأولى، الفقرة 2).

ومن الثمار الحذر في أثناء السّير في طُرُق ومَسَالك (الفضيلة)، والقَضاء على الكسَل والإهمال، و اكتساب لهيب الغَيرة و الشّوق و الاندفاع في الجهاد، الذي يَدوس كلّ خَطر و يتجاوز كلّ خوف، والحرارة التي تَمقُتُ كلّ شهوة و تُزيلها من الذّهن، و تُولّد نسيان الأمور (الذّكريات الباطلة).

إنَّ ضبطَ الذّات في مكان واحد، وضبطَ المأكل، و التفرُّغ للتأمُّل في الله، هي السبيل لبُلوغ الحريّة الحقّة (أي حريَّة الروح) وفرح النّفس والقيامة مع المسيح.

2. **في الغذاء و التنعّم:** مَن غذّى جسَدهُ بالتنعُّم 247 وضعَ نفسَهُ في حرب (ضدّ نفسه). و إذا عادَ إلى رُشده وحاول ضبط نفسه فلن يَستطيع، لِشدّة ازدياد حرارة تحرّكات جسده (التي) أصبحت أمراً ضروريّاً فيه (وحاجةً قاهرة)، وجعلت النَّفس أسيرةً لتنفيذ مآربها (أي مآرب تحرُّكات الجسد)248. إنَّ رفاهيّةَ الجسد واعتيادَه النُّعومة والرّخاوة، (لاسيّما مُنذ الصّبا ، يجعلُ النَّفسَ قابلةً للأهواء بشكل حادٌ ويضعُها في داخل حظيرة الموت249.

---

244 استنارة حركات الذّهن تَعني أنّ الروح القُدس يُنير أفكار الراهب ويُعينُه عندما يتأمّل في الإلهيّات.

245 أي أنّ الراهب يستطيع تمييز الأفكار العابرة في ذهنه، ومصدرها، وغايتها، و الحيل التي يستعملها الشرّير لتشتيت فكر الراهب وتضليله.

246 يذكُر القديس إسحق موهبة التَّمييز أربع مرّات في هذا المقطع: البصيرة الثّاقبة (التَّمييز الروحيّ)، و تمييز الحركات الدّاخليّة المُتولّدة في النّفس، و التمييز بين الأرواح الشّريرة والقوّات الملائكية، والتمييز بين الرؤى الحقيقيّة والخيالات الباطلة، لهذا يقول القدّيس يوحنّا السلَّمي: " كما يَستنير الجسد بالعينين الحسيَّتَين، كذلك تَستضيء عينا القلب بالتَّمييز السويّ". السلّم إلى الله، 26 (القسم الثاني): 189.

247 الاسترسال في المأكل و المشرب و البذخ في الملبَس، و الراحة و التنعّم بمباهج العالم، ينشأ منه التراخي وإهمال الحياة الروحيّة، فتدخُل التَّجارب لتُهاجم النفس.

248 لأنّ مُتعة الجسد على أنواعها تُسبّب الإدمان وتعلّق النَّفس بالخطيئة.

3. **في التّهاون في الأمور الصّغيرة**:" ما لك وطريق مصر لتشرب مياه شحور" 250. (لماذا تسلك في طريق التغرّب عن الربّ، فتشرب مياه المرارة)؟ اصبر على (التَّجارب) الصُّغرى وانتفع بخبرتها حتى لا يُطالبَك (يُغريك) العدوّ بالأمور (التَّجارب) الكُبرى. اتّخذ الصغيرات حدّاً فاصلاً بينك و بين (الشّرير) المُضادّ 251 لتتمكّن من دَحره (فور بداية هُجومه)، فلا يَغتنم الفُرصة ويحفر لكَ حُفراً كبيرة.

مَن يتهاون بالصّغيرات يُغلَب (فيها)، و بَغلَبته (في الصَّغيرات) يُعطي حجّةً للعدوّ فيحاربهُ في الكبيرات . هذا هو التَّمييز في الحرب. فالحُكماء لا يَنتظرون حتى تتورَّط أنفُسُهم في المعارك الكُبرى، بل يَتَّخذونَ الصَّبر على (الحروب) الصغيرة حصناً لوقايتهم من الحروب الكبيرة (يتداركون التجارب الصغيرة قَبل أن تَستشري).

4. **في حفظ الأفكار كحفظ المياه:** الأفكار (النَّقيّة) كالمياه، إذا حُصِرَت من كلّ جانب تُحفَظ جيداً 252؛ وإذا خَرج منها القليل فإنه يُسبّب انهياراً للسَّد. ولما كان العدوّ يعرف هذا، فإنهُ يقف لنا بالمرصاد، مُنتظراً مَداخل الحواس ليرى من أين تُفتَح له ليدخُلَ (فيُجرِّبَنا). فإذا رأى تهاوُناً يَرمينا بنباله (المُميتة).

تميل الطبيعة أحياناً إلى حُبّ الرّاحة والدّالّة (رفع الكلفة مع الآخرين) و الضّحك و التشتّت و التَّهاوُن، وتُصبح بذلكَ مَصدَراً للأهواء وخِضمّاً من الاضطّرابات 253 و احياناً يكون العدوّ هو السبب في هذه الأمور. أما نحن فلنستبدل الأتعاب الكبيرة بالأتعاب الصّغيرة التي نحسبُها عدَماً 254، لأنها تقينا من حُروب مُضنية و أتعاب وجِراحات كثيرة.

---

249 حَظيرة الموت: تسلُّط الخطيئة. عبارة " حظيرة" ربما هي إشارة إلى مثَل الابن الضال الذي انتهى في حظيرة الخنازير، و قول الأب: "ابني هذا كان ميتاً" (لوقا 15 : 11 –32)، و المقصود هنا الموت الروحي لأن الابن الضال لم يكن ميتاً جسدياً.

250 إرميا 2 : 18

251 اقطع دابر التَّجارب فور بداية هجومها، واجعلها حدّاً فاصلاً بينك و بين الشرّير؛ أنظر أيضاً المقالة5 ، الفقرة 6، والمقالة 55، الفقرة 8.

= المقالة السابعة والعشرون=

1. **في أنّ الرَّاحة تُغذّي الأهواء:** مَن يَرفُض الشّدائد (مَشقّات الحياة، و أيضاً مَشقّات الجهاد) بإرادته يُرغِم نفسَه على حُبّ الخطايا. لأنّ الأحزان والمَخاطر (عندما يَتقبَّلُها الرَّاهب) تَقضي على هوى محبّة اللذة. أما الرَّاحة فتُغذّي (هوى محبّة اللذّة) و تُنمّية. بمقدار ما ندَع راحتَنا تّتسِع (نسترسل في الراحة)، نُفسح في المجال للأهواء (لمُهاجمتنا). فالجسد إذا كان مُتضايقاً لا يَستطيع أن يَتشتّت في الأمور الباطلة. و إذا احتملَ الأتعاب و الشّدائد بفرح يُمكنهُ لجم أفكاره بقوّة، لأنّ هذه الأفكار لا تُخمَد إلا في الأتعاب وعندما يَتذكّر الإنسان خطاياه الأولى و يؤدّب نفسَه من أجلها، يَعتني اللّه به و يُريحهُ. يَفرح اللّه حين يُعاقِبُ الإنسانُ نفسَه (ويَقبَل الضِّيقات) لأجل (خطاياه) ومُخالفته طريق اللّه 255. وهذا دليلُ التّوبة التي تَزيدُ من إكرام اللّه له. و كلُّ فرحٍ لا يَنشأ عن الفضيلة يُثير فوراً حركات الرَّغائب الشهوانيّة 256 وليس الطّبيعيّة (فالرغائب الطّبيعيّة تتوق إلى اللّه ؛ أنظُر المقالة 82، الفقرتين 1 و 2) 257.

---

252 على الراهب الحفاظ على الأفكار النقيّة التي يَقتنيها بالجهاد من خلال حفظ حواسه، لأنّ هجمات الحواس تُفسِح في المجال للشرّير لأن يخطف الأفكار النقيّة من الذّهن، كما قال الربّ: " يأتي إبليس فينتزع الكلمة من قلوبهم، لئلا يؤمنوا فيخلصوا. " (لوقا 8 : 12)

253 في جميع هذه التصرّفات يسلك الراهب بخلاف ما يَقتضيه الجهاد الروحيّ ومبدأ صيانة النَّفس من التجارب و أسبابها.

254 الأتعاب الصغيرة: الاحتياطات التي تَقي الراهب من هَجمات التَّجارب و الأتعاب الكبيرة : ما يَنجم عن محاربة الأهواء من تَشوّش و اضطراب.

255 يُعاقب الراهب نفسَه بأن يَقبَل الضِّيقات و يَتجنَّب الكسَل ويحرم ذاته من بعض الامتيازات، أو بأن يزيد في صلاته وأصوامه، أو بأن يعمل أعمالاً شاقة.

256 يُميِّز القدّيس إسحق بين فرح العالم، والفرح الرهبانيّ (أنظر تَعريفه في المقدّمة، الفقرة5).

257 يُعلِّم آباء القفر أنّ الإنسان يَتوق بطبيعته إلى اللّه ويَرغَبُه ، وهذا يُساعده على أن يَتقدّس، و أن يُحارب رغباه الشهوانيّة

2. **خطئتُ كإنسان**: قيل عن (أحدهم) إنّ صلاته خلال أربعين سنة كانت عبارةٌ واحدة: " خطئتُ كإنسان أما أنتَ فاغفر لي كإله". و سَمعه الآباء يُردّد هذه العبارة بحُزن و بُكاء لا ينقطع. و بَدل الخدمة (الصَّلوات اليوميّة) كانت هذه صلاتُه ليلاً و نهاراً. 258

3. **في صيانة النَّفس من الأحاديث الباطلة**: لماذا تَفعل ما يضرّك؟ تَقِفُ الليلَ كلّه وتُضنِكُ ذاتكَ بالتَّرتيل والتّسابيح والطّلبات! أفيصعُب عليكَ الاحتراس قليلاً خلال النّهار والابتعاد عن الأصحاب لِتؤهَّل لِنعمة الله وتَربح تَعبكَ؟ تَتعب وتزرع في الليل، وتُبدِّد في النهار. تُبدِّد اليقظة والصّحو والحرارة التي حصلتَ عليها مُضيّعاً تَعَبكَ باطلاً في أحاديث الناس المُشوِّشة259. إذا جعلتَ عمَلَكَ في النهار وهذيذكَ (ذكرك الدّائم لله) القلبيّ الحارّ استمراراً لِتأمُّلك الليليّ، ولم تَضع بينهُما أيّ فاصل، ستلتصق قريباً بصدر يسوع 260

فليُعطنا الربّ النّعمة لنُدرك لماذا يُقاوم المُجاهدون النّوم، ويَضغَطونَ على طبيعتهِم حتى يؤدّوا الصَّلوات كلّ ليلة بتيقّظ أجسادهم (والحذَر من) ذِكرياتِهم (الباطلة).261 عندها نُدرِك أهميّة القوّة النّاجمة عن صيانة النّفس في أثناء النهار، وماهيّة العَون الذي يُعطي للذهن خِلال سكينة الليل، وقُوّة السلطة على الأفكار، و مقدار النّقاوة (الطَّهارة، ونقاوة الفكر وصفاءه) بحُريّة (بسهُولة)، و يَكتَسب الكثير من الفَضائل دونما تَعب 262. أحياناً لا يقدِر الجسد على الصَّوم. لكن، إذا لم يَتمادَ المُجاهد في الأحاديث خلال النّهار، فإنّ الذّهن يستطيع، من خلال السَّهر باليقظة فقط، أن يُعيد للنّفس حالتَها (الأولى التي أُهِّلت للنعمة) ويَهَب القلبَ (من جديد) معرِفةً لإدراك القوّة الرّوحية.

---

258 يقول القديس إسحق إنّ حياة الراهب هي توبة دائمة، لمدى الحياة. وشُعور الراهب الدَّائم بخطيئته، و نوحه عليها، يَقيه الوقوع في التَّجارب.

259 الاختلاط غير الضروريّ بالناس، و الانخراط في الأحاديث الدنيويّة، يُهدّد الراهب بخسارة أتعابه وثمار جهاده. هذا الكلام موجَّه بخاصةٍ إلى المُتوحِّدين.

260 يحثّ القديس إسحق الراهب أولاً على الانتباه واليقظة، لكي لا ينسى أنّ جهاده في النهار وفي الليل سواء، و أنّه يجب أن لا يكفّ عن ذكر الله، فيجني بذلك ثمار تعبه: " الالتصاق قريباً بصَدر يسوع" ، فيصير له دالةٌ على الربّ، كما كان ليوحنّا الحبيب دالة على يسوع عندما ألقى برأسه على صدره. (يوحنّا 13 : 23 – 26).

261 يَتحدّث القديس إسحق عن الذِّكريات في المقالة الأولى، الفقرة9، والمقالة الثالثة والثلاثون، الفقرة 6، والمقالة الثالثة و السبعون ، الفقرة 4.

= المقالة الثَّلاثون=

1. **في شُكرِ الله:** حصَّةُ الجاهِل 263 (غير القَنوع وناكر الجَميل) صغيرةٌ في عينَيه (فلا يشكُر عليها). مَن يشكُر الواهِب (الله) يحثُّهُ على عطايا أعظم، ولا عطيّة من دون مَزيد إلاَّ التي بلا شُكر. مَن لا يشكُر على الصّغيرات (من العطايا) فهو في شُكرِه على الكبيرات كاذِبٌ وظالِم (هو ظالم لأنَّه لا يُقدِّر العَطيَّة حقَّ قَدرها)264.
2. **في الكبرياء والإقرار بالخطيئة :** مَن يَمرض ويَعرف داءهُ (خطيئته) فليُفتِّش عن الاستشفاء، ومَن يَعترف بأَلِه يقتربُ من الشّفاء ويَبلغُهُ بسهولة 265. القلب (المتكبّر) القاسي (المُعانِد، الذي يُنكر خطيئته ويرفض الإقرار بها) تَزدادُ أوجاعُه، و السّقيم الذي يُقاوِم الطّبيب يَزداد ألمهُ 266. فلا خطيئة من دون مغفِرة (مهما كانت عَظيمةٌ) إلاَّ التي بلا توبة.
3. **تذكَّر:** تَذكّر الذينَ يتفوّقون عليك في الفضيلة لتَرى كم أنتض أقلّ مِنهم (شأناً في الروحيّات) . تذكّر الشدائد التي يُقاسيها أولئكَ أثناء الضِّيق والشَّقاء (في سبيل الجهاد الروحيّ واقتناء الفضائل)، حتى تؤدّي الشُّكر اللائق لله على ضيقاتِكَ الزهيدة وتتمكّن من الصّبرِ عليها بفرح 267.

---

262 يُعدِّد هذا المقطع، والمقطع الذي يليه، بعض ثمار اليَقظة الدَّائمة (اليقظة غير الدَّائمة ليست يقظةً بالحقيقة): يُدرك المجاهد القوّة الناجمة من اليقظة، و ينال معونة من الله، وسلطاناً على أفكاره، ونعمةَ الطهارة ونقاوة الأفكار، ومعرفة الأفكار الإلهيّة واكتساب الكثير من الفضائل من دون تعَب، و إذا تشتَّتَ، يستطيعُ أن يستعيد حالته الأولى من خلال اليقظة فقط، من دون صوم.

263 المقصود هنا عطيّة الله للجاهل.

264 على الراهب أنّ يُميِّز أصغر العطايا التي يُنعِم الربّ عليه بها، ومَن لا يَتعلّم تمييز العطايا الصغيرة، يَستحيل عليه أن يُميِّز العطايا الكبيرة. ولذلك، فإن هو شكَرَ الله على " الكبيرات" يكون شُكرُه كاذباً.

265 المرض هو الخطيئة. الراهب مَدعوّ أولاً لأن يُقرّ بأنه خاطئ، و أن يعرف ماهيّة خطيئته و سببَها ومصدرَها وعواقبَها وكافة الظروف المُنشئة لها والمُساعدة على ارتكابها؛ وبعد ذلك عليه أن يبحث عن الشفاء عند مُرشده الذي يجب أن يُقرّ أمامه بخطيئته. ومن هنا قولُه:" مَن يَعترف بأَلِه يقتربُ من الشّفاء ويَبلغُهُ بسهولة".

266 القلب المُعانِد يأبى الخطأ على نفسه لكبريائه، فيُقاوم الطَّبيب و تزدادُ أوجاعهُ.

تذكّر في قلبكَ اجتهاداتِكَ السابقة، وكيف كُنتَ تَهتمّ حتى بالأمور الصّغيرة وافطَن للجهاد الذي أظهَرتَهُ، وكيفَ كُنتَ تَندَفِع بغَيرة. تذكّر التنهُّدات التي أصعدتَها من أجلِ الزلاَّت التي وقعتَ فيها نَتيجة إهمالك، وكيفَ أنّكَ فُزتَ عليها وحَصلتَ على إكليل النّصر 268.

تذكَّر الزّلات القاسية التي سَقطَ فيها كثيرون من الأقوياء، ثمّ تابوا و استحقّوا سموّ الكرامة، تَتَّضِع بفضائلكَ (القليلة ولا تُفاخر بها) وتَكتسب شجاعةً في تَوبتكَ 269. اضطّهد أنت نفسك (لأجل زلاّتك واحتمل المشقّة)فيُطرَد عنك العدوّ (الشرّير). أجلب السّلام لِنفسكَ (بالتَّوبة) تَستقبلكَ السماء والأرض بالسّلام 270.

(ذكريات توبة الأقوياء، أي المُجاهدين الكِبار) تُوقِظ النّفس كما من نومٍ عميق، وتوشِّحُها بلهيب الغَيرة وتُنهِضُها من غَرَقِها (في التهاوُن)، كما من بين الأموات، وتُعيدُها إلى حالتها الأولى فتُجدِّد نشاطَها (في مُقاومة) الخطيئة.

---

262 يُعدِّد هذا المقطع، والمقطع الذي يليه، بعض ثمار اليَقظة الدَّائمة (اليقظة غير الدَّائمة ليست يقظةً بالحقيقة): يُدرك المجاهد القوّة الناجمة من اليقظة، وينال معونة من الله، و سلطاناً على أفكاره، و نعمةَ الطهارة ونقاوة الأفكار، ومعرفة الأفكار الإلهيّة، واكتساب الكثير من الفضائل من دون تعَب، وإذا تشتَّتَ، يستطيعُ أن يستعيد حالته الأولى من خلال اليقظة فقط، من دون صوم.

263 المقصود هنا عطيّة الله للجاهل.

264 على الراهب أنّ يُميِّز أصغر العطايا التي يُنعِم الربّ عليه بها، ومَن لا يَتعلّم تمييز العطايا الصغيرة، يَستحيل عليه أن يُميِّز العطايا الكبيرة. ولذلك، فإن هو شكَرَ الله على " الكبيرات" يكون شُكرُه كاذباً.

265 المرض هو الخطيئة الراهب مَدعوّ أولاً لأن يُقرّ بأنه خاطئ، و أن يعرف ماهيّة خطيئته و سببَها ومصدرَها وعواقبَها وكافة الظروف المُنشئة لها و المُساعدة على ارتكابها؛ وبعد ذلك عليه أن يبحث عن الشفاء عند مُرشده الذي يجب أن يُقرّ أمامه بخطيئته ومن هنا قولُه: " مَن يَعترف بأَلِه يقتربُ من الشّفاء ويَبلغُهُ بسهولة".

266 القلب المُعانِد يأبى الخطأ على نفسه لكبريائه، فيُقاوم الطَّبيب وتزدادُ أوجاعهُ.

267 إنّ تذكُّرَ الراهب للذين يفوقونه قداسةً يحثّه على أن يُشدّد عزيمته في الجهاد فيقوى على احتمال ضيقاته التي لا تُساوي شيئاً إذا ما قِيسَت بضيقاتهم.

268 إنّ تذكُّر الراهب لأتعابه السابقة يحثّه على أن يُشدِّد عزيمته ليعود إلى سابق عهده في الجهاد.

اجتهد أن تَدخُل إلى مَخدَعكَ السِرّي (الذي هو قلبُك) 271 تَرَ المخدَع السماويّ، لأنَّ هذا و ذاكَ واحِد 272. إنَّ سُلَّمَ الملكوت كائنٌ في داخِلِكَ ومُخبّأٌ في نَفسِكَ. تأمّل خطيئتكَ بعمق، تَجِد هُناكَ مَراقي تَرتَقي بها (نحو السَّماء)273.

4. **في تَحمّل الضِيقات:** مُحِبُّ الفضيلة ليسَ مَن يعمل الخير بنشاط، بل مَن يَقبَل السيِّئات و يتحمّلُها بفرح 274.
5. **أُستُر الخاطِئ و شَدِّد الحزين**: أُستُر الخاطئ لأنَّكَ بهذه الطريقة تَجعلهُ يتشجَّع (على التّوبة) 275. أما أنتَ فتَرَى رَحمةَ سَيِّدكَ معكَ (تعضُدك) 276. قوِّ الضُّعفاء وحَزانى القلوب بكلامِكَ. وبمقدار ما تَسخى يَدُكَ تَعضُدكَ يمين الحامل الكُل. كُن شريكاً لحزانى القلب بصلاتِكَ وبقلبكَ الشَّفوق فيُفتَح أمام طلباتكَ ينبوع الرَّحمة 277
6. **لا تُجرِّب نَفسَكَ:** لا تُجرِّب ذِهنكَ بأفكار قبيحة (ضدّ) أشخاص يُثيرونكَ 278 و أنتَ تَعتقد (أنّ الأفكار القبيحة لن تَقوى عليك) 279. فالحُكماء أظلمَت أفكارُهم بهذه الطريقة.

---

269 إنّ تذكُّر الراهب لسقطات الأقوياء يحثّه على الحَذَر من السقوط، وعلى شجاعة التَّوبة؛ فإذا كان الأقوياء عُرضةً للسقوط، فكم عليه بالأحرى، في ضعف قوته، أن يكون حَذِراً أضعافاً مُضاعفة.

270 يجلب الراهب السلام لنفسه بالتواضع و التَّوبة.

271 الدُّخول إلى مخدع القلب يعني الصلاة القلبيّة، وفحص الذات ، و النَّدامة والتوبة، والنَّوح، وذِكر الموت.

272 مخدع القلب هو أيضاً المخدع السماويّ بحسب قول الربّ " إنَّ ملكوتَ الله في داخلكم" (لوقا 17 : 21).

273 التوبة تَفتح للتائب باب السَّماء، كما حَصَلَ للّص التَّائب (لوقا 23 : 43).

274 يجعل القدّيس إسحق فضيلة اقتبال المشقّات والضّيقات والإهانات أسمى مرتَبةً من فضيلة عمَل الخير، لأنّ فضيلة اقتبال الشّدائد هي دليل التواضُع، الذي هو أصل الفضائل كلّها، ودليل ثقة بعناية الربّ. لذلك يبقى عمل الخير فضيلةً ناقصة من دون التواضع والثّقة بالله. عمل الخير من دون التواضُع واحتمال الإهانة لا يكفي، وقد يكون لغاية في النَّفس. لكن هذا لا يعني أنّ القديس إسحق لا يُشجِّع على عمل الخير (أنظُر الفقرة التالية).

275 لا تُشهِّر بخطيئة الخاطئ ولا تؤنّبه على خطيئته، لأنّك بذلك تدينه. لكن إن سترتَ خطيئتَه، فإنك تُشجّعه على التّوبة. هكذا فَعَلَ يسوع مع المرأة الخاطئة (يوحنا 8 : 1 –11).

276 الربُّ يعضدُ مَن يعضُد الخاطئ بدلاً من أن يدينه ويُشهِّر بخطيئته.

277 من يَرحم الآخرين ويُصلّي لأجلهم، يرحمه الله.

278كأفكار الغضب والانتقام وتشويه السمعة، أو الظنّ بالسّوء.

7. **والتَّنقية شرطٌ للمُشاهدة:** تُبادِرُ إليك الإلهيّات (الإلهامات الإلهيّة) إذا كان المحلّ نظيفاً 280. فلتكُن حَدَقة عين نفسكَ نَظيفة، حتى إذا تَجرّأتَ على النَّظَر إلى كُرة الشّمس، لا تُحرَم بَصيص (النّور) الذي فيك، أي الإيمان البسيط والاعتراف القلبيّ والأعمال التي على حسَب قُدرتكَ 281.

بالأتعاب والاحتراس (اليقظة) تتجلّى (تتحقَّق) نَقاوة الأفكار، فيَنبلج نور العقل (المُستنير بنور المسيح) الذي يَهدي الذّهن بالنّعمة إلى المكان (الأسمى، إلى الملكوت) ،282 حيث لا سُلطةَ للحواس (التي تُعمي الرؤية)، وحيثُ (السماويّون الذين) لا يُعلِّمون ولا يتعلَّمون 283.

8. **في الأهواء والانفصال عن العالَم:** إنَّ كلمة " عالَم" تحملُ معنىً عاماً، يَشمل أيضاً الأهواء. الأهواء بشكلٍ عام، نُسمّيها " عالَمّاً"، و إذا أردنا أن نُجزّئها و نُطلق اسماً على كلّ منها، نُسمِّيها " أهواء" . الأهواء هي فُروعٌ لاستمراريّة العالَم، وحيثُ تَنتهي الأهواء يكفّ العالَم عن أن يكون مَوجوداً 284.

والأهواء هي: حُبّ النّفس (و اشتهاء) وجَمعُ (مُقتنياتٍ) شتّى؛ (والشَّراهة) وتَنعُّم الجسد الذي منه تَنشأ الدَّعارة (خطيئة الجسد)؛ (و حُبّ الظُّهور) والرَّغبة في الإكرام التي منها يأتي الحسَد؛ وحُبّ الرّئاسة؛ و الانتفاخ بعظَمة السُّلطة؛ (ومحبّة) الزّينة والافتخار، (والتماس) المجد البشريّ الذي يُسبّب الحقد؛ (والجُبن الذي هو) الخَوف على الجسد (من الأذى والمرض والألم والموت).

عندما تكفّ الأهواء عن أن تَفعل فعلها، يموت العالم 285. أما إذا بقي بعضُها فيتأخّر انتهاؤه. أما أنتَ فانظُر في أيّ من هذه الأهواء تَعيش، فتَعرف أيّ شطر منك يعيش للعالَم، وأيّ شطر منك انقطعَ عن العالَم ومات فيك . وتُدرِك إن كنتَ قد تحرّرتَ منه أو لا تزال مُرتبطاً به.

العالَم هو التّفكير والسُّلوك بحسب الجسد، والتحرّر منهما (التفكير والسّلوك) هو بُرهان خُروج الإنسان من العالم و دليلُ تَغرّبه عن العالَم 286 (وعلامة) حُسن سيرته (وارتداد عَقله) وتَغيُّر مَعاني ذهنه (أي تحرُّر ذهنه من حَركات الأهواء).

---

279 متى بدأ الراهب في قبول الأفكار القبيحة، فهو سوف يَسترسل فيها و يَخسر نَقاوة ذهنه و يُظلم عقلُه ويَسقُط في الجهاد.

280 عملاً يقول الربّ: " طوبى للأنقياء قُلوبُهم، فإنهم يُعاينون الله" (متى 5 : 8).

281 النَّظَر إلى عين الشّمس يؤذي ضعيف البصر، والنَّظَر في الإلهيّات غير مُمكن لغير الذّهن النقيّ، الذي وحده يستطيع أن يتلقّى أنوار (أفكار وإلهامات) الشّمس الإلهيّة.

9. **في حركات الذّهن:** إنّ الاهتمامات التي تَنبُت في ذهنكَ، فينشغل بالتفكير فيها، تُساعدكَ على مَعرفة مُستوى سيرتكَ (و فضيلتك). 287 مثلاً: ما هو الأمر الذي تَتوُقُ طبيعتُك للحصول عليه من دون تَعب؟ ما هي الأفكار المُتكرّرة والأفكار العابرة؟ هل بلغ الذّهن إلى التَّفكير بالمعاني الرّوحية المجرّدَة أم أنّه لا يزال يُفكّر بطريقة ماديّة؟ هل إنّ هذه الأفكار الماديّة مَشحونةٌ بالأهواء؟ 288

الفضائل هي الأختام (العلامات) التي تؤكّد صحَّة وسلامة ما يتخيَّلهُ الذّهن من أعمال على نحوٍ لا إراديّ 289. و من الفضائل يَستمدُّ الذهنُ، بلا مانع، حرارتهُ ومَقدرتَهُ على ضبط أفكاره (وتَثبيتها) في الهدف الصالح، ليُحوِّلها إلى أعمال نسكيّة (صالحة) لهُ 290. وهو ينجح في ذلكَ إن لم يقُم بها بدافع الهوى الخاطئ 291.

راقب ذهنكَ كي لا يَبقى ضعيفاً أمام الأختام (الفضائل والمواهب و الإلهامات الإلهيّة) الخفيّة. بهذا يَتضاعف فيه اللهيب الإلهي الذي يَقطع منه الذّكريات (الباطلة) 292.

10. **خوف الجسد وخوف النّفس**: إنّ خَوف الجسد (الخوف من المرض والألم وأذيّة الجسد، والموت) قويّ لدرجة أنه يجعل الإنسان أحياناً مَكتوفَ اليدَين (وعاجزاً تُجاه الأعمال المجيدة والشّريفة 293. لكن عندما يَظهر خوف النّفس (الخوف من التقهقُر الرّوحيّ)، يَضعُف خوف الجسد (و يَتبدَّد) ويَذوب بقوّة (لهيب خوف النّفس، الذي قوامه الغيرة على الإلهيّات) كما يَذوب الشّمع.

---

282 بالجهاد يَقتبل المُجاهد النِّعمة التي تُهيء ذهنه للانتقال من العالم الحاضر، حيث المعرفة (بالإلهيّات) ناقصة، إلى الملكوت، حيث المعرفة كاملة.

283 أي حيث تتجلّى لأنقياء القلوب المعرفة الكاملة (أنظر 1 كورنتس 13 : 12؛ 2 كورنتس 3 : 18).

284 يَستحيل أن يوجَد العالم من دون الأهواء، فهي باقيةٌ ما دام العالم موجوداً ، ولا تَزول إلاّ بزوال العالَم. ولهذا قال آباؤنا: " ليَنقَضِ هذا العالم وليات الملكوت" .

285 أي يموت العالَم فينا، أو يكفّ العالَم عن التَّأثير فينا.

286 تغُّرب الفكر عن العالم يَعني التَّحرّر من الأهواء المذكورة سابقاً، و من أفكار العالَم.

287 أي مُستوى الفضيلة عندك.

288 يدعو القدِّيس إسحق، هنا، بطريقة غير مُباشرة، إلى الفَحص الدّائم لحركات الذّهن. فهذه مُمارسة دائمة وضروريّة للساعين إلى الفضيلة والكمال.

= المقالة الثانية والثلاثون=

1. **في الصّلاة النقيّة:** الصّلاة طِلبة واهتمام 294 ورغبة في النجاة من تجارب هذا الدَّهر، ومن عذاب الدَّهر الآتي، (ورغبةٌ في) اقتناء ميراث الآباء. بالطِلبة يَستمدّ الإنسان المَعونة من الله.

إذا كانَ الذّهن يستعدّ للقيام بإحدى هذه الحركات (الصّلاة والتأمُّل والعبادة)، والتَصَقت بهِ فِكرةٌ غريبة أو وَقعَ في تَشتُّت، عندئذٍ لا تُسمّى الصّلاة نَقيّةً لأنَّ الذّهنَ قَدَّمَ على مَذبح الربّ " حيوانات غير طاهِرة" 295 (القلب هو المَذبحُ العقليّ لله)296.

الصّلاة هي الوقوف أمام باب الملك بُغية السؤال، وكلّ ما يُطلَب في هذا الوقت يَسمعُه الربّ. في تلكَ اللحظة يكون الإنسان مُستعداً ومُنضبطاً أمام الله، وراغباً في الحُصول على الرّحمة، ومُنتظراً إيّاها أكثر من أيّ وقت.

في الصّلاة يجب أن تَتّجه مُشاهدة الذّهن إلى الله فقط، وأن تُصوَّب كلّ حركاته نحوهُ، 297 مُقدِّمةٌ له طَلِبات قلبيّة حارَّة باجتهاد مُستمرٌ. فالرّضى الإلهيّ لا يَفيض على النّفس إلاَّ إذا شُغِفَت بهذا الأمر الوحيد فقط 298.

---

289 الفضائل التي تكتشفُها في ذاتك بالفحص الدَّقيق هي مقياس صحّتك الروحيّة.

290 عندما يكتشف الراهب ما وهبه الله من فضائل، يَضطرم الذّهن بالحرارة و تَزداد قُدرتُه على ضبط أفكاره و تَحويلها إلى أعمال جهاديّة صالحة.

291 أحياناً تكون الأعمال الجهاديّة بدافع هوى خاطئ، مثل الغُرور وحبّ الظهور؛ هنا تبقى هذه الأعمال قليلة الفائدة. وقد رُويَ عن أحد الإخوة أنه اشتهرَ بأصوامه الكثيرة، ليَنالَ ثناءَ الآخرين. فقال له مُعلِّمُه :" إنكَ تَصومُ بأذنيك!".

292 هذه الفقرة هي شرح و توسيع لما ورد في الفقرة السابقة.

293 إذا قوي خوف الجسد، فقد يُعيق الراهب عن القيام بالأعمال الصالحة، فيفضِّل بدلاً منها أن يهتمّ بصحّته وتأمين ضمانة مادية لحياته وجمع المال لآخرته...

294 همّ الراهب إصلاح الذَّات، و خَير الذين يصلّي لأجلهم، وتَقديسهم، وخير العالم وخلاصه.

295 أحبار 22 : 18 –32

296 الصّلاة النقيّة تَخلو من التشتّت، وهي ذَبيحةٌ طاهرة مَقبولة عند الله.

297في أثناء الصَّلاة يجب أن يتّجه الذهن بكليّته نحو الله، من دون تشتّت أو انقسام، و أن يَضطرم القلب بحرارة الإيمان والمحبّة نحو الله. بهذا تكون طلبة الرَّاهب مَسموعةً ومقبولةً ومُستجابة.

2. **في الصَّلاة ورؤى القدّيسين**: إنّ الرؤى التي ظَهرت للقديسين لم تَتمّ إلا في وقت الصّلاة 299. فأيُّ وقتٍ أقدسُ من هذا وأكثرُ استئهالاً للحُصول على المواهب، حيثُ يَتضرّعُ الإنسان إلى الله ويتكلّم معهُ، قاهراً ذاتهُ وضَابطاً تحرّكات أفكاره؟ فيمتلئ قلبُهُ بالله ويَفهم الأمور غير المُدرَكة بواسطة الرّوح القُدس (الذي يهبّ لَمعونتنا في أثناء الصّلاة)، 300 والذي يَتحرّك في كلّ إنسان بحسب وضعه الرُّوحيّ حتى إذا بلغَ حالةَ المُشاهدَة، تَنعدِم حركة الصّلاة نفسُها ويُصبح الذّهن في انخطاف و ذُهول، فيَنسى مُبتغاه الخاصّ وتَسبَح حركاتهُ في نَشوة سُكرٍ عميقة، ويَخرُج من هذا العالم 301، ولا يَبقى هناك تَمييزٌ بين النّفس والجسد، ولا ذِكر لأيّ شيء آخر. 302
3. **في صلاة الذّهن النَّقيّ**: قال غريغوريوس الإلهيّ:" الصّلاة هي طهارة الذّهن عندما يُدرك الذّهن (النَّقيّ) الأمور (الإلهيّة) التي تتولَّد من الصَّلاة، يَختطفُ الثّالوثُ الصّلاةَ، فتَتوقّف " 303 ويقول أيضاً:" نقاوة الذّهن هي تحليقٌ في الأمور العَقليّة الصّافية التي يَسطَعُ عليها نور الثّالوث في أثناء الصّلاة". ويؤهَّل الإنسان لهذه النِّعمة في وقت الصّلاة، عندما يَخلع الذّهنُ الإنسانَ القديم و يلبَس الجديد، إنسان النّعمة، فيرى (الذّهنُ) نَقاوتَه.

---

298 في التراث الرهبانّي، عمَل الراهب الأوَّل هو الصَّلاة.

299 يؤكِّد القدّيس إسحق في عدّة مَواضع أنّ هذه " الرؤى" بحاجة إلى تَمييز قَبل قبولها.

300 رومة 8 : 26؛ " إذا أقامت النّارُ في قلبنا أذكت صلاتَنا. ومتى ذَكَت صلاتُنا وارتفعت إلى السماء، أحدَرَت نارَ العَنصرة وأحلَّتها فينا". القدّيس يوحنّا السلَّمي، السلّم إلى الله، 28 : 45.

301 يقول القدّيس إسحق أنّ الروح القُدس يَفعل في نَفس المصلّي بحسب مُستواه الرّوحي ودَرجة تَقواه والحال الروحيّة التي هو فيها. فالروح يَفعل في الجميع، لكن بطرُق مُختلفة و بدرجات متفاوتة. وبهذا قد يبلُغ بعض كبار المُجاهدين، بمؤازرة الروح القُدس، درَجة " المُشاهدة"، أي مُعاينة تجلّيات الله.

302 الصلاة تملأ قلب المُجاهد بالله فينال المواهب ويَفهم الأمور غير المُدرَكة بواسطة الروح القُدس، ويُصبح الذّهن في حال انخطاف ونَشوة وغيبوبة عن العالم.

303 عندما يُختطَف الذّهن النقيّ في أثناء الصَّلاة، تتوقَّف الصلاة، وتتكشَّف للمُجاهد الإعلانات الإلهيّة.

304 في سيرة المُجاهد قوّة تجعلُه يرى حقيقة الله وحقائق الإيمان، فيثُبت في الإيمان.

305 الإيمان القويم لا يكفي لينالَ الإنسانُ انعامات الله، بل يجب، بالضَّرورة، أن يَتمتَّع بالأخلاق الحسَنة ونَقاوة الذّهن، و أن يَحفَظَ الوصايا.

= المقالة الثالثة والثلاثون=

1. **في الرّجاء والمُشاهدة في أثناء الصّلاة:** إنَّ الثّباتَ على الرّجاء (الثّقة باستجابة الله) أثناء الطَّلب في الصّلاة هو واحدٌ من جوانب الإيمان الحَسَنة. و الثّبات في الإيمان بالله لا يأتي من الاعتقاد الصَّحيح (الإيمان القويم) الذي هو مَنبع الإيمان وحسب، بل أيضاً (تَثبُتُ) النّفس (في الإيمان) حين نُشاهِد حقيقة الله بقوّة سيرتها (الصالحة) 306
2. **في ضرورة الإيمان والسيرة الحسَنة معاً:** عندما تجد الإيمان في الكتاب المقدَس ممزوجاً بالسَيرة الحسَنة، فلا تقُل بعدها إنّ الإيمان القويم هو وحده أساس المُشاهدة. الإيمان الذي يُعرِّفُنا على الرّجاء (بالخيرات الأبديّة) لا يُدركه الذين لم يَعتمِدوا، أو الذين فَسُدَت أذهانُهم. فيَقينُ الإيمان يُعلَن لذوي النُّفوس السَامية، الذين يُتمّمون وصايا الربّ، كلٌّ بحسبُ مستواه.305
3. **في مُطالعة الكتاب المقدّس**: التأمُّل المُتواصل في الكتاب المقدّس نورٌ للنفس لأنّهُ يَطبع فيها ذكريات مُفيدة. هذه الذّكريات تُنقّي النَّفس من الأهواء، وتَبُثّ فيها الشّوق إلى الله والارتقاء نحوه من خلال ممارسة الصّلاة النقيّة (فتشتاق النّفس إلى الصَّلاة والتأمُّل) . هذا التأمُّل، بدوره، يَفتَح أمامَنا طريق السّلام فنَسير في خُطى القدّيسين 306.
4. **في أقوال الخبرة:** لا تَرفُض الأقوال النّاجمة عن الخبرة (الروحيّة)، وإن كان قائلُها غير مُتعلّم . إنّ الكُنوز الكبيرة التي يملكُها مُلوك هذه الأرض لا تَرفُض فلساً واحداً ولو من مُتَسوِّل، والأنهار الكبيرة لا تُصبح كذلك إلاَّ إذا انصبَّت فيها السّواقي الصَغيرة.307
5. **في حفظ الذكريات:** ذِكر الصّالحات يُجدّد فينا الفضيلة، أمّا تَذكُّر الفجور (خطايا الجسد والمُشاهدات الخَليعة) فيُجدِّد في أذهاننا الشّهوة الرّديئة. ذكرياتُنا تَدُلّنا، إما على رداءة تَفكيرنا، أو على سُموّ سيرتِنا، وتُقوّي فينا الأفكار والحركات (المُيول والرّغبات) التي من اليمين (الصّالحات) أو من اليسار (السّيئات)، التي يتأمّل ذهنُنا فيها خُفيةً . ليسَ العمل الباطل فقط هو الذي يؤذي صاحبَه، بل التأمّل فيه أيضاً، ثم التَّذكُّر الذي يُكمِّل الاثنين 308. وليس عمَل الفضيلة فقط هو الذي يُساعد القائم به، بل أيضاً الخيال المُرتَسِم في الذّهن (من جرّاء عمَل الفضيلة)، ثمَّ تذكُّر الفضيلة التي عَملناها.

---

306 أنظر المقالة الأولى، الفقرة 2.

307 يجب عدم الاستهانة بالأفكار الروحيّة السَّامية ، كائناً مَن كان قائلُها.

308 هنا ثلاث مُستويات: العمل الباطل، والتأمُّل فيه، وتَذكُّره.

6. **في تمييز الذِّكريات**: علينا أن نُدرِك ونُميّز تأمُّلات ذكرياتنا لِنعرِفَ مع أي منها يجب أن نتحاور، و أيّاً منها يجب طَردُه فور اقترابه من عقولنا.309 فهناك ذكرياتٌ (تُثيرُها فينا) الشّياطين، فتُوقِد الأهواء بالمادّة (الرديئة) النَّاجمة من الشّهوة أو من الغضب. وهناك ذكريات صادرة من الملائكة الذين يمنحوننا علامة الفرح والمعرفة. وهناك أيضاً ذِكرياتٌ تُوقظ الحس (تُحرّك فينا يقظة الحواسّ)، وذكرياتٌ ناجمة عن حسّ الخطايا السّالفة. (فجميع الذِّكريات) تولّد في النّفس أفكاراً تُميلُها إلى اليمين (الصّالحات) أو اليسار (السّيئات)، (وبتَمييزنا لذكرياتنا) نَكتسب خبرةَ هذين الأمرَين: المُشاهدة والعمل 310.

7. **في تلاوة المزامير من دون تَشتّت:** هل تُريد أن تَنعَم بتلاوة المزامير وتَحصل على فهم أقوال الرّوح؟ لا تَكترث للكميّة (لعدد المزامير التي تقرأها). وليكُن ذهنُكَ متنبّهاً للتأمّل في الآيات، حتى تَستيقظَ (تَستنير) نفسُكَ بمعانيها العَظيمة، مُندهشةً من تدبير الله، فتَندفع إلى تَمجيده، أو إلى حُزن مُفيد لكَ 311. و إذا وَجدَتَ فيها (في معاني المزامير) ما هو مُناسب للصّلاة فاتَّخذهُ، لأنه عندما تُثبتُ تلك المعاني في ذهنك، يَزول عنكَ الغَمام (و التشوُّش).

فلا سلام للذّهن في عمَل العُبوديّة (أي الالتزام بقانون مُعيَّن وعدَد مُحدَّد في تلاوة المزامير). إنَّ التشوُّش (النّاجم عن السّرعة في القراءة، و كثرة الأفكار)، من شأنه أن يُزيل تَذوّق الفَهم والإدراك ويَسلُب المزامير مَعانيها.

التشوُّش (الناجم عن تلاوة المزامير بتسرّع) هو مَركبة الشّيطان. فهو (التشوُّش) كالفارِس الذي يمتطي الذّهن و يُمسِك بالمِقوَد ويَدخُل إلى النّفس التَّعسة، حاملاً إليها أصناف الأهواء312.

8. **في الضّجَر و التشتّت:** يتولّد الضَجَر من تَشتُّت الذّهن، والتشتُّت من التوقُّف عن عمل (الجهاد) والمُطالعة، ومن اللقاءات الباطِلة، ومن (كثرة الأكل، و التُّخمَة).

---

309 هذا يُسمّى في الأدب النسكيّ "الشَّجب"، أي الطرد الفَوريّ للأفكار والذِّكريات غير المُرتَّبة، التي لا تُرضي الله، ولا تَتوافق و السِّيرة الصَّالحة.

310 عمل التمييز يؤدّي إلى الرؤية الصّحيحة لمَصدر التّجربة. وهكذا يَكتسب المُجاهد خبرةَ عمل التّمييز، وخبرة الرُّؤية.

311 أي تَحزن على خطاياك وخطايا العالم، أو حين تُدرك تَقصيرك في الجهاد، وهذا الحزن هو مُفيد.

312 التشوّش مَركبة الشَّرير، يَدخُل من خلالها مُتسلّلاً، كحصان طروادة، إلى النَّفس التّعسة، حاملاً إليها جميع أصناف الأهواء. وسَبب ذلك أنّ الذِّهن يَتحوّل عن الغاية السامية، التي هي الصَّلاة، ليُفكِّر في أمور غير نافعة، قد تُحرِّك أهواء المُصلّي وتُصيبُه بالضَّجَر...

9. **في مُجادلة أفكار العدوّ**: لا تُجادل الأفكار التي يزرعُها العدوّ فيك، واقطَع حديثكَ معها (تفكيرك بها)، مُتضرِّعاً إلى الله، يَنَل ذِهنُكَ حكمةً من النِّعمة (الإلهيّة) 313. مَن يَعرف هذه الحقيقة يُنقِذ نفسَهُ من مَشاقّ كثيرة ويَقطع عنه كلّ تَشتُّت 314.

لا نَقدر أن نُجادِل (نسترسل في) الأفكار التي تُحاربُنا وتُصيبُنا سريعاً بالجِراح. فالذي يُجابه الشّياطين بالحجج 315 يُعرّض ذاتهُ لضرباتِها بما يفوقُ حكمتَهُ وفطنتهُ بكثير 316. وهو، وإن غلبَها، فلن يَنجو من تَدنُّس ذهنه بقذارتها ورائحتها الكريهة التي ستظلّ في أنفه (ذهنه و ذاكرته و خياله) زمناً طويلاً. فالأفضل لكَ أن تَقتني الخوف [والحَذَر] دائماً وتَتحرّر من الأفكار التي تُحاربك بها الشّياطين (بقطع الحوار معها واللّجوء إلى الصّلاة). فلا مُعين لنا في مِثلِ هذه الأحوال سوى الله.

10. **في الدُّموع**: إنّ الدّموع التي تترقرَق في أثناء الصلاة 317 هي دليل رحمة الله التي استحقّتها النّفس بتوبتها المقبولة، ودليل دُخولها روضة النّقاوة. تَنسكبُ العَبَرات عندما يَتجرّد الذّهن من الأفكار العابرة والمُشتِّتة، ويُنزع منه الرّجاء بالحياة الدّنيويّة، ويَزدري بالعالَم ، ويتأمّل في أمور الدّهر الآتي. الدُّموع هي ثمرة التأمُّل السّليم المُنَزّه عن التشتّت. (وتَنجم الدّموع) من الأفكار الكثيرة المُتواصلة الثّابتة، ومن أقلّ ذِكر حاصل في الذّهن يُسبّب حُزن القلب (لتقصيره في المحبّة والجهاد والصّلاة). بهذه الأفكار تَفيضُ الدّموع وتَزدادُ غَزارةً.

---

313 هنا ثلاث مراحل: التجربة، والصلاة، وتَنجم عن هذه خبرة مُقاومة التجربة، أي الحكمة. فمن علامات الحكمة الروحيّة مُقاومة التجربة بشجبها والقَطع الفَوريّ لمجادلتها والحوار معها. ونقيض الحكمة التشتّت.

314 التشتّت هو الغفلة التي تفتح للأهواء باب الدخول إلى الذّهن، وهو نتيجة عدَم مُقاومة التجربة بالصّلاة.

315 تَستحيل مُواجهة أفكار والأهواء بالحجج الفكريّة، بل بالصّلاة وقطع الحوار مع تلك الأفكار فوراً، أي شجبها للحال وعدَم قبولها.

316 الشيطان هو عقلٌ ساقط وخارق الذَّكاء ولا يمكن مُقارعتُه بالحجج البشريّة وَحدها، بل نَحتاج إلى التماس مؤازرة الله بالتضرّع الحارّ والصلاة الدّائمة

317 يختبر كثير من المُجاهدين انهمار الدّموع في أثناء التأمُّل والصّلاة . وهذه تُسمّى عطيّة الدّموع. لكن، كان الآباء في حذَر من هذه الظاهرة، وطلبوا من الربّ التَّمييز، فالدّموع قد تكون أيضاً من الشَّياطين، لأجل تجربة المُصلّي بالكبرياء.

11. **في الأفكار المُلِحَّة**: إذا تَسَرَّبَ إليكَ فكرٌ سيءٌ وراودَكَ باستمرار، سواءً أكان يتعلّق بأمر بعيد عنكَ أم خاصّ بكَ، أن ثّمة فخّاً يُنصَبُ لكَ. فتيَقّظ و تَروَّ فإن كان فكراً صالحاً، فاعلمَ أنّ الله يُريد أن يَهبَكَ (بواسطته) طريقاً للحياة (أي للتقدُّم في الحياة الروحيّة)، ولهذا يتحرّك فيكَ هذا الفكر بخلاف العادة. أما إذا كان فكراً مُظِلماً، ولم تَقدر أن تُميِّز إذا كانَ مُساعداً أو مُحتالاً يتراءى لكَ بمظهر صالح، فتأهّب له بصلاة طويلة حارّة، في سهرات كثيرة. لا تَطردهُ ولا تَقبَلهُ بل صلِّ من أجله بجدّ وحرارة، ولا تَكِلّ في الابتهال إلى الله، فهو يُظهر لكَ مَصدرَه.

12. **في الصّمت**: أحبِب الصّمت لأنه يُقرّبُك، أكثر من أي شيء آخر، من الثَّمَر الذي يَصعُب وَصفُه باللّسان 318. (في البداية) نُجبرُ أنفسَنا على الصّمت، ثم (بَعدَها) يَتولّد في داخلنا ما يَقودُنا إلى الصّمت. فليُعطِكَ الربّ أن تَشعُر بثمار الصّمت لستُ أعلمُ مِقدار النّور الذي سيُشرِق [فيك] منكَ عندما تبدأ هذه السّيرة.

إنّ مُمارسة الصّمت تُولِّدُ مع الزّمن لذّةً في القلب و تُرغِمُ الجسد على الصَّبر في السّكينة، التي منها تَتفجّر الدُّموع. والقلب، في أثناء المُشاهدة العَجيبة، يُحسّ إحساساً خاصّاً يُسبِّب لهُ الألم أحياناً، و أحياناً التعَجُّب. و يَصغُرُ القلب ويُصبحُ كقلب طفل، وعندما يَبدأ بالصّلاة تَنهمر الدُّموع.

عظيمٌ مَن يعتادُ على هذه السّيرة العجيبة (سيرة الصّمت)، ويَقتَنيها بصبر. بفضل هذه السّيرة بَلغَ كثيرٌ من الآباء حالةً روحيّة سامية، وحَفِظوا أنْسَهم، و اكتسبوا غِنىً روحيّاً فائقاً. و إذا وُضِعتَ أعمال السّيرة الرّهبانية كُلُّها في كَفَّة، و الصّمت في الثانية، ستجد الثانية (كفّة الصَّمت) ترجَح على الأولى.

إنَّ إرشادات الآخرين وتَوجيهاتهم كثيرة، لكنَّ سَماعها غير ضروريٌ لمن بلغَ حالة الصَّمت، لأنَّ دُنُوَّهُ من الكمال يَجعلُهُ يَفوق كلّ توجيه وإرشاد. والصَّمت يُساعد السّكينةَ أيضاً. فعندما نعيش مع كثيرين لا نستطيع أن نَتحاشى اللقاءات.

13. **في ضبط الحواسّ**: وجَدتُ آباءً كثيرين وعَجيبين يهتمونَ بضبط حواسهم والمُحافظة على مناقبية (عفّة وكرامة) أجسادهم، لأنّ تهذيب الحواسّ يجلب تهذيب الأفكار. كثيرةٌ هي الأسباب التي تُسَيّر الإنسان كُرهياً (بالرُّغم من إرادته) (وتُقيّدُه) وتُخرِجُه عن حدود حُريَّتهُ. وإذا لم يَحفظ حواسّه بواسطة عادةٍ يُمارسها باستمرار، سوف يَصعُب عليه أن يَعود إلى ذاته ويجد حالة السّلام الأولى.

14. **في الضّجر و التّعزية**: إذا صادَفَنا الضَّجر أحياناً بسبب الوحدة (وقد يحصل ذلك بتدبير من الله)، فلنا تعزيةُ الرَّجاء (الثِّقة بُحسن تدبير الخالق، ووُعود الحياة الأبديّة) التي تَفوقُ كلامَ الإيمان الذي في قلوبنا. وقد أجادَ أحد المُتوشّحين بالله حين قال: " الشّوقُ إلى الله يَكفي لتعزية المؤمن، حتى عند هلاك نَفسه". 319

15. **في اقتناء الرّحمة**: لتكُن كفّة الرَّأفة راجحةً فيكَ، حتى تُحسّ في داخِلكَ بمدى الرّحمة التي يَحتاجُها العالَم: " مِن رحمة الربِّ امتلأت الأرض" 320 ولتكُن لكَ الرّحمة مرآةً تُشاهد من خلالها، في داخل نفسكَ، الصُّورة والمِثال الحقيقيَّين لطبيعة الله وجَوهره.321

القلب القاسي والخالي من الرّحمة لا يُمكن أن يَتنقّى. أما الإنسان الرّحيم فهو طيب نفسه لأنه يَطرُد من داخله ظُلمةَ الأهواء (فتخرُج منه مُسرعةً) مثل ريح عاصف . [" كُن رَحوماً جداً إذا كنتَ مُهتمّاً باستجابة صلاتك. لأنه بالرحمة يَنال الرهبان المائة ضعف في هذا الدَّهر، والحياة الأبديّة في الدَّهر الآتي.322"] هذا هو الواجب الصّالح نحو الله، حسب كلمة الحياة الإنجيلية: " كونوا رُحماء"323

16. **في عَيش السَّكينة**: مَن يُحبُّ الحديث مع المسيح يَودُّ أن يُصبح متوحّداً. أما مَن يُحبّ البقاء مع كثيرين فهو صَديق العالم.

إذا أحببتَ التَّوبة أحبب السكينة. فلا توبةَ من دون السَّكينة. و إذا أحببتَ السَّكينة، أحبب الإدانات و المَظالم (الموجهة إليك)، والتي تَلتصق بها (أي بفضيلة حبّ السّكينة)324. و تَقبَّل بلذّةٍ عَناءَ الجسد مَهما صَغُرَ، لأنكَ من دون هذا، لا تَستطيع العيش في السّكينة بحُرية، وتَبقى ثابتاً فيها إلى النّهاية. الاشتياق إلى السَّكينة هو انتظارٌ مُتواصلٌ للموت. 325

---

318 الثَّمر الفائق الحلاوة الذي يَصعُب وصفُه باللسان: هنا تَشابُه: " الصَّمت" يُنشىء المسيح ويَتذوَّق المسيح: " كالتفَّاحةِ في أشجار الغابة كذلك حَبيبي بين البَنين. في ظِلِّهِ اشتهيتُ الجلوس وثمرُه حُلوٌ في حَلقي." (نشيد 2 : 3)؛ أُنظر تَعريف الصَّمت الرهبانيّ في المقدّمة، الفقرة5.

319 أي وقوعه في الخطيئة، فليس المقصود هنا الهلاك الأبديّ.

320 مزمور 32 : 5

321 الصورة والمِثال: يعود القدّيس إسحق إلى قَول الله: " لنَصنعنّ الإنسان على صُورتنا كمِثالنا" (تكوين 1 : 26 – 27) ليقول إنّ صورةَ الله و مِثاله وجوهره إنما هي الرّحمة.

322 القدِّيس يوحنَّا السلَّمي، السلّم إلى الله، 28 : 44

323 لوقا 6 : 36

324 هناك مَعنيان لهذا القول: فقد يتعرّض مُحبّ السكينة لتجريح الآخرين وإدانتهم ومظالمهم، فيحتمل الإساءة؛ ومُحبّ السكينة يُصبح أكثر قُدرةً على احتمال الإساءة

ومَن يَدخُل إلى السّكينة من دون هذا التأمّل (في الموت) لا يُمكنُه أن يَصبر على الأمور التي يجب تحمُّلُها ولا مَفرَّ منها. [فلنَذكُر أنّ عمُرَنا قَصير ورغدة تَعبٌ ووَجع، و موتُنا قريب، فنَنال حكمة الزُّهد بالعالم و ملذّاته326 ونَحتمل المشقات ونَثبُت في حياة السَّكينة] (لذلك) ، فلنُحبّ السَّكينة حتى يموتَ العالَم في قُلوبنا، و لنتذكّر الموتَ دائماً. بالتأمّل الدَّائم بالموت نَتقرّب من الله في قُلوبنا، و نزدَري أباطيل العالَم وتَمقُتُ عُيونُنا لذَّاته.

17. **اعرف خطاياك:** مَن يَعرِف خطاياه (ويَتوب عنها) أعظم مِمَّن يُقيمُ المَوتى 327.

325الصَّمت خروجٌ من العالم ومَوتٌ عنه، فلا يَبقى للمتُوحِّد سوى انتظار الموت لأجل لقاء الربّ. بهذا المَعنى، الصّمت هو انتظار للموت.

326مزمور 89 : 10 –12

327إنّ أعظَم مُعجزة يَعملُها الإنسان، و بخاصة، الرّاهب، هي أن يَعرف خطاياه ويتوب عنها. الحياة الرهبانيّة تُعطي أهميّةً كبيرة لمعرفة المرء لذاته، ومعرفة خطاياه، لأنّ مَن لا يعرف خطاياه، أو لا يُقرّ بوجودها، لا يمكنه أن يتوب عنها، وهو لذلك مائت، وعليه أن يُقيم ذاته أولاً من خلال التوبة. فحياة الإنسان يجب أن تكون توبةً دائمة. أما إقامة

= المقالة الخامسة والثَّلاثون=

1. **في تَنقية الذّهن وتَسامي الأفكار والمُشاهدة** : يَزدادُ الذّهن شَفافيّةً و استنارةً في أثناء الصّلاة، بمقدار ما يَترفَّع عن الاهتمام بالجسد والأشياء المَنظورة، ويَهتمّ برجاء المُستقبَلات (الثقة بالحُصول على الخيرات الأبديّة بعد الانتقال إلى السماء). بمقدار ما يَتحرّر من عقالات (قيود) الاهتمامات يزداد لمعاناً، وبمقدار ما يَستضئ (يَستنير) يَزداد رِقّةً وتَسامياً على أفكار هذا الدّهر 328.

عندئذٍ يُدرِك الذّهن أنه يُشاهد الله بنَقاوة لائقة به، لا كما نراهُ نحن. فالإنسان ما لم يُصبح نقياً، لا تتكشّف له الخفيّات. وما لم يَتحرّر من كلّ ما هو مَنظور في الخليقة، لا يَتخلّص من ذكرياته (الباطلة) ويَستريح من أفكاره المُظلمة. فحيثُ الإدلهمام والتّعقيد (التشتُّت والبلبلة) في الأفكار هناك الأهواء. وما لم يَتحرّر الإنسان من هذه الأمور 329 ومن أسبابها، لا يستطيع ذهنُه أن يَرى الخفيّات.

2. **في الصّلاة والتخلّي**: اصرِف همّكَ عن (المَوجودات) فيجذبكَ الشّوق إلى الحديث مع الله. لكنّ الصّلاة تحتاج إلى تَرويض طويل قبلَ أن يُصبح الذّهن حَكيماً. 330 بعد اكتساب فَضيلة عدم القنيَة (التّحرّر من حُبّ المُقتنيات) تَتحرّر ذكرياتُنا من الربطات (الماضية) 331 وتُصبح الصّلاة (النقيّة مُمكنة 332 لكنّها تبقى) بحاجة إلى مُثابرة. الذّهن لا (يتمرّن) على طرد

الموتى، حتى لو كانت بمُتناول المرء، فلا تُفيده من دون التّوبة، بحسب قول المرء، فلا تُفيده من دون التّوبة، بحسب قول الربّ للذين زعموا التنبّؤ وإخراج الشَّياطين باسمه:" لا أعرفُكم، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" (متى 7 : 22–23).

328بقَدر ما يترفّع الذّهن عن التشتّت والاهتمام بالجسد وبالأمور الدّنيويّة في أثناء الصّلاة، يَتسامى ويَستنير ويَزداد شفافيّةً. وهذه بدورها تَزيد الذّهن رِقّةً وتَساميّاً عن الماديّات، في دائرة تَرتفع بالرّاهب في مَراتب الاستنارة. وهذا كلُّه يحدُث في أثناء الصَّلاة.

329المحسوسات (المنظورات) والذكّريات وظلمة الأفكار، والأهواء.

330حِكمة الذهن أن يُفضِّل الإلهيّات على الأرضيّات، و أن يَضبط أفكاره للتأمُّل في الله.

331الذِّكريات تَشدّ المجاهد إلى الماضي، فتُعيقهُ عن الصلاة؛ والتحرّر من حُبّ الماديّات يُساعد في تَنقية القلب وبالتّالي التحرّر من الذِّكريات.

الأفكار (غير اللائقة) إلاَّ بمُمارسة الصّلاة زمناً طويلاً، فيكتسب خبرةً واسعة لا يُمكنه الحصول عليها إلا بهذه الطريقة. 333

كلّ حَديث يَصير في الخَفاء (مع الكائنات العُلويّة)، 334 وكلّ اهتمام إلهيّ يَقوم به الذّهن الصّالح، وكلّ تأمُّل روحيّ، كلُّها غايتُها الصلاة. (وكلّ تأمّل روحيّ واهتمام إلهيّ يحدُث في الخفاء)، يأتي نتيجة الصّلاة الصّادقة التي تتولّد منها محبّة الله. محبّة (الله) تتولّد من الصّلاة كما تتولّد الصّلاة من الانعزال. ويَسبق الانعزال الزُّهد بالعالَم335.

إن لم يَعِش الإنسان حياة الانعزال لا يُمكنه المُثابرة على الصّلاة، و إذا لم يَظلّ مُثابراً على الهَذيذ بالله (ذِكر الله الدّائم) ومُتابِعاً التأمُّلات المُرتبطة بالصّلاة، فلن يَشعُر بمحبّة (الله).

= المقالة السادسة و الثَّلاثون=

1. **في الرّاحة و الرّفاهية:** لقد حَفِظَ اللهُ زمنَ الرّاحة للدَّهر الآتي. والذين سَكنَ الربُّ فيهم لا يَشتهون الرّاحة والتخلُّص من الشّدائد في الدَّهر الحاضر، وإن كانوا يُعزَّون في جهاداتهم الرّوحيّة من حين لآخر. 336.

332" مَن قَهرَ حُبّ المال (حبّ المقتنيات) قَطعَ عنه الهُموم. ومن استُعبِدَ له فلن يُصلّي يَوماً صلاةً نقيَّة" القدّيس يوحنّا السلَّمي، السلَّم إلى الله، 16 : 7، و أيضاً : الزَّاهد بالمقتنيات نَقيّ الصلاة، والمُتعلّق بها يُصلّي إلى صُوَر ماديَّة." وأيضاً: " حُبُّ المال أصلُ كلّ شرّ" (1 تيموطاوس 6 : 10)؛ وفَضيلة الزّهد بالمقتنيات تتأتّى من خِبرة حلاوة الله والاهتمام بالحِساب الأخير" 17 : 5 و 14 و 15.

333ذكريات الماضي غير اللائقة، وحبّ المُقتنيات، هي رباطات تَشدّ الراهب نحو العالَم وتمنعُه من مُمارسة الصّلاة النقيّة والدَّائمة، التي لا يمكن اقتناؤها إلاّ بترويض طويل الأمَد.

334الحديث مع الكائنات العُلويّة يتمّ عادةً من خلال الصّلاة، وفي أثنائها. وفي حالات نادرة جداً، وفي الخفاء، من خلال الإلهامات والمُشاهدة، وسواها من الخبرات الفائقة الطبيعة.

335الزهد بالعالم يولّد الانعزال والصّلاة الصّادقة، و محبّة الله (أي يشعُر الراهب بمحبّة الله له، وتزداد محبّتُه لله أيضاً).

336الراحة تعني هنا الراحة من الحروب الروحيّة.

رُوح الله لا يُقيم (داخل) العائشين في الرّفاهيَّة. قالَ أحد مُحبّي الله: "أقسَمتُ أن أموتَ كلّ يومٍ" [عن العالَم بالجهّاد والضيّقات] . هذا ما يُميز أبناء الله. هُم يَعيشون في الضّيقات بينما العالَم يَتنعّم ويَرغَد بالرّاحة.

= المقالة السابعة و الثّلاثون=

1. **في العمَل و التّواضُع**: إذا صَنعتَ فَضيلةً ولم تُحسّ مُعاضدَتَها (مُعاضدة الله لك من جرّائها) فلا تَتعجّب، لانَّ الإنسان لا يَنالُ أجرَ عمَلهِ ما لم يَتواضع. مَن لا يُعطي التّواضُعَ حَقَّهُ يخسرُ عَمَل (الفضيلة) أيضاً، ومَن سَبقَ فنالَ مُكافأةَ الصّالحات (أي التّواضع) يَفوق الذي يَعمل الفضيلة. فللمُتواضع تُعطي النِّعمة. 337

المُكافأة (الإلهيّة) لا تُعطي (للراهب) لأجل الفضيلة، ولا للألم النّاجم عنها، بل للتّواضُع الكامن فيها. وإذا فُقِدَ التّواضُع فالألم والفَضيلة يُصبحان باطلَين. عمَل الفضيلة هو حِفظ وصايا الربّ. و الازدياد (التقدُّم) في عمَل الوصايا (أي حِفظها) هو نتاج الذّهن الصّالح الذي قوامهُ التّواضُع والاحتراس. 338

2. **في الموهبة والتّواضُع**: العاهات (المشقّات) الجسديّة للذين حفظوا ذواتهم، هي صيانةٌ للبرّ (تُعينُهم في حِفظ برِّهم لأنها تحملُهم على التواضُع). أما المَوهبة (الرّوحيّة) من دون تجارب (مَشقّات تَستجلب التواضُع) فهي هلاكٌ للذين يَقبلونها (لأنها تخلو من التواضُع، و قد تَحمل على الكبرياء) 339.

---

337 بهذا يجعل القديس إسحق التواضع فوق جميع الفضائل، ومَن لا يتواضَع لا ينال أجر أعماله، وللمُتواضع تُعطى النِّعمة.

338 يجعل القديس إسحق التواضُع رأس الفضائل وشرطها الضَّروريّ. التواضُع جَوهر كلّ فضيلة، ومُلازم لها. الفضيلة وحدَها لا تكفي، ولا جزاء لها من عند الله. بالأكثر، من دون التواضُع، يخسر الرَّاهب الفَضيلة وأجرَها معاً.

لا فَضيلة من دون تواضُع، مهما عَظُمت الفضيلة، ومهما عَظُمَت الآلام (المشقَّات) المُرافقة لها . المغفرة ومحبّة الأعداء وقبول الإهانة ليست فضائل ما لم يكُن أساسُها التّواضُع، بالرغم من المشقّات التي تتطلَّبُها هذه الفضائل. بهذا أيضاً، يقول القديس إسحق إنّ فعل التواضُع، الذي هو أساس الفضيلة، أصعب من احتمال الألم المُلازم لتلك للفضيلة. وأيضاً،

التّواضُع هو علاجٌ ناجع للألم. فالمُجاهد ، إذ يتواضَع، يُدرك أنّ الألم المُلمّ به ليس ظلماً من الله، فلا يتذمَّر بل يرتضي الألم محبَّةً بالله و تَسليماً له.

339 غاية المشقّة أن تُولِّد التّواضع الذي يُعين المجاهد في الحفاظ على الفضيلة. أنظر الفقرة التالية، رقم 3.

فإذا عملتَ خيراً وكافأكَ الله بموهبة، فاطلُب إليه بإلحاح أن يُعطيكَ التّواضُع الموافق لكَ، أو أن يَضَع حارساً (لتلك الموهبة)، أو أن يَستردَّها منك حتى لا تُصبحَ سبباً لهلاككَ. فليسَ بإمكان الجميع أن يَحتفظوا بالغنِي و يَتجنَّبوا أذاهُ. 340

3. **في الفضيلة والأحزان والتّواضُع**: النَّفس المُهتمّة بالفضيلة بدقّة، والمتوحشة بخوف الله، لا تحيا يوماً واحداً من دون حُزنٍ (لشعُورها الدّائم بالتّقصير في عمَل الفضيلة). فالفضائل تَرتَبط بالأحزان ارتباطاً وثيقاً. 341

مَن يَهرُب من الضّيقات يَنفَصِل مُباشرةً (للتوّ) عنِ الفَضيلة. فإذا كُنتَ تَشتَهي الفضيلة، سَلِّم نَفسَك للشدائد لأنّها تُوَلِّد التواضُع. ونحن لا نَدنو مِنَ التواضُع إلاَّ بالتّجارب (الشّدائد) ، لأنّ الذي يَعيش في الفَضيلة من دون شِدّةٍ يُفتَحُ أمامَهُ بابُ الكِبرياء.

الله لا يُريد أن تكون النَّفس خالية من الاهتمام (بالفضيلة) . (وعديم الاكتراث) الذي لا يَهتَم بشيء هو خارجٌ عن إرادة الله و مُتفَرِّدٌ برأيه. 342 نَقصُد هنا الاهتمام في سبيل الأعمال الصّالحِة، و ليسَ الاهتمام بالجسديَّات.

4. **في انحِطام الكِبرياء**: (الكبرياء دَمار النّفس): " قبلَ الانحطام الكبرياء" 343 وقَبلَ الموهِبة التّواضُع. التأديبُ بالانحطاط (المشقّة الشّديدة)، الذي يَسمَح به الله، يكون بمقدار الكبرياء الظّاهِر في النَّفس 344.

و ليسَ الكبرياء فِكرةً عابرة في الذّهن، أو فِكراً يَتسَلّط على الإنسان من وقتٍ لآخَر. الكبرياء حالةٌ ثابتِة في النَّفس. الأولى (الكبرياء العابر) تَتَبعُها نَدامَةٌ وخُشوع، والثانية (الكبرياء الدّائم)، إذا عَشِقَها الإنسان، فلن تَدَعهُ يَعرِف النَّدامة والخُشوع [فيكون في ذلك انحطامُه ودَمارُه الروحيّ] 345.

---

340 عندما يُعطي الله الراهب موهبةً أو فضيلةً ما، فذلك يُوجب عليه أن يَتواضَع، و أن يَحسبَ نفسَهُ كلا شيء، وأن لا يَنسبَ الفضيلةَ أو الموهبة لذاته. وإذا فعل، فهو يَستكبر، و يكون ذلك مَدعاةَ دينونةٍ له و سبب هلاكه. وهذا يعود بنا إلى ما ورد في الفقرة السابقة، من أنّ التواضُع أساس و شرط لكلّ فضيلة و موهبة.

341 الحافز على الاهتمام باقتناء الفضائل هو مخافة الله. مَن عنده هذه الرغبة يحيا في حزن على خطاياه ويرتضي بالضِّيقات، التي لا فضيلة من دون اقتبالها، لأنها تُولِّد التَّواضع والانسحاق أمام الله.

342 إرادة الله أن يهتمّ الراهب بالفضيلة والأعمال الصالحة. وهذا يتطلَّب تَركَ الإرادة الذاتيّة والرأي الذاتيّ، ومخافة الله، وقبول الشدائد والأحزان والضِّيقات، التي تُولِّد التّواضع، الذي هو جوهرُ وشرطُ كلّ فضيلة وأساسُ كلّ عمَل صالح (أنظر الفقرة السابقة).

= المقالة الثَّامنة والثلاثون=

1. **في الشّوق الإلهي و ازدراء العالَم:** مَن بَلغَ محبّة الله (النقيَّة) لا يَشتَهي البقاء هُنا (في العالَم، بل يشتاق إلى الحياة في السَّماء مع الله). لهذا، المحبّة تُبطِلُ الخوف (من الموت). لقد أصبحتُ جاهلاً (لأني أكشف خبرةً روحيّةً كان يجب أن أكتُمها لأنها قد تُفضي بي إلى الكبرياء) ولا أستطيعُ أن أحفظَ السِّرّ. ها إني أفقدُ صوابّي من أجلِ إفادة الإخوة، لأنَّ المحبّة الحقيقيّة لا تَكتُم السِّرّ عن الأحبَّة.

مِراراً كثيرة كانت أصابعي تتوقَّف عن الكِتابة، و أُمسي غير قادر على تحمُّل اللذّة التي تَنسَكب في قلبي و تُهدّئ حواسّي و تُسكّنُها. 346

طوبى لِمَن يَهُذُّ بالله على الدَّوام (يَذكُر الله باستمرار) ويَمتنع عن كلّ ما هو دُنيويّ، ويُكرّس ذاتَه للتّأمّل في مَعرفة الله؛ فإن كان صَبوراً، طويل الأناة، سوف يَرىَ الثّمر في وقتٍ قصير. 347

الفرحُ الإلهيّ أعظمُ بلا قياسٍ من هذه الحياة، ومَن وَجَده لا يزدري الأهواء وحَسب ، بل يَفقد الاهتمام بحياته وبأيّ شيء آخر. إنَّ هذا الفرح حقيقيّ. فمحبّة الله أشهى من الحياة، والأحلى منها هو الفَهم الإلهيّ (فهم الأمور الإلهّية) الذي تَنشأ مِنهُ المحبّة الإلهيّة التي هي ألَذَّ من الشَّهد. لا حُزنَ في المحبّة (محبة الله و الشوق إليه) و إن اضطُرَّت (النَّفس) لقَبول مِيتات كثيرة من أجل مُحبّيها. المعرفة (الإلهيّة) هي حِسُّ الحياة الأزليّة، والحياة الأزليّة هي الإحساس بالله. المعرفة الإلهيّة(هي) مَلِكة الرَّغائب كُلِّها، 348 و القَلبُ الذي يَقبل هذه المَعرفة (لا يكترث للدُّنيويَات) و يَعتبر الحلاوة الأرضية أمراً تافِهاً.

---

343 أمثال 16 : 18

344 الله يؤدِّب النَّفس بالمشقّة، على مقدار كبريائها، من خلال الشَّدائد التي قد تَبلُغ حدّ انحطام النفس وعذابها، و أحياناً إذلالها. والغاية أن تُدرك النفس قَدرها فتتواضَع، و بعدها تؤهَّل للمواهب المُتنوِّعة.

345 مَن هو في حالة كبرياء دائم يصعُب عليه جداً أن يتوب، لأنه لن يتواضع بما يكفي ليُقرّ بخطيئته.

346 يكشف القدّيس إسحق خبرته الخاصّة، في أنّ مَن يَذكُر الله و يتأمّله على الدّوام، تنسكب في نفسه خُبرات روحيّة في غاية الروعة و السُّموّ، حتى إنه يَشتهي الموت والانتقال إلى السماء.

347 ذِكرُ الله الدّائم و التأمُّل في معرفته، بمثابرة وصبر، ينشئ محبّةَ الله النقيّة، وفرحاً ولذَّةُ تُهدّى القلب و تُسكِّن الحواس، و تُولِّد مَعرفة الإلهيّات، فيمتَنع المجاهد عن كلّ ما هو دُنيويّ، ولا يَعود يَخشى الألم و الموت.

2. **ما هي الأهواء:** الأهواء هي هَجماتٌ (للرَّغائب) وُضِعَت في أمور هذا العالم (تَتعلّق به، وتَنشأ عنه)، وهي تَدفَعُ الجسد إلى إتمام حَاجته الضروريّة، ولا تكفّ عن الهجوم مادام العالَم موجوداً.

مَن أُهِّلَ للنّعمَة الإلهيّة أَحسَّ بما يَفوقُ (أمور العالَم وهَجمات أهوائه)، لا يَدَع هذه الهجمات تَتسرَّب إلى قَلبه، لأنّهُ وضَعَ في مَركز الهجوم (في قلبه) شهوةً أكبر وأسمى بكثير (الشّوق إلى الله). فلا الهَجمات تَقترب منه، ولا كلُّ ما يَنجُم عنها.

وهذا لا يعني أن هجمات الأهواء لا يعود لها وجود (بالنسبة لمَن أُهّل للنِّعمة)، لكنّ القلب الذي هو هدَف هجُومها يُصبح مَيتاً عن تلك الأهواء وعائشاً لشيءٍ آخر (لله ولعمَل الفضيلة).

وهذا لا يعني أيضاً أنّ القلب أنهى مُهمّة التّمييز والأعمال (أعمال الفضائل)، بل إنه لم يَعُد في ذِهنه شيء يُزعجهُ لأن ضميرهُ أصبح مليئاً بنَعيم آخر (نَعيم التأمُّل في الإلهيّات).

القلب الذي يَقبل حِسّ الرّوحيّات ومُشاهدة الدَّهر الآتي بدقّة، يُصبحُ بالنسبة لِتَذكُّر الأهواء مثل إنسان شَبعَ من المآكل الفاخِرة فأصبحَ لا يَشتَهي أيَّ مأكل آخر بعدَها إنهُ ليس كالابن الضّال الذي بذَّرَ غِناهُ الأبويّ وأخذَ يَشتَهي الخُرنوب 349.

3. **الكنز**: مَن يؤتَمنُ على كَنزٍ، لا يَنام. [الكنز هو نعمة الله التي في داخلنا، والتي يجب أن نَسهر و نُصلّي بيَقظة كي لا نفقدها؛ " إنَّ كَنزَنا لا يُسلَب مِنّا إن لم يَسهَ 350 عَقلُنا".] 351

4. **في الانتباه واليَقظة ضدّ الأهواء**: إذا حَفِظنا بمعرفة (بفطنة) قانون الانتباه وعَمَل التَّمييز (بين ما هو من الله، وما ليس من الله)، فَلن تَقتَرِب من أذهاننا هَجمات الأهواء. الغِنى والصّحة (الروحيّان) يحصلان بالانتباه والاجتهاد واليقظة، ونحن بحاجةٍ إليها (للمُثابرة عليها) مَدى الحياة لنحفَظَ كنزنا. وإذا أهملناها، فكنزُنا سَوف يُسلَب منّا. إنّ العمل (الروحيّ وعمَل الفضائل) يجب ألاَّ يَنتهي برؤية الثَّمر، بل يَفرِضُ جِهاداً حتى الموت، لأنَّنا لا نَعرف متى يَنزِلُ البَرَد فَجأةً فَيُتلِف الثَّمر بَعد نُضوجه. 352

348 الرَّغبة في معرفة الله والأسرار الإلهيّة تُخمِد كلَّ هوى، وكلّ رغبة أخرى. لأنّ مَن تذوَّق معرفة الإلهيّات لا يعود يكترث للحلاوة الأرضيَّة.

349 بل على العكس، فهو شَبعَ من مآكل أبيه الفاخرة، حتى إنه لا يشتهي طعاماً آخر سواها.

= المقالة الثانية و الأربعون=

1. **في التحرُّر من الخطيئة:** لا يتحرّر الإنسان من لذَّة فِعل الخطيئة ما لم يَمقُت سببَها من كلّ قلبه مَقتاً نهائياً. [لا يجيب أن نمقُت الخطيئة وحسب، بل و أسبابها أيضاً. بهذا نتحرّر من لذّتها.] إحسب نفسَكَ مَيتاً (روحياً) ما دامت حواسُّكَ حيّة حيال ما هو مُثير. (فمتى اعتبرتَ أنّ حياة الحواسّ هي للرّوح مَوتٌ) تتحرّر من لهيب الخطيئة في أعضائك، وتَنال الخلاص.

= المقالة الثَّالثة و الأربعون=

1. **في الطَّهارة وصَون اللسان:** إذا كنتَ تُحبُّ الطّهارة التي بها يَظهر سيّدُ الكُل، لا تذِمّ أحداً ولا تَسمَع من يذِمّ أخاه. مَن صانَ لِسانَهُ لا يُسلبُ (تُسلَب فضائله) . 353 مَن يَمنع فَمَهُ عن ذمّ الآخرين، يَحفظُ قلبَهُ من الأهواء و يَرى الربّ الذي يَهذّ به (يذكُرُه) في كلّ حين، فيَطرُد عنه الشّياطين ويَقتلع من نفسه بُذُور شرورها.
2. **في التواضُع والغضب:** كنزُ المُتواضع في داخله وهو الربّ عينُه. قلبُ الوَديع والمُتواضع ينبوع أسرار الدَّهر الجديد، أما الغَضُوب فقلبُه مُفرَغٌ من أسرار الله.354
3. **طهارة الذّهن**: من يَضبط مُشاهدة ذهنه في داخله (مَن يحفظ ذهنه نقيّاً من الخيالات والرَّغبات والذكريات غير اللائقة) يرَ فجرَ الرّوح. ها إنّ السَّماء في داخِلكَ. إن كُنتَ طاهراً (بذهنك و جسدك) سترى (في السماء التي بداخلك) الملائكة مع نُورِهم، و سيّدُهم معَهم.

350يَسهو : يُصيبُه السَّهو .

351القدّيس يوحنَا السلّمي ، سلّم الفضائل، المقالة 15، الفقرة 83.

352يُشبِّه القدّيس إسحق الفضائل بالثمار وهجمات التجارب والأهواء بالبَرَد الذي ينزل فجأةً، وقد يُتلِف الثِّمار حتى بعد نُضوجها. على الراهب أن يحفَظَ باجتهاد، طيلة حياته، قانون الانتباه واليقظة، و التَّمييز بين ما هو من الله و ما هو ليس منه، حتى لو بَلغَت فَضائلُه مَرحلة النُّضج. بهذا يَحفظ ذهنَه من هجمات الأهواء، التي تأتيه مُتخفِّيةً تحت ستار الفضيلة و الخير ومُساعدة القريب. ويجب ألاّ يَتهاون إن رأى ثماراً لحياته الروحيّة، لأنّ خطر هجمات الأهواء يَبقى قائماً حتى المَمات.

4. **في الصَّمت و التَّواضعُ**: السّريع الكلام (عديم الدّراية) يَبتعد عن جابله (إلهه) أما صامتُ اللسان فيبلغُ رُتبةَ التّواضُع (العَميق) ويَتسلّط على الأهواء بلا تَعب. الفمّ الصّامت يُفسِّرُ أسرارَ الله. 355

5. **في ذِكر الله المُستمرّ وتَطهير القلب**: التأمُّل المُستمرّ بالله هو السَّيف الذي يُبعِد الأهواء و يَقتلعُها ويَقضي عليها. وكما أنَّ الدّلفين يتحرّك و يَسبح عندما يكون البحر ساكناً، هكذا تتحرّك الأسرار والإعلانات الإلهيّة في بحر القلب عندما يَزول منه الغضب والحّنق ويُصبح ساكناً هادئاً، فتُبعَثُ فيه البَهجة.

مَن أراد مُعاينة الربّ (و إعلاناته و أسراره) في داخله، فليبدأ بتطهير قلبه بذكر الله المُستمر، فيراه بعينَي ذهنه النَّقيتَين. وما يَحصَل للسَّمكة عند خُروجِها من الماء، يَحصَل للذّهن الذي يَبتعَد عن ذِكرِ الله و يَتشتّت في تَذكُّر العالَم.

6. **في الاهتمام بأُمور العالم**: يُؤهَّل الإنسان للدّالة الإلهيّة (يصير هو وصَلاتُه أكثر قبولاً لدى الله) بمقدار ما يَتحاشى التحدُّث مع الناس، ويُؤهَّل للفرح الإلهيّ بالرّوح القُدس بمقدار ما يَقطع عنهُ تعزية العالَم 356. وكما أنّ السّمك يَهلِك عند جفاف المياه، فالمُخالطة المستمرّة (بالناس) تُتلِف الفُروخ العقليّة (أفكار الفضيلة والإلهامات الإلهيّة) النَّابتة في القلب.

7. **مَلكوت الأنقياء**: الوطن العقليّ (الملكوت) موجودٌ في داخل النَقيّ النَّفس، والشّمس المُشرقة فيه هي نُور الثّالوث ، والهواء الذي يَتنشّقُه سُكانُه هو الرّوح المُعزّي الكُليّ قُدسُه. أما مُجالِسو نقيّ النّفس فهُم الطَّبائع المُقدّسة اللامُتجَسّمة، والمسيح، النّور المُنبَثق من الآب، هو حياتُهم وفرَحُهم. 357

353الطهارة هنا تعني طهارة الذَّهن من البَغضاء والحقد والحسَد وحبّ الانتقام... وما يَنجم عنها من ذمّ للآخَرين. لهذا يقول: " مَن صان لسانه يحفظ قَلبه من الأهواء ولا يُسلَب فضائله"

354قلب الإنسان الوديع والمُتواضع هو نقيّ من الأهواء (أنظر شرح الفقرة السابقة). هذا القلب يَسكُن فيه الله ويُعلِّمُه أسرارَه: " طوبى للأنقياء القُلوب، فإنهم يُعاينون الله". (متى 5 : 8) . والغضب عكس التواضُع، لأنّ الغضب هو من الأهواء التي تُخلي القلب من النِّعمة ومن الفضيلة.

355صَمت اللسان دليل تواضُع وخُشوع ويَقَظة وتوبة وصلاة داخليّة دائمة وتأمُّل في أسرار الله، و عُزوف عن العالم وعن الاختلاط غير الضروريّ بالنّاس. لهذا، صامتُ اللسان يَغلب أهواءه ويفسِّر أسرار الله.

8. **في الصَّمت:** بمقدار ما يَبتعد اللّسان عن كَثرة الكلام يَزداد بهاؤهُ في إخراج المعاني ، لأنَّ كثرة الكلام تُشوّش الذّهن النقيّ.

9. **في صلاة الإنسان العَفيف:** العفيف والمُتواضع وماقِتَ الدّالة (الذي يَكره رَفع الكِلفة مع الآخرين) 359 ونازع الغضب من نفسه، يَرى في نفسه نور الرّوح القُدس عندما يَقف للصّلاة، و يرتَكض بإشراقات نورهِ ويبتهج برؤية مجد نفسه مُحَوَّلاً إلى مِثال الرّوح القُدس [يَرى في نَفسه ثِمار ومَواهب الرُّوح القُدس]. 360

10. **في تذكُّر الموت و الخُروج من العالَم:** مَغبوطٌ مَن يَتذكّر خُروجَه من هذه الحياة و يَقطع علاقَته بنَعيمها، لأنهُ سينال تلك الغِبطة مُضاعَفةً عند خُروجه من العالَم، ولا تُنزَعُ مِنه إلى الأبد. هذا هو المولود من اللهِ، الذي يُغذّيه الرّوح القُدس و يَرتَشِف من حِضنه الغِذاء الحَيّ، و يتَنشَّق رائحَتهُ بابتهاج. أما المُتعلّق بأهل الدُّنيا و رائحتها، وبُحبّ التحدّث عن أمور العالم، فإنهُ يَفقد الحياة (هذا هو الموت الروحيّ بعينه) 361. أيها الجالسون في الظّلام إرفعوا رؤوسَكم فتستضيء وجوهُكم بالنّور. أُخرجوا من أهواء العالَم يَخرج نُور الآب للقائكم و يأذَن لخادِمِي أسراره (الملائكة الحُكماء) بأن يحلّوا رباطاتكم (من قيود الشّهوة و الأهواء) فَتتوجَّهون إليه سالكينَ في خُطاه.

11. **في اللقاءات و كَثرة الكلام:** لا شَيء يُبرِّد نار الرّوح القُدس المُتأجِّجة في قلب الرّاهب (المُجاهد) كالمُعاشرة وكثرة الكلام و اللقاءات (مع أهل العالم) 362. ولا أعني اللقاءات مع أبناء أسرار الله لأنها تُنمّي فينا معرِفتَه وتَقرُّبنا منه، وتُوقِظ النَّفسَ إلى الحياة و تَقتلع جُذور الأهواء و تُنوّم (تُخمد) الأفكار الرّديئة أكثر من أي فضيلة أخرى فَلتَعظُم في قلبكَ المحبّة التي توَحّدُكَ بالله حتى لا تكون أسيراً لمحبّة العالَم التي سببُها وغايتُها الفساد. إنّ مُعاشرة المُجاهدين تُغنينا و تُغنِيهم بأسرار الله.

356هذا الكلام موجّه بخاصة الى المُتوحِّدين العائشين في السِّكينة، و الذين يُشتِّتُهم الاختلاط الكثير بالنّاس

357النقيّ النَّفس يَسكُنُ فيه مَلكوت الله ويُشرق فيه نُور الثَّالوث ويُعزّيه الروح القُدس، و تُجالسُه الملائكة ويحيا بالمسيح.

الإنسان المُبتَهِج بمُشاهدة (نَقاوة) نفسه، والمُتعجّب من جمالها، يَفوق الشَّمس إشراقاً. هذه هي أورشليم مملكة الله المُخبّأة في داخلنا، بحسب قول الربّ: [" إنّ ملكوت الله في داخلكم"]. 358 هذه هي غَمامَة مجد الله، التي يَدخلُها أنقياء القُلوب وحدَهم ويُشاهدون وجه سيّدهم وتَستضيء أذهانُهم بشُعاع نُوره.

358 لوقا 17 : 21

359 يحتفظ بمسافة بينه و بين الآخرين، و يَبقى في جديَّة معهم.

= المقالة الرَّابعة و الأربعون=

1. **في الحواسّ العَفيفة:** الحواسّ العَفيفة المُنضَبِطة تولّد سلام النَّفس ولا تَدَعُها تَختبِر (حسّ الموجودات)، فَتنتَصِر من دون جهاد. 263 لكن إذا تهاونَ الإنسان و سمحَ لهَجَمات (الحواسّ) بالدخول إليه (إلى ذهنه)، يضطّر إلى دخول الحرب (ضدّ الأهواء). فالنَّقاوة الأولى (الطبيعيّة)، السّهلة والبسيطة، تضطّرب. و أكثر الناس، أو بالأحرى العالَم بأسره، انحرَفَ عن (النقاوة الطبيعيّة) بسبب الإهمال. لذلكَ يَستحيلُ على الذين يعيشونَ في العالم و يُخالِطونَ أهلَه أن يُنقُّوا أذهانَهم. قليلونَ جِداً يستطيعون استعادة طهارة الذّهن الأولى. وهذا يَفرِضُ على كلّ إنسانٍ أن يَحفَظَ حواسّهُ و ذِهنهُ جيداً من الهجمات. إنَّهُ بِحاجةٍ ماسَّةٍ إلى الانتباه واليقظة وحفظ الحواسّ 364.
2. **في الطّريق المُتدرِّج:** طريقُ الربّ هي خَوفٌ فَمحبَّةٌ ثمَّ معرفةٌ روحيةٌ، و عَملُ فضائل. 365.
3. **في الطَّلَب في أثناء الصّلاة:** لا تَكُن جاهِلاً في طِلبَتِكَ 366 لِئلاَّ تُصبحَ صَلاتُكَ تَجديفاً، بل كُن حكيماً فتؤَهل لِلأمجاد. أُطلُب الأمور الكريمة من الذي لا يَرفُض (الله)، فتنالَ مِنهُ الكرامةَ بسببِ حِكمَتِكَ في الطَّلَب 367.

360 يَذكُر القدّيس إسحق هنا أربع فضائل تؤهِّل المُتوحِّد للدّالة الإلهيّة: العفّة و التّواضُع ونَزع الغضب، و عدم الدّالة، أي عدم الاختلاط الزائد بالنّاس وعدم رفع الكِلفة معهم وعدَم التماس أفضالهم و خدَماتهم.....

361 التأمُّل الدَّائم بالموت يُقرِّب الراهب من الله ويجعلُه يزدَري أباطيل العالَم، و تمقُتُ عُيونُه لذَّاته. أنظر المقالة 33، الفقرة 16.

362 المقصود هنا لقاءات الرَّاهب الدّنيويّة والاختلاط غير الضَّروريّ بالناس، الذي يُرافقه ثرثرة وأحاديث باطلة تُناقض حياة الراهب التوحُّدية.

363 مَن يحفظ حواسه يُجنّب نفسه هَجمات للأهواء و ما يُرافقُها من تشوّش للذّهن فلا يُضطرّ لخوض الحرب ضدّها ، و يكون في سلام . لأنّ تشوّش الذّهن وهجمات الأهواء تُفقد الراهب سَلامَه.

364 يرى القدّيس إسحق أنّ الإنسان يُولَد في حال من طهارة الذهن و" نقاوة طبيعيّة للحواس". لكنّ هذه النَّقاوة السّهلة والبسيطة تضطّرب وتَنحرف بسبب الإهمال. بعدها يَصعُب استعادة طهارة الذّهن الأولى مادام الإنسان عائشاً في العالم.

365 في بداية العلاقة بالربّ هناك الخوف، ثمّ تتدرَّج تلك العلاقة من الخوف إلى المحبَّة، وبعد المحبّة تتوطَّد معرفتُنا بالله، و المرحلة الأخيرة هي عمَل الفضائل وممارسة الرحمة... وقد قال المزمور " رأسُ الحكمة مخافةُ الربّ" (مزمور 110 : 10؛ أمثال 1 : 7؛ 9 : 10؛). لذلك، بدء الحياة الروحيّة مخافة الله، التي تحثّ الإنسان على التّوبة. وهذا ما حصل

سُلَيمانُ طَلبَ حِكمةً فَنالَ معها مُلكاً أرضيّاً لأنهُ طَلبَ مِنَ المَلك العظيم بحكمة، أليشَع طَلبَ نِعمةَ الرّوح التي عندَ مُعلِّمه فنالها مُضاعَفة. مَن يَطلب الأمور التّافِهة يَستَهينُ بكرامة الملك. قَدِّم طِلباتِكَ لله بما يَليق بمجدِهِ فَيعظمُ مقامُك عندَهُ و يُسّرُّ بك يَشخَصُ (يَنظُر) الملائكة إلَيكَ و أنتَ تُصَلِّي. و سيُدهَشون و يَفرحَون عندما تُهمِل جَسدَكَ وتَطلب السّماويّات. لا تَطلب من الله ما يَهتَمُّ هو بإعطائه من دون سؤال. إنهُ لا يَهتَم بأخصّائه المحبوبين و حسب، بل بالغُرباء عن مَعرفته أيضاً. الإبنُ لا يَطلبُ من أبيهِ خُبزاً، بل ما هو أعظم و أسمى في بيتِ أبيه. وإذا كانَ الله يهتمّ بالحيوانات و الطّيور، فكم بالأحرى يَهتمُّ بنا. " أطلبوا أولاً ملكوتَ الله و برَّهُ وهذه كُلّها تُزادُ لكم" 368.

4. **هل الله ظالم لأنه لا يَستجيب الصَّلاة؟** إذا طلبتَ من الله شيئاً و تأخّرَ في استجابتك، فلا تَحزن، لأنَّك لستَ أحكَم منه. إنَّ تأخُّرَهُ يَدلُّ على عدم استحقاقِك الحُظوة على ما تَطلُب، أو على عَدَم استقامة قَلبكَ في الطِّلبة، أو على عدم بُلوغِك مُستوى قبول المَوهِبة التي تَطلُب.

يجب أن يكون طَلبُك مُطابقاً لسلوكك. يَستَحيل على الإنسان المُتعَلّق بالأرضيات أن يَطلبَ السماويات، وعلى المُهتَمّ بالدنيويّات أن يطلب الإلهيّات، لأنّ رغبة كلّ إنسان تُعرَف من الأعمال التي يَبذلُ اهتمامَهُ في سبيلها و يُجاهِدُ من أجلها بالصّلاة. مَن طلَب العَظيمات لا يَهتَمّ بالصَّغيرات.

5. **في التعفّف والسلام الداخليّ:** تَحمّل العطَش 369 من أجل المسيح، يرويك ويُسكِرِكَ بمحبَّته. أغلِق عَينيك عن مَسرَّات الحياة، يؤهّلكَ الله لامتلاك سلامه في قلبك. تَعفَّف عمّا تَراهُ عَيناك، تَستَحقّ الفرح الروحيّ 370.

لبطرس. ففي بداية لقائه بالربّ عند بُحيرة جنيسارت، وبعد مُعجزة السمك، خرّ ساجداً وتائباً، وهاتفاً: " تباعَد عني ياربّ، فإنّي رجُلٌ خاطئ... وكذلك فعل يعقوب ويوحنّا" (لوقا 5 : 8 –10). لكنّهم بعد المخافة، انتقلوا إلى محبّة لله

، و إلى المعرفة الروحيّة، وعمَل الفضائل. ويقول القدّيس إسحق إنّ هذا هو "الطريق المُتدرِّج" لكلّ مُجاهد.

366 لا تطلُب أموراً وَضيعة وسخيفة وتافهة، أو ترفع للربّ طلبات تُخالف الوصايا، كأن تطلب الأذيَّة أو ردّ الإساءة أو الانتقام.

6. **في التجارب والضيقات:** كُن مُتواضِعاً في أعمالك فَتَنجو من الفِخاخ المَوجودة خارِج طريق المُتواضعين .371 لا تَرفُض الضّيقات لأنَّكَ بها تَدخُلُ إلى مَعرفِة الحَقّ، ولا تَخَف من التّجارِب لأنَّكَ تَجدُ فيها الكنوز الثَّمينة 372. صَلِّ كَي لا تَدخُلَ في التّجارِب النّفسيّة، 372 أما التّجارِب الجسديّة [التي لا مَفّر منها لكلّ حيّ، وهي المِحَن التي تُسبِّب الألم للجسَد] ، فاستَعِدَّ لها بِكُلِّ قوَّتِكَ [بصلاة طويلة حارّة] ، فبِدونِها لا يستطيعُ أحدٌ أن يَبلُغَ إلى الله، لأنَّ في داخِلِها التَّعزية الإلهيّة 374، مَن يَهرُب منَ التّجارِب يَهرُب من الفضيلة. أعني بها تجارِب الضّيقات وليس تجارِب الشَّهوات. 375

367 علينا أن نَطلُب في صلاتنا ملكوت الله أولاً، وكلّ ما يؤول إليه: " أطلبوا أولاً ملكوت الله و برّه، وهذا كلّه يُزاد لكم" (متى 6: 33). هذه هي طلبة الحُكماء. نكون حُكماء بقَدر ما تكون طلبتُنا سامية؛ وبقَدر ما تكون طلبتُنا وضيعةً، بقَدر ما يدلّ ذلك على جَهلنا وعدَم حكمتنا. وقد تكون بعض الطلبات تجديفاً، كطلبة الجاهل الذي يطلُب دَمار أعدائه.

368 متى 6: 26 و 33.

369 المقصود بالعطش الترفع عن مسرات الحياة وحفظ الحواس لا سيما النظر

370 لكل فعلٍ مكافاته الموافقة له.

371في طريق المتكبّرين فِخاخٌ كثيرة لأنّ الكبرياء رأس الخطأ وسبب شهوات و أهواء كثيرة، يَنجو منها المُتواضِع. المُتواضع ينجو من فخاخ المُتكبّرين، ومن هذه الفخاخ البُغض والانتقام ورَدّ الإساءة والحسَد والنفعيّة والأنانيّة وحبّ الذّات وذمّ الآخرين وأذيّتهم وتَشويه سمعتهم، والعَداوات والعِناد والتمسّك بالمَناصب واتّباع المشيئة الذاتيّة، وليس مشيئة الله أو الرئيس، وسائر الأهواء و الشّهوات وعدم الاعتراف بالخطأ، وعدم إمكانيّة التّوبة، و التّشوّش، و الغضب، والأفكار المُنحرِفة، والكُفر والهَرطقة والتّجديف (السلّم إلى الله، المقالة 23). " فالله يُقاوم المتكبّرين" (يعقوب 4 : 6)، " والكبرياء مَكروهةٌ عند الله و النّاس"؛ "والكبرياء أوّل الخطأ ، ومَن وَفَرت فيه فَاضَ أرجاساً" (سيراخ 10 : 7 و 13).

" ومُتشامخُ القلب نَجِسٌ عند الربّ" (أمثال 16 : 5)؛ " و التكبُّر النَّجِس هو مُبتدأ أهوائنا و مُنتهاها" (السلَّم إلى الله، 22 : 1)؛ لهذا قيل أيضاً إنّ الكبرياء هو مَرضُ الشّيطان، " والرَّاهب المُتكبّر لا يحتاج إلى شيطان لإسقاطه لأنه صار شيطاناً وعدواً لذاته." (السلّم إلى الله ، 22 : 31). ولهذا، لا يَشفي المتكبِّرَ سوى الله نفسه؛ 26 (القسم الثاني): 180؛ 26 (القسم الثالث): 12.

372الضيقات النفسيَّة والجسديّة تُنشئ التواضُع، الذي يُعين المجاهد على مَعرفة الحقائق الإلهيّة واكتساب الفَضائل

= المقالة السّادسة والأربعون=

1. **في التّجارب والمواهب:** إذا صادَفتَ في طريق جِهادِكَ سَلاماً ثابتاً لا يَتبدَّل، فاحتَرِس، لأنَّكَ بعيدٌ عن السَّبيل السَّويّ الذي وَطِئتهُ أقدام القدِّيسين بعد أن أضنَكها التَّعب. 376 كُلما تَقدَمتَ في طريق الملكوت واقتربتَ من مدينة الله، ستُجابهكَ التّجارب، و تزدادُ قوَّتُها بمقدار ما يزدادُ نُموَّكَ وتقدُّمُكَ. وعندما تُحسّ أنّ التّجارب التي تَعتَرِضُكَ تَتنوَّع وتَقوى، فاعلم أنّ نَفسكَ قد حَصلت فِعلياً و بطريقة خَفيَّة على دَرجةٍ أسمى، و أُضيفَت إليها نِعمةٌ، لأنَّ الله يَسمح للنّفس بأن تتذوَّق التّجارب بمقدار ما يَمنحُها من النِّعمة؛ أقصد هنا التَّجارب (الشَّدائد) التي تُرافق الرُّهبان المُتوحدين العائشين في السكينة 377.
2. **في أنّ الله يُعطي المواهب الكبيرة من خلال التجارب الكبيرة:** إذا ضَعُفت النّفس ولم تَقدِر على تَحمُّل التَّجارِب (الشَّدائد) الكبيرة، وطَلَبَت من الله ألاَّ تَدخُل فيها، واستُجيبَ لها، فسوف (تَضعُف) مواهبُها وتَتناقَص بمقدار عجزِها عن مُجابهة التّجارب، لأن الله لا يُعطي مَوهِبةً كبيرةً إلا بتجربة كبيرة. وقد حدَّدَ رُتبةَ المواهب برُتبة الشّدائد الصَّعبة التي تسمح عناية الله بأن تحلّ بك، تَقدر أن تَعرِف مِقدار الشَّرف الذي نالتَهُ نَفسُكَ من جَلال عظمته، لأنَّهُ بمقدار الحُزن تكون التَّعزية. 378
3. **في تجارب أعداء الله، أي المتكبّرين:** المُتكبّر فقَدَ الحياة(مع الله وماتَ روحيّاً) وتَشامخَ على صلاح الله بذهنه، و إثِمَ إلى حُرِّيَتهِ (الحُريّة التي منحه الله إياها) 379. لذلك يَسمح الله أن تحلّ به (تجارب) تصعُب مُقاومتُها، وتَتجاوز حُدود

373بعض التَّجارب النفسيَّة التي يَتعرَّض لها الراهب هي الأزمات والوساوس (المبنيَّة على الأوهام) والحزن والضَّجَر والشكوك واليأس والشعور بانعدام معنى الحياة الرهبانيَّة. هذه لا تُعين الرَّاهب في التقدّم، وعليه أن يُصلِّي لكي يكون بمنَجاة منها.

374الله يُعين الرَّاهب في آلامه الجسديَّة، إذا هو ارتضى تلك الآلام وقدّمها إلى الله وطلب معونته في أثنائها. عندها يلمس لمس اليد معونة الله ورحمته وتَعزياته.

375 عندما يتقبَّل المُجاهد الضيقات بتواضع وصبر وتسليم لله، ينال الفضائل ومعرفة الحقّ والكنوز الثَّمينة، أي مُكاشفات الأسرار الإلهيّة.

طاقته (على التحرّر من قيودها)، وكلّها ناتجة عن تَجربة الكبرياء. يبدأ ظُهور هذه التّجارب عندما يُصبح الإنسان حكيماً في عَيني نفسه 380. و يزدادُ استرسالُهُ في تلك التّجارب (واستسلامُه لها) بمقدار ما يُصغي لأفكار الكبرياء و يَتقبلُها . فأنتَ تعرف دِقّة أفكار ذِهنِكَ من أنواع تجاربك 381.

4. **في الصبَّر**: الصّبر يُبعد المصائب. 382 والشّدائد التي لا تُقابلُها بالصّبر تَخلو من التَّعزية (الإلهيَّة)، 383 ولذلك عذابُها مُزدوج. 384 صِغَرِ النّفس (الجُبن وضعف النّفس والخوف من الشدائد وعدم الرَّغبة في مُقاومتها) يولّد العذاب، أما الصَّبر فيَلد التّعزية، وهو قوّة تتولّد من انشراح القلب (وارتياحه بالله). ويصعُب أن يجدَ الإنسانُ (التّعزية) في أثناء تجاربه (ضيقاته) بدون الموهِبة الإلهية (موهبة الصّبر) الناشئة من الصّلاة الدائمة و ذَرف الدُّموع. 385
5. **في صِغَرِ النّفس**: إذا أرادَ الله أن يزيد افتقاد الإنسان بالتّجارب 386 فإنهُ يَسمَح لهُ بالوُقوع في صِغَرِ النفس (وَهَن العزيمة والجُبن وانعدام الصَّبر في الشّدائد) الذي يُسلّطُ عليه الضّجَر (من الجهاد والحياة الرهبانيَّة) بشدَّة ويجعلهُ يتذوَّق طعم الغَرَق النفسيّ، أي جهنَّم 387 ثم يأتي روح الشَّطط (التَّشتّت) 388 الذي منه تَنبع الآف التّجارب: التّشوّش، الغضب، التّجديف، التأفّف ، الأفكار المُنحرِفةِ ، التنقّل من مكان إلى آخر ، 389 وغيرها. وسبب هذه كلّها (عَدم اليقظة)

376لأنّ الجهاد الدّائم يفترض بالضّرورة مشقّةً دائمة. والسلام قد يكون علامةَ تراخٍ. فالسّلام قد يَعنى عدم الشّعور بهجمات الأهواء، وهجمات الشّياطين. وهذا الأمر يعني أنّ الرّاهب لا يخوض الحربّ الروحيّة، التي بها يُحارب أهواءه وتجاربه، فتُحاربه الشَّياطين لأجل ذلك.

377 بناء على ما قُلنا في الحاشية السّابقة، فإنّ اشتداد التّجارب على الرّاهب يعني استماتته في مُحاربة أهوائه، وفي الوقت عينه، ارتقاءه في الحياة الروحيَّة.

378يقول القديس إسحق إنّ اقتناء المواهب هو أهمّ بلا قياس من الرّاحة من التّجارب. فعلى قَدر التّجارب يُكرِمُ (يُشرِّفُ) اللهُ الرّاهب بالمواهب والأسرار الألهيّة.

379 الحريَّة الحقيقيَّة هي حريّة الذهن من تَسلّط الأهواء والخطايا، ولذلك فغاية الحريّة بُلوغ الملكوت. لكنّ المتكبِّر يَتعالى على أخيه الإنسان، وعلى الله، ويفقد حسّ الحياة مع الله، و الشَّركة معه، وبهذا يأثم إلى الحريَّة التي مَنحه الله إياها، ويعرّض نفسه لتجارب مُضنية، ويُغلق على نفسه باب الملكوت.

380 أمثال 3 : 7 ، 26 : 12

و إهمال تلك التَّجارب وعدم الاهتمام بالبحث عن شفاء منها. وعلاجُها جميعُها اتّضاع القلب، الذي به تَجد النّفسُ تعزيةً سريعةً. 390 ومن دون اتّضاع القلب، يَستحيل هَدم سياج 391 هذه الشرور 392

6. **في التَّواضُع والصَّبر:** إنّكَ لم تبحث بعد عن التّواضُع بكل قوَّتكَ . فإذا شِئتَ ذلك أُدخل أرضَهُ (إقتَنِ التَّواضُع) 393 لِترى كيفَ يُعطيكَ الحلّ (التحرُّر) 394 من كلّ شرورِك. فبمقدار ما تَتَّضِع يُعطي لكَ الصّبر على المصائب، وبمقدار ما تَصبر يخفُّ عنكَ ثِقل الشَّدائد وتَحظى بالتّعزية. وبمقدار ما تَتعزّى تَعظمُ محبَّتُكَ لله، وبمقدار ما تُحبّ الله يَعظُم فرحُكَ بالرّوح القُدس. إذا شاءَ الله أن يُريح أبناءُه الحقيقيين لا يَرفعُ عنهم التّجارب، بل يُعطيهم قوّةً ليصبروا عليها. وعندما يَنالونَ

381التَّجارب التي يَتعرّض لها الراهب هي في الغالب بسبب عدم ضبطه لأفكاره. لذلك فنوع التَّجربة التي تُحاربه تدلّه على أنواع الأفكار التي تُهاجمُه. كما أنّ مِقدار عظَمة التَّجربة أو ضعفها يدلّه على مدى قُدرته على ضَبط أفكاره، ومدى دقّة تمييزه للأفكار التي تُراودُه.

382الصَّبر يعني الصَّبر على التّجارب بدلاً من الاستسلام لها. أما الاستسلام فيعني المصيبة. لهذا، الصبر يُبعد المصائب، والربّ يعضُد الصابرين و يُكافئُهم على صبرهم وتسليمهم له ورجائهم به. وأيضاً، الصَّبر يعني عدم الانفعال وعدم التسرّع، وعدم التذمّر والاعتراض على تدابير الله، بل التَّفكير والترويّ والصّلاة، بدلاً من التهوّر الذي يولِّد المصائب.

383لأنّ عدم الصبر يعني عدم التسليم لله، وعدم الرجاء بتعزياته وخلاصه، ولذلك فمن لا يَصبر لا يَنال تَعزيةً من الله.

384. العذاب المُزدوج ناجم من انعدام التَّعزية الإلهيّة، ومن صِغَر النفس، وكلاهُما ناجمٌ من عَدم الصَّبر.

385 الله يُعين الصابرين ويُطوِّبُهم (يعقوب 5 : 7 –11) ويُعزّيهم لأنهم عزموا على الثبات في الجهاد وعدم الاستسلام للتجربة. ويقتني الإنسان الصَّبر بالصّلاة الحارة والابتهال المقرون بالدُّموع؛ ومن الواضح هنا أنّ نَقيض الصبر هو ضِغَر النفس.

386يتَّضح من آخر هذه الفقرة أنّ الله يفتقد المُجاهد بهذه التجارب القاسية بسبب كبريائه، لأنّ علاج هذه التّجارب هو التّواضُع، أي أن يُدرك المُجاهد أنّ التَّجارب المُرسَلة إليه هي لتأديبه، و أنّه لا مَخرَج له منها، ولا علاج لها، سوى باتّضاع القلب والتماس المَعونة الإلهيَّة. وبهذا يتقدَّم المُجاهد روحياً.

387 جهنّم: أي اليأس الكُلّي وانعدام الرَّجاء. في الكوميديا الإلهيّة لدانتي أنّ على باب جهنّم كتابةٌ تقول:" يا أيُها الدّاخِلون إلى هَهُنا، اقطعوا كلَّ رجاء"؛ يقول القدّيس يوحنّا السلَّمي :" مَن يَنوح على خطاياه لا يَعرف الضَّجر. الضَّجر هذه الخيرات كلّها بواسطة الصَّبر تَبلُغُ نُفُوسهم إلى الكَمال. 395

= المقالة التَّاسعة والأربعون=

1. **في التّواضُع:** إذا ظلّلتكَ النِّعمة وأحاطَ بك الملائكة القدّيسون وهَربَ منكَ المُجرِّبون، فلا تَترفَّع، ظانّاً أنكَ قد بلغتَ الميناء الأمين والجوّ الهادئ الذي يَخلو من العواصف، وأنَّك انتهَيتَ من اجتياز هذا الخِضَمّ (بحر الجهاد) الذي تَعصفُ فيه رياح التّجارب الشَّديدة، و أنّه لم يَعُد هناك عدوّ أو شيء شرّير، لأن الذين فكّروا بهذه الطّريقة عادوا فسقطوا في مَخاطر كبيرة.

أحد أثقل الرَّذائل، ومَوتٌ كامل لكلّ فضائل الرّاهب. الضَّجر والفُتور يُبدِّدان كنزنا كلّه. وقِتالُ الضَّجر بالصلاة الحارة و ذِكر الدّينونة يُكِسب الرّاهب أكاليل كثيرة. " 13 : 9– 12 و 14 ؛ 26 (القسم الثالث):8

388 الشّطَط: الانحراف عن السبيل القويم في الجهاد الروحيّ والأفكار والسلوك، فيصير الراهب كمن يَخبط يَمنةً ويَسرةً، على غير هُدى.

389 سبق القول إنّه على الراهب المُتوحِّد المكوث في مكان واحد، ومُلازمة قلاّيته (غُرفته) والتفرّغ للصّلاة، والابتعاد عن كثرة التنقّل والاختلاط بالنّاس، لأنّ هذا الأمر يُسبِّب له التشتُّت وعدم حفظ الحواس، والتعرُّض لتجارب العالم.

390 عندما يتواضَع الراهب و يَصبر ويُسلم أمره لله، يهبّ الله لنجدته، فينال تعزية، ويكتشف أنّ التواضع هو سبيله إلى الخلاص من تجربة صِغر النَّفس وما يُرافقُها وما ينجُم منها.

391 يَستعمل القديس إسحق عبارة " سياج" ليدلّ على أنّ هذه التَّجربة شديدة القسوة، حتى إنها تُحيق بالراهب وتُحاصِره من كلّ جانب، فلا يستطيع الإفلات وأنّ التَّواضُع هو السبيل الوحيد لهدم هذا السياج.

392 بهذا يتبيَّن أنّ الله قد أدخَلَ الراهب في تَجربة "صِغَر النَّفس" ، و الضَّجَر، وما يلي ذلك الضيقات، بسبب كِبريائه، ولكي يَقودَه إلى اتّضاع القَلب والتّواضع والصَّبر.

393 أُدخُل أرضَه: الأرض في الكتاب المقدَّس هي " أرض الميعاد" ، أي أرض الحريّة، أو " أرض مصر" ، أي أرض العُبوديّة للخطيئة. والقدّيس إسحق باستعماله كلمة "أرض" يُشبّه التواضُع بأرض الميعاد والتحرُّر من الخطيئة، لأنّ التَّواضُع هو رأسُ جميع الفضائل.

394 التحرّر والشفاء والمَغفرة.

395 هنا سلسلة من الفضائل، هي ثمار التواضُع، و تتكلَّل جميعُها بالصَّبر، الذي يجعله القديس إسحق باب الكمال. فحياة الراهب تقوم على التَّجارب ، والصَّبر، والجهاد وبما أنه لا سبيل آخر لبُلوغِ الكمال، فالله لا يَرفع التَّجارب عن أخصّائه؛ والكمال هو مَسار وليس حالةً يبلغُها الراهب. أنظر الحاشية 208.

ولا يخطُرنَّ في ذهنك أنَ أسمى من الآخرين وأعظم منهم، وأنّ ما يَنطبق عليهم في أمور (قواعد) الجهاد لا يَنطَبق عليك، فتَعتَقد أنّهم أدنى منكَ في السّيرة، وليسوا ذوي معرفة كاملة كمعرفتكَ لافتقارهم إلى مثل هذه المواهب، لأنّ هذا سيؤدّي بكَ إلى القول: إنني قد استحققتُ ذلك بوصولي إلى كمال القداسة وإلى درجة روحيّة سامية وإلى الفرح الثّابت، [فيكون الكبرياء بداية سُقوطك].

396 2. **في أنّ ذِكر السَّقطات يَحثُّ على التَّواضُع**: بدلاً من أن تتكبَّر (لاعتقادك أنكَ بلغتَ سموّ الفضيلة)، يجدر بكَ أن (تتذكَّر سقطاتك) والأفكار الدَّنِسة التي كانت مَغروسةً في ذِهنكَ أثناء المِحنة (الروحيَّة) والاضطّراب (الذي تُسبِّبُه التَّجارب). أذكُر التّشوّشات الفكريّة التي كانت ثائرةً عليك مُنذ أمدٍ غير بعيد، عندما كانت الظُّلمة مُستحوذةً عليك، واذكُر كيف جَنحتَ بسُرعة نحو الأهواء وعايشتّها عندما كان ذهنكَ مُظلماً، وكيف أنك لم تتورَّع (ولم تتخشَّع) أمام (حضور الله) والرؤية الإلهيّة ولم توقّرها، ولم تُقدِّر المواهب والعطايا التي وُهِبت لكَ. جميع هذه (التشوّشات والأفكار المُظلمة) تَسمح بها العناية الإلهيّة التي تَهتمّ بكلّ واحد منّا كما يجب حتى يَتواضع. فإذا ترفَّعتَ بسبب هذه المواهب ستتخلّى عنكَ النِّعمة وتسقُط بكليَّتك في أمور (تَجارِب) تُحارب فكرك.

فاعلم أنّ صُمودكَ أمام التّجارب لا يعود إلى قوّتكَ (الروحيَّة) ولا إلى فضيلتكَ، بل إلى النّعمة التي حملتكَ على كتفيها 397 كي لا يشتَملكَ الرُّعب. تذكّر ذلك في وقت الفَرَح، وعندما يترفَّعُ فكرُكَ إبكِ واذرف الدَّمعَ، مُتذكراً سقطاتكَ التي حَصَلت في أثناء التخلّي، 398 لكي تُنقَذ وتَنال الاتضاع. واحذر أن تَيأس، بل استغفر الله على خطاياك بأفكار مُتواضعة.

397 **3. في قوَّة التَّواضُع:** للتواضُع قوّةٌ تُكسبُ (المُجاهد) من الله غُفراناً لخطايا كثيرة 399، حتى من دون أعمال (صالحة). والأعمال (الصّالحة) وحدها، بدون التّواضُع، مُضرَّة، 400 وتوقِعُنا في شرور كثيرة. فكما أنّ المِلح يُناسب جميع الأطعمة، هكذا التَّواضُع يُناسب كلّ فضيلة، و يستطيع سَحق خطايا كثيرة. ولكي تَقتني التّواضُع يَنبغي أن تَحزَن بفكرك بلا انقطاع (بسبب تَقصيرك وسقطاتك)، لكن بتمييز (بفطنة).

---

396 أوضح القدّيس إسحق في المقاطع السابقة أنّه لا راحة من الجهاد. فانحسار التَّجارب لفترة من الزَّمن لا يعني انقطاعُها، فلا يجب أن يترفَّع المُجاهد ويعتقد أنّه قد أصبح حرّاً ومُرتاحاً من هجماتها. وعلى الراهب أن يتذكَّر دائماً هذه الحقيقة، حتى إذا مرّ بمرحلة من الهدوء، لا يَعتقد أنّ جهاده قد انتهى. والهدوء قد يعني أن الشرّير يُعِدُّ فخّاً للراهب. فقد يكون انقطاع التجارب حيلةً من الشرِّير لكي يوقع الراهب في الكبرياء فيعتقد أنه أفضل من الآخرين، وقد استحقّ النَّجاح والانتصار على التجارب بقوّته الذاتية؛ ويقع في الإهمال والتَّراخي، و يَبتعد عن نِعمة الله وحِمايته، ثم يُهاجمه الشرّير على حين غرَّة، و يسهُل عليه الإيقاع به، فيُسقِطُه إلى حُفرةٍ أعمقَ من سابقتها. لذا لا بُدّ للراهب من الاعتصام باليَقظة في جميع الأوقات.

في بعض فوائد التَّواضُع: التّواضُع يجعلُنا أبناء الله، ماثلينَ أمامهُ، 401 و إن لم نُقدِّم لهُ أعمالاً صالحة. فأعمالُنا وفضائلُنا كلّها من دون التواضُع تكون باطلة. الله يَبغي تَحوُّل ذِهننا (بارتقائه نحو التَّواضُع)، لأنَّنا بالفكر نَرتَقي إلى الأفضل، وبالفكر نَنحدر إلى الأسوأ. فالتّواضُع وحدهُ قادر على أن يَقف أمام الله ويَشفع فينا 402. أُشكُر الله و اعترف له (بخطيئة كبريائك وتعاليكَ) بلا فُتور، لأنّ طبيعتَك ضعيفة وتَميل إلى السُّقوط بسُهولة.

أُذكر إلى أين (يُمكنُك أن) تَرتَقي، أحياناً، بمؤازرة النّعمة، وتؤهَّل لمواهب عظيمة بحال تَفُوق الطّبيعة البشريّة؛ واذكُر شَقاء طبيعتك وسُرعة تَحوُّلها عندا تَنحدر إلى أسفل، ويُصبح فكرُكَ بَهيميّاً (جسدياً) بسبب تخلّي النِّعمة عنك (عدم مُعاضدتها لك، لكي تتواضَع). 403

قال أحد الشيوخ القدّيسين: عندما يُراودُكَ فكرُ التكبُّر (الشّيطانّي) ويقول لكَ: " تذكَّر فضائلكَ" ، قُل لهُ: " أُنظُر فِسقَكَ (سقطاتك) يا شيخ" ، (يا مَن قضيتَ عُمرك وأنت تُجاهد، فاحذَر أن تَخسر أتعابك بسبب كبريائك). والفسق هو ما يُحارب الفكر (بتجربة الشَّهوة والدَّنس) في أثناء التخلّي، والذي تُدبِّرُهُ (وتَسمح به) النّعمة الإلهيّة، بحرَب (من الشرّير) ، أو بمعونةٍ (إلهيّة) لَمنفعتنا.

---

397 النِّعمة حملتكَ على كتِفيها في ضلالك كما حمَل الرَّاعي الصالح الخروف الضالّ.

398أي عندما لا يُسعِفك الله في أثناء تجاربك، لكي يؤدِّبك ويجعُلكَ تَتواضع.

399يجعل القديس إسحق التواضُع باباً للتوبة وشَرطاً لها، و سبيلاً لمغفرة الخطايا.

400 الأعمال الصالحة من دون تواضُع تُوقِعُ الانسانَ في الكبرياء وحُبّ الظّهور، وقد تُجرِّبُه بالاستعاضة بها عن الجهاد الروحيّ، الذي هو أساس عَمل الرّاهب، وتُلهيه عن اليقظة الروحيّة، وتَجرّه إلى الاختلاط غير الضَّروريّ مع الناس، والانغماس في شؤون العالم. لذلك العَمَل الأوَّل للراهب هو التَّواضُع، وهو أساس سائر الفضائل

401المُتواضع مَقبولُ الحُضور أمام الله، بينما يَستحيل على المُتكبِّر أن يَمثُل أمامه، و قد قال الكتاب: " ذبيحةُ الله روحٌ مُنكسِر" (مزمور 50 : 19). " اللهُ يُنعِمُ على المُتواضعين ويُقاومُ المُتكبِّرين" (يعقوب 4 : 6).

402بتواضُع الفِكر ارتقى العشّار إلى الأفضل و مَثَلَ لدى الله، فشَفَعَ به تَواضُعه ونالَ توبةً ومَغفرة؛ وبالكبرياء انحدرَ الفريسيّ إلى أسفل. (لوقا 18 : 9 –13)

= المقالة الثَّانية والخَمسون=

1. **في الجهاد والتَّجارب:** دَوِّن في صَفحة قلبكَ أنّ محبّة اللذّة والرّاحة هُما سبب التَّخلّي الإلهي (وابتعاد النِّعمة عن مؤازرتك). فإذا صَبَر الإنسان بشدّة وظلَّ مُتعفّفاً عنهما (اللذّة والراحة) لا تتركهُ مؤازرة الله ولا يُسمَح للعدو بالهجوم عليه. أما إذاً امتُحِنَ مَرّة بهما بقصد تأديبه، فإنّ القوّة المُقدَّسة تُرافقهُ وتَبقى مُحيطةً به وتُشجّعهُ على عَدم الخوف (من هجمات الشرّير). هكذا تَحملُ نعمةُ الله الناسَ وتُعلّمُهم، خاصَّةً الذين سلَّموا ذواتهم بنقاوة وبساطة إلى أيدي جابلهم، وزهدوا بالعالم بكلّ قلوبهم، وسَاروا وراءه. 404
2. **أذكُر بداية جهادك:** عندما تَخرُج (لتسير) وراء الله، تذكّر دائماً بداية جهادك وغَيرتك في أوّل الطّريق، والأفكار الحارّة التي كانت تُراودُك عندما خرجتَ من البيت ودخلتَ مَعمَعة الحرب. إختبر نفسكَ كلّ يوم حتى لا تَبرُد حرارتُها الأسلحة التي كنتَ متوشِّحاً بها (أي اليَقظة والغَيرة وحَرارة القَلب). 405

إرفع صوتكَ دائماً في قلب المعركة وشجِّع أولاد اليمين (الأفكار الحَسَنة) وتَشدَّد وأظهِر للجِهة المُعانِدة (الأهواء و الشّياطين) أنكَ مُتيقّظ. وإذا رأيتَ في البداية هُجوماً مُخيفاً من المجرِّب، لا تتهاوَن، فلعلَّ هذا الهُجوم يوافقُك، لأنّ مُخلّصَك لا يَسمح بسهولة أن يقترِب منكَ شيء ليس لمنفعتِك.

لا تَتكاسل في البداية لِئلا تَسقُطَ في الخطوط الأماميَّة (في ميدان معركة الجهاد، في بداية جهادك) فتعجز عن مُقاومة الأحزان الناتجة عن الجوع والمرض والخيالات المُرعبة وغيرها. 406 ولا تَتخَلَّ عن مكان جهادك لأنه يُساعدُك على خَصمك، لئلا يَجدَكَ هذا الخَصم كما كان يَتمنّى. 407

403التّواضُع غالباً هو عمَل إراديّ، وعندما يَختارُه الإنسان يَرتقي بالنِّعمة إلى مَراتب سامية من الفضائل. أما المُتكبِّر فيَنحدِر إلى الجسدانيَّة وتَتخلّى عنه نِعمة الله.

404عندما يُهاجَم المُجاهد بحبّ اللذَّة والرَّاحة، عليه أن يَتيقَّظ ويُدرك العَاقِبة، و أن يُسلم أمره لله و يَزهد بالعالم و يُقاوم ويصبر على التَّجربة، فتأتيه المَعونة الإلهيَّة.

405سبق للقديس إسحق القول إنّ على الراهب أن يتذكَّر سقطاته لكي يَتواضع؛ وهنا يقول إنّ عليه أن يتذكَّر حرارته السابقة لكي يَستحثّ نفسه على المُثابرة في الجهاد.

406مَن يَشرع في الجهاد، عليه أن يَثبُتَ على البرّ و التَّقوى ، و يتهيَّأ للتَّجربة (سيراخ 2 : 1). لذلك عليه أنّ يَنطلق بنشاط ومن دون تهاوُن، وإلاَّ يصير عرضةً لشتّى التجارب، ويَقع في شتّى الفخاخ، كالخوف والحُزن والضَّجَر...

= المقالة الرّابعة والخَمسون=

1. **في مُحاربة العدوّ**: إنَّ انتصار النّاسك (الراهب المُجاهد) وفشلهُ، كنُزه وسندهُ، وكلّ ما يملكُه، موجودٌ في فكرِه، وإنَّ تحوّلَهُ يَصير بإشارة (بحركة) صغيرة. فلكي يتحرّك الفكر من مكانه ويهبط من ذلك العلوّ لا يحتاج إلا إلى إيماءة خاطفة (حركة أو تجربة صغيرة تحدث في الفكر). إنّ القوّة المؤازِرة لنا (التي تعضُدُنا) لا تُقهَر، و الربّ الكليّ القُدرة أقوى من الجميع، وهو الغالب في كلّ وقت، عندما يَخوض الحرب معنا (ويُعينُنا) في (الحروب الناشئة عن) جسدنا المائت.

أما عندما نُغلَب فإنّ هزيمتَنا تَحصل من دون إلهنا. لأنّ الذين يُعَرُّونَ أنفُسَهم منه باختيارهم بسبب جُحودهم (يبتعدون عنه ويُنكرون قوّتَه في مُعاضَدتهم)، سيُدركون فُقدانهم القوّة (الإلهيّة) التي تعضُد المُنتَصرين؛ (وَ يفقدون) قوَّتهم الذاتيّة التي كانت تُساندُهم في أثناء الحُروب العنيفة. (بعدها) يحلو السُّقوط في أعيُنهم (ويَستمتعون بالاستسلام للأهواء)، ويصعُب عليهم الصّمود في مَشاقّ الجهاد ضدّ العدوّ (إبليس). لقد كان بإمكانهم الانتصار في الجهاد بشجاعة و غَيره حين كانت طبيعتُهم تَتحلّى بالاندفاع الحار، أما الآن فقد فَقدوا القوَّتَين (معونة الله، وقُوَّتَهم الذاتيّة).

2. **في وُجوب المُباشرة بالجهاد بنَشاط**: إنّ الذين يبدأون جهادهم بالكسل والتّراخي يخافون من الجهادات ويضطّربون حتى لدى سماعهم حفيف أوراق الشجر، أو (يَتشوَّشون) من ضِيقٍ يُسبِّبُه جوعٌ قليل، ويُغلَبون بأبسط مرَض، فيتَخلّون عن الجهاد ويَتقَهقَرون. 409.

أما المُجاهدون الحقيقيّون فلا يَستسلمون للهزيمة ولا يَتخلّون عن عَزمهم الثَّابت لأنهم يَتشوَّقون ويَرغبون بكلّ قُلوبهم أن يَضغطوا (يُضيّقوا على) أنفُسهم (ويُجهدوا أنفُسَهم) حُبّاً بالله، ويُفضّلون التَّعب من أجلِ الفضيلة على اقتناء الرّاحة

الوقتيّة. و المشقّات التي يكبدونها لا تجعلُهم يَشكّون في محبّة المسيح، بل يَقبَلون التّجارب برَغبة وشَجاعة حتى آخر نسَمة من حياتهم.

407من المهمّ أن يثبُت المُجاهد في مكان واحد. مكان الجهاد هو حِصنٌ للراهب، سواء أكان عائشاً مع جماعة، أم في مكان مُحاط بمُجاهدين آخَرين. أما إذا تخلّى عن مكان جهاده، أو خرج منه لفترة من الزَّمن، فقد تَسهُل على الشَّيطان ابتهل إلى الله باستمرار وابكِ أمام نِعمته وَنُح وكُدَّ (اجتهد حتى التَّعب) حتى يُرسل لكَ (الله) المعونة. فإذا شاهدّتَ مُخلّصكَ بقُربك، فالعدوّ الذي يُحاربُكَ لن يَغلبَكَ أبداً.408مُهاجمتُه؛ خارج حصنِه، يصير الرّاهب عُرضةً لتجارب العالَم والاختلاط غير الضَّروريّ بالنَّاس، وللتشتُّت والتلهّي والتَّهاوُن في الصَّلة، وتَراخي الحواس، فتسُهل مُهاجمتُه.

408 على المجاهد أن يَطلُب مَعونة الله بحرارة وباستمرار، ببُكاء ونَحيب، حتى التَّعَب، فتأتيه المَعونة ويَشعُر بها.

= المقالة الخامسة و الخمسون=

1. **الخطيئة عدوّ:** مَن يَكره الخطايا يُقلِع عنها. لا يُمكن لأحد أن يَطرح الخطيئة عنهُ قبلَ اعتبارها عدوّاً، أو أن يَحظى بالمغفرة قبل الاعتراف بالآثام. عَداوة الخطيئة دَليل التّواضُع الحقيقيّ، 410 أما الإعتراف بها فدليلٌ على النّدامة المُتولّدة في القلب. إذا لم نُبغِض الأعمال التي تَستوجب التّوبيخ، بل استمريّنا في الاحتفاظ بها في نفوسنا، فلن نستطيع الإحساس بتأثير قَذارتِها (ولن نَنال المَغفرة عليها)411.

2. **في مُراقبة الذّات والابتعاد عن العالَم**: طوبى لمن ابتعدَ عن العالم و ادلهمامِه وراقَبَ نفسَه وحدَها، لأنّ البَصيرةَ و التَّمييز لا يَعملان جيّداً في الإنسان المُهتَمّ بالأمور الباطلة. ومَن تعكّرت بَصيرتُه لا يُميِّز كما يَجِب. 412 طوبى لمن تَخلّى عن تَرنّح الخمر (سُكر الخطيئة) و إدمان النَّهَم (نَهَم الشَّهوة) بعد أن شاهدَ عاقِبَـها في الآخرين وعرفَ خِزيَها 413.

ما دام الإنسان ثَملاً و مُترّنّحاً بخطاياه، ستبدو أعمالُه جميلةً و مُحتَشمةً في عَينيه 414. والطبيعة عندما تَتفلّت من نِظامها لا تُفرِّق بين (تأثير) سُكر الخمر و سُكر الشَّهوات415. فَكلا الأمَرين واحدٌ بالنسبة إليها، لأنهما يَخرُجان عن اللياقة [و يُفقدان الإنسان وَعيه و يَقظته] ويُولّدان في الجسد لَهيباً واحداً هو لهيب الشّهوة [التي تَطلُبُ التَّكرار والمَزيد بنَهَم، و بدرَجَة أكبر في كلَّ مرّة].

409الاندفاع يولّد في الجهاد العزيمة والشجاعة، أما التراخي فيولّد الخوف والضِّيق والاضطراب والهزيمة.

410المُتكبِّر لا يَعترف بخطيئته، ولا يَعتبر مُمارستَها أمراً شائناً. أما المُتواضع فيعتَبر الخطيئة عَدواً، فيُحاربُها بكلّ قوّته ويَندم ويَتوب عنها، ولتواضُعه، يَستطيع الاعتراف بها، فينَالُ نِعمَةً؛ أنظر المقالة 13، الفقرة 3؛ المقالة 30، الفقرة2.

411نَدامة القلب لأجل الخطيئة تَدفع الخاطئ إلى الاعتراف بخطيئته والتَّوبة عنها؛ أما إنكار الخطيئة والاستمرار في مُمارستها، فيُفقِدان الخاطئ الإحساس بها و بقذارتها فيزداد انغماسُه فيها، و يُلقى في التَّهلكة.

412يقول القدِّيس إسحق إنّ الاهتمام بالأباطيل يُعمي الوعي، و إنّ التوحّد والابتعاد عن العالم و ظُلمته شرطٌ لمراقبة الذات و التَّمييز، أي مُراقبة الإنسان لِذاته و حركات أفكاره، فيَستطيعُ تَمييزها.

413هنا وصفٌ بليغ للإدمانَ الذي تُسبِّبُه الشهوة، يقول: تُسبِّبُ الشهوة سُكراً و تَرنُّحاً يُشبهُ سُكرُ وتَرنُّحَ الخمر، وإدماناً، فيتولَّد في الجسد نَهَمٌ واحدٌ ولهيبٌ واحد (يَطغى على ما سِواه) هو نَهم الشّهوة ولهيبُها (2 بطرس 2 : 14). و تَتعكّر البصيرة ويَتعطَّل حِسُّ التَّمييز، ويَفقدُ المرء وَعيهُ ويَقظته (أي يَعجزُ عنن مُراقبة ذاته)، فلا يَرى خَطيئتَه. وتَتفلَّت الطبيعة البشريّة ويتعطَّل نظامُها وتَحيدُ عن إطارها، ويخرج الإنسان عن اللِّياقة تجاه الآخرين، فيُصيبُه الخزي. و سبب كلّ ذلك

3. **في التّعب والرّاحة والتّجارب والتّوبة:** الرّاحة تَعقبُها المَشقَّة، وكلُّ مَشقّة من أجل الله تَعقبُها الرّاحة 416. فَمُحبّو اللذّة (سرعان ما) يَشعُرون بالعذاب جزاءً لأعمالهم. لأنّ اللذَّة يَعقبُها اشمئزازٌ ثمّ تَمرّمُر. أما الذين تَحمّلوا شقاء (الجهاد) فيَشعُرون بالرّاحة الوقتيّة (الحقيقيَّة) كعُربون للرّاحة الأبديَّة.

احترس من (أحاسيس) التّعزية (والارتياح) التي تَسبق الحرب (فهذا إيذانٌ بأنّ العدوّ يُحضِّر لك فخّاً وحرباً، فلا تتراخَ). تَحفَّظ من (التماس) المَعرفة (الإلهيّة) قبل مُواجهة التّجارب (التي تَشنّها عليك الأهواء)، واحترس من الشّوق إلى الفضيلة قبلَ كمال التوبة417.

4. **في أنّ التّوبة هي أسمى الفضائل**: لأننا جميعاً خطأة، وليس أحدٌ مُنزَّهاً عن التّجارب، فالتّوبة هي أسمى الفضائل، وعملُها ليس له نهاية (لأنه يستحيل أن نكفّ عن الخطيئة ما دُمنا في هذه الحياة). التَّوبة تُوافِق جميع الذين يُريدون الخلاص، سواءً أكانوا خطأةً أم أبراراً (فحتّى الأبرار يجب أن يكونوا في توبةٍ دائمة). وكما أنّ الكمال لا نهاية له حتى القداسة، فهكذا التّوبة. إنها لا تنحَصر في الأزمنة والأعمال، إنما في الموت (لا نَنتهي من أعمال التوبة إلاّ عند المَمات).

5. **في وجوب الحذَر من الفرَح الخادِع**: احذر الأمور التي تظنُّها صحيحةً وسليمة418. احذر الفرح الذي لا يَعتريه تحوُّل 419 فالعليُّ يُدبّرُ كلّ شيء بطريقة لا يُمكنكَ أن تُدركَها ولا أن تعرف حُدود تغيُّرها و أسبابه. إنّ الذي أحسَنَ قيادة سفينة هذا العالم بحكمته جعلَ التَّغيير يُرافقُ كلّ أعماله. وكلُّ شيء لا يَسير بحسَب هذا النِّظام يكونُ وَهماً.

هو الانهماك في أمور العالم و أباطيله. ولا سبيل إلى التحرّر من إدمان الشهوة و عواقبها سوى الخروج من العالم و مَراقبة الذّات بحرص شديد. ومن هنا قولُه: " طوبى لمن ابتعدَ عن العالم و ادلهمامه وراقَبَ نفسَه وحدَها"، أي تخلّى عن مشاهدات العالم و أموره واهتمّ بإصلاح ذاته. وهذا هو مُنطلَق وغاية الحياة الرهبانيَّة. أنظر المقالة 11، الفقرة 4.

414" تملَّقَ نَفسَه حتى لا يجدُ إثمهُ ممقوتاً في عينيه" (مزمور 35 : 3). " فالنَّفسُ تُسرَق وتفقد فضيلتها عندما تأتي أعمالاً رديئةً كأنها غير رديئة، ونحن مسبيّون، ولا نشعُر بذلك" القديس يوحنا السلّمي ، السلم إلى الله، 26 : 11.

415" الويل والشقاء والمنازَعات والشكوى والجراحات من غير علّة للذين يُدمنون الخَمر" (أمثال 23 : 29 – 35). " بالخَمرِ الدّعارة" (20 : 1) " والفُجور" (أفسس 5 : 18).

416الراحة هنا هي راحة الانتصار على التجربة وليس الراحة من الجهاد.

417على المُجاهد أن يَتوب قبل المُباشرة بالعمل لاكتساب سائر الفضائل، لأنه لا فَضيلةَ من دون توبة.

6. **في أنّ الاعتدال في العمَل أساس الثّبات في الجهاد**: الرّاحة (التي يلتمُسها الرّاهب خارجاً عن طريق الجهاد) 420 يليها تَشوّشٌ و اضطّراب في الأفكار؛ والعمَل (الروحيّ) غير المُعتدل (فوق الطاقة) يليه ضَجَرٌ فتشوّش. التشوّش النّاجم عن الرّاحة (الخارجة عن طريق الجهاد) يعقبه حرب الفِسق (خطايا الجسد)، أما التشوّش (النّاجم عن العمَل فوق الطّاقة) فيعقِبُه تركُ النُّسك (الجهاد) والتنقُّل من مكان إلى آخر 421. العَمل المُعتدل والمُستمرّ في (مُمارسة) الجهاد لا يُثمَّن (فلا تُحمِّل نفسَكَ فوق طاقتها). الاعتدال يُنمّي اللذّة (الرّوحيّة)، أما الإفراط فيُغذّي التّشويش. (إعتَدِل في جهادك) واصبر على طبيعتكَ التي تَتغلّب عليك (تَضعُف لدى تحميلها فوق طاقتها)، لأنكَ (بالصّبر) مُعَدٌّ لبُلوغ الحكمة التي إكليلُها لا يَزول 422.

7. **في الخوف من اعتلال الجسد:** عندما يَحين أجلُكَ وتأتي الأيقونة السّماوية أي المسيح ملك السّلام، 423 فلا تَجزَع من التغيُّر الحاصل بسبب اضطراب جسدكَ ، لأنه، 0في ضعفه)، صارَ (بفداء المسيح) مُهيّأ للنّعيم الذي تَستحيل معرفتُه على الذين يُفكّرون بالجسديّات. 424 لأنّ المشقّة (الجسديّة) وقتيّة لمن يَتقبّلُها بفرح 425.

418يُميِّز القديس إسحق بين الظنّ، أو الرأي الناجم عن المعرفة الآنيَّة، وبين التَّمييز، الذي هو عمل روحيّ يَقوم به الراهب ويَلتمسه من الله في هَدي الروح القُدس، بصلاة طويلة حارّة. فليَعلم الراهب أنّ الظنّ ليس كافياً، وقد يُخطئ، و إنّ هناك دائماً ضرورة للتَّمييز، بحسب قول الكتاب: " اختبروا كلّ شيء وتمسَّكوا بالحسَن" (1 تسالونيكي 5 : 21).

419الفرح غير المُتحوِّل قد يكون مَصدرُهُ دُنيويّاً؛ فيحذَر المُجاهد لأنّ الحياة في تَغيُّر دائم، وقد يَعني الهدوء أنّ الشرّير يُعدّ لك فخّاً. أنظر المقالة 55، الفقرة 3.

420المقصود هنا الراحة الطوعيَّة، أي التَّراخي؛ وليس المقصود الراحة النَّاجمة من انتصار المجاهد على تجربةٍ ما.

421إنّ مُمارسة العمَل الروحيّ، وكيفيّة مُمارسته، تتطلّب تمييزاً ونوراً من الربّ؛ أما العمَل الزّائد عن حدّة فسببُه الكبرياء وعَدَم التَّمييز، و سرعان ما يُسبِّب للرَّاهب الإرهاق الشَّديد، فيُصاب بالضَّجَر والتشوُّش ويترك عمَل جهاده، و يرغب في الخروج من مكان جهاده والتنقُّل من دَير إلى آخَر.

422الحكمة هنا تَعني اقتناء المَعارف الإلهيَّة. والاعتدال في الجهاد يَعني الصَّبر والمُثابرة، والسَّير بثبات في الطريق لبلوغ الحكمة والتَّمييز واكتساب التواضُع وسائر الفضائل.

423أي عندما تَشعُر بدنوّ أجلك بسبب تغيُّرات تطرأ على صحّتك.

8. **في وُجوب طَرد الأهواء من بدايتها:** الأهواء (الشّهوات) تُشبهُ الكلاب التي اعتادت ارتياد دكان الجزّار؛ فهي تُطرَد بصرخةٍ واحدة، لكنّها إذا أُهمِلت، تهجُم كالأُسود الضَّخمة. [تسُهل مُقاومَة الأهواء وطَردها في بدايتها قبل أن تَستشري426] أُردُل الشهوة الصَّغيرة من بدايتها حتى لا تَتذكّر فيما بعد شِدَّة التِهابها. 427 الوقاية في الأمور الصّغيرة تُنقِذ من الخطر، و يَستحيلُ ضَبطُ التّجارب الكبيرة قبل التغلّب على التّجارب الصّغيرة، [لأنّ مَن يَتهاوَن في الصّغائر يَقَع في الكبائر]

9. **أُذكر المرتَبة التي أُهِّلتَ لها، واصبر، واثبُت في الجهاد:** تَذكّر المرتبة (السّماويّة) التي أُهِلتَ لها، والتي يَنسحق بها الفَساد، 428 فهي ليست كهذه الحياة، و استمرارُها ليس رَهناً بالطّعام والشّراب، و ليس في طبيعتها لهيبٌ ناجمٌ عن تفاعُلات العناصر الماديّة التي تُسبّب الشّقاء بعد اللذّة. 429 إصبر على تَعب الجهاد الذي خُضتَهُ لأجل الامتحان (الأخير)، لتنال من الله إكليلَكَ وتَستريَح بعد أن تَجتازَ (هذا) العالَم 430. تذكّر الرّاحة اللامُتناهية، والحياة الخالية من الخِداع (خداع القلب وخداع الأهواء وخداع الشرّير)، 431 وتذكّر المرتَبة الكاملة والتَّدبير (الإلهيّ) الثَّابت (والأكيد ، الذي لا يتغيَّر)، 432 وذلك الاختطاف (إلى السماء لدى المجيء الثَّاني للمسيح)433 الذي يُرغمُك على محبّة الله ويَتسلّط على طَبيعتك434.

424 مَن يفكِّر في الجسديّات يَستحيل أن يَتقوّى في ساعة الأجل. أما مَن يَعيشُ في النِّعمة، فيُدرك أنّ مَشقّة جسده هي وقتيَّة، و أنّ جسده، في ضعفه، صار مُعدّاً للنَّعيم الأبديّ.

425 إنّ جسد الإنسان المُشرِف على الموت، في ضعفه، مُهيَّأ ، بفداء المسيح، للنعيم الأبديّ؛ فعليه أن لا يجزع من ضعف جسده، بل أن يتقبّل ذلك الضعف بفَرح. هذه الحقيقة لا يُدركُها الذين يفكّرون بالجَسديّات، بل الذين اغتنوا بالروح.

426 أنظُر المقالة 5، الفقرة6، المقالة 26، الفقرة 3والمقالة 55، الفقرة 8.

427 الأهواء في بداية هجومها يَسهُل طردُها كما تُطرَد الكلاب بصرخة واحدة في بداية مجيئها إلى دكّان الجزّار. لكن إذا أُهمِلَت تلك الأهواء، تتملَّك في الانسان و تسيطر على عقله و خياله و ذكرياته، فتَهجم كالأسود الضَّخمة، و يَصعُب طردُها.

428 قال القديس إسحق سابقاً إنه يتعيّن على الراهب أن يذكُر حَرارتَه السابقة ليستحثّ نفسه على المُثابرة في الجهاد، وأن يَذكُرَ الموتَ دائماً وأن يّذكُرَ سقطاته لكي لا يَستكبر. وهنا يقول إنّ على الراهب ذِكر الملكوت الذي يَنتظره، لكي يَصبر ويتشجّع على احتمال الشدائد ويزداد قلبُه حَرارةً واضطراماً.

= المقالة السادسة و الخَمسون=

1. **في الخلوة وذكر الله**: على (المُجاهد) الذي أسلمَ ذاتهُ للزَّرع السّماوي (غَرس كلمة الله 435 والإلهامات الإلهيّة) أن يَبتعد عن كلّ اهتمام دنيويّ، حتى إذا أفرغَ ذاتهَ من (أُمور العالَم) يستطيعُ أن يَهُذّ بناموس الربّ (يَذكُره ويُردِّدُه) ليلاً ونهاراً. 436

الأرض الجيّدة تُفرِّح الزارع بِتُربَتها التي تُنتج مئة ضعف. 437 والنَّفس التي صَقَلَها ذكرُ الله والسَّهر الدائم يحفظُها الربّ بأن يَجعَلَ حولها سَحابةً تُظلّلُها وتُضيئُها بنور من نار يَنبَعِث من داخلها (من داخل السَّحابة). 438.

2. **في الاختلاط بالنّاس**: من (كثرة الاختلاط بالناس) وكثرة الكلام وعَدَم الانضباط في أثناء اللقاءات، يتولَّد الجَهل (الروحيّ) والتشوّش 439. الاهتمام بالدّنيويّات النّفس والذّهن ويَطرُد منه الهُدوء.440

429الحياة الأُخرى ليست مَنوطةً بطعام و شراب، وهي تَخلو من اضطرام الشَّهوة.

430يُخاطِب القدّيس إسحق الرّاهب الذي بلغَ مرتبةً روحيّةً سامية ثمّ أَصابه التَّراخي، و يُذكِّرُه بأنَّ حِفاظه على تلك المرتبة ليس رهناً بالأمور الماديّة من مأكل و مشرب و لذَّة، فهذه تُسبِّب الشَّقاء بعد اللَّذة. بل إنّ حفاظَه على مَرتبته يَتوقَّف على صَبره في الجهاد و التطلُّع إلى المُكافأة التي يَنالُها بعد المَمات؛ أنظر فيلبي 3 : 13 –16 .

431 تكوين 3 : 1 و 13 ؛ 2 كورنتس 11 : 3؛ إرميا 17 : 9

432 يعقوب 1 : 16 – 17

433 1 تسالونيكي 4 : 16 –18

434 الاختطاف: الخبرة الروحيّة السّامية التي تُراود المُجاهد في لحظات قليلة، أو: الاختطاف إلى السماء لدى المجيء الثاني للمسيح (1 تسالونيكي 4 : 16 – 18)؛ وكلا الخبرتَين تحثّان المُجاهد على محبَّة الله.

435 هنا إشارة واضحة إلى مثَل الزّارع (متى 13 : 3 –23)؛ أنظر أيضاً كولوسي 3 : 16 ؛ يعقوب 1 : 21؛

436 يُكمل القديس إسحق فكرة الزرع في إنجيل القديس متّى بفكرة نموّ الزرع في المزمور الأول، الذي يقول إنّ الرجُل البار الذي يَذكُر الربّ نهاراً وليلاً هو كالشجَر المَغروس على مَجاري المياه. (مزمور 1 : 1 –3).

437 الزارع هنا هو الربّ، وقد يكون أيضاً الراهب نفسه (عبرانيّين 6 : 7–8)، الذي أحسَنَ حَرثَ أرضه باقتناء الفضائل، فينال فرَحاً سماوياً. (متى 13 : 3 –23).

438 إشارة إلى عمود الغمام وعمود النّار الذي رافق الشَّعب وحَفِظَهُ في الصَّحراء (خروج 13 : 21 –22).

3. **في الشَّراهة :** من الشّراهة يتولّدُ اضطّراب الأفكار 441. كما تَحجُبُ السّحابةُ ضوءَ القمَر، هكذا تَحجُبُ تَبخّرات البطن (التّخمة) حكمة الله عن النَّفس. ومثلما تتأجّج النّار بالحطب اليابس، يتأجّج الجسد بالبطن المُتخَم. وكما أنّ إضافة الحطَب إلى الحطَب تزيد لهيب النّار، فإن تنوُّع المآكل يزيد حركة (رغبات) الجسد.

4. **في محبَّة اللذّة:** مَعرفة الله لا تَسكُن في جَسدٍ يُحبّ اللذة، ومَن يُحبُّ جسدَه (وما يُعطيه من ملذّات) لن يَحظى بنعمة الله. كما تَفرحُ الأم بطفلها بعد أوجاع الولادة، تَفرحُ النَّفس بمعرفة أسرار الله بعد تَعب الجهاد. الكسالى و محبُّو اللذة لن يَجنوا (يَحصدوا) غير ثِمار الخزي. وكما أنّ الأب يُعيل الأبن، هكذا المسيح يُعيل الجسد الذي تَحمّلَ المشقّة من أجله ويكونُ دائماً قريباً من فيهِ (يسمع طلبتَه ويستجيبُ له سريعاً)442. العمل (تعَب الجهاد الروحيّ لأجل ضبط الحواس والجسد) هو غِنى لا يُقَدَّر.

5. **في غُربة المُجاهد عن العالَم**: البعيد عن الدّنيويات غريب (لأنه تغرَّب عن العالَم) والذي يعيش كلّ أيامه في الجوع والعطش من أجلِ الخيرات الآتية 443 هو نوَّاح (لأنّ حياته هي نوحٌ دائم التماساً لنعمة الله. 444

439بالاختلاط الزّائد بالنّاس يلتمس الرّاهب التَّعزيات البشريّة، لكنّ ذلك يُفقِدُه هُدوءه ويُسبِّب له تشوُّش الذهن والتّراخي في الجهاد. ويَغفل عن ذِكر الله الدّائم، الذي هو أمر أساسيّ بالنِّسبة إلى الرّاهب، ويُهمل مُطالعاته الروحيّة،

أو يَنسى ما قد قرأ منها، بسبب تشتُّته، فيقع في الجهل الروحيّ. الاختلاط غير اللازم بالنّاس هو اهتمامٌ بالدُّنيويّات وما فيها من أباطيل.

440أُنظر المقالة 27، الفقرة 3.

441يتّفق كُتّاب الأدب النّسكيّ على أن الشَّراهة وامتلاء البطن تحملان الراهب على الكسَل وخُمول الذّهن والنُّعاس وحُبّ النوم والتراخي في الصلاة وعدم القُدرة على القيام بالسَّجدات، فتتحرّك الغرائز ويضطرم الجسد بالشَّهوة، و يضطرب الفكر ويتشوَّش الذهن، ويصعُب على الرّاهب ضبط حواسه، بخلاف الصّيام، الذي يُهذِّب النَّفس ويَضبط الغريزة، فينال المُجاهد صَفاء القلب و يستطيع التأمُّل في الإلهيّات؛ أنظر: القدّيس يوحنّا السلَّمي ، السلّم إلى الله، المقالة الرابعة عشرة.

442المسيح يَعطِف على جسد الإنسان الذي تحمّل المشقّة من أجله، فيُعيلُه كما يُعيلُ الأبُ ابنَه، ويَسمع دُعاءه.

443يعيش الراهب في جوع و عطَش دائمين إلى البرّ، بحسب قول الربّ: " طوبى للجياع والعِطاش إلى البرّ، فإنهم يُشبَعون" (متى 5 : 6)

الرّاهب (المُجاهد) هو الجالس خارج العالَم مُتضرِّعاً إلى الله على الدّوام ليَحظى بخيراته (الإلهيَّة). غِنى الرّاهب المُجاهد هو التَّعزية النّاتجة عن النَّوح؛ 445 (و غِناه أيضاً هو) الفَرَح النّابع من مَخادِع (داخل) الذّهن نَتيجة الإيمان السَّاطع.

6. **في العِفّة والصّلاة:** إذا كُنتَ تُحِبّ العِفّة فاحفظ جسدَك من دَنَس المُعاشَرة (كثرة الكلام والاختلاط غير المُنضَبط بالآخرين)، 446 واحترم نفسَك في خلوتك 447. أُطرد الأفكار القبيحة بالمُطالعة والصّلاة الطّويلة، فتَحصل على سلاح تُحارِب به أسباب الطّبيعة (هجمات التّجارب والجسد) وتَرى الطّهارة في نفسكَ . [لأنّ العِفّة، أي الطهارة، هي من أسمى الفضائل، وأحبّها إلى قلب الله. 448]

7. **في الرَّحمة:** هنيئاً لمن لا يُميّز في ذهنه بين إنسانٍ و آخر، بل يَرحمُ الجميع على السّواء. لكي تَقتني عمَل الرحمة، عَوِّد نفسكَ على الابتعاد عن الأشياء والأشخاص والماديَّات) كلِّها حتى لا يَنجذب ذهنُكَ إلى أثقالها فيتفلَّت ويَخرج عن حُدوده (يصعُب عليك ضبط ومراقبة وتمييز أفكارك). لأنّ صحّة عمَل الرّحمة تَظهر في اختيار الظُلم للنّفس (تقَبُّل مَظالم الآخرين) وتَحَمُّلها بصبر. 449.

إذا كنتَ رحيماً بالحقيقة فلا تَحزَن إذا اغتُصِبَت مُمتلكاتُكَ عُنوةً، ولا تُذِع خسارتَكَ أمام الملأ، بل استُر برحمتكَ الضَّرر الذي سبَّبهُ لكَ المُغتصبون وأظهِر لِظاليكَ كثرة رحمتكَ بأن تُجازيهم بَدَل الشرّ خيراً 450.

8. **في التّواضُع واحتمال الظُلم**: المُتواضع بالحقيقة لا يَضطّرب عندما يُظلَم، ولا يُدافع عن التُّهم الكاذبة الموجَّهة إليه، بل يَحتملُها بفرح، ويَقبل الافتراء (الكاذب كأنّه) الحقيقة، ولا يَهتمّ بإقناع الناس بأنه بريء، بل يطلُب أن يُسامحوه. 451

444مَن يلتمس من الله التّوبة والفضيلة بالدّموع والأصوام والصّلوات هو " نوّاح" ، أي أنه ينوح على خطاياه، مُلتمساً الرحمة والنّعمة لذاته وللعالَم. أُنظر أيضاً: القديس يوحنا السلَّمي، سلّم الفضائل، المقالة 5 : 29 ، والمقالة 7.

445أنظر تعريف النَّوح في المقدّمة، الفقرة 5. تعزيات الله للمُجاهد هي كنزه الحقيقيّ، لأنه يشعُر بأنّ الله معه، يدعوه فيستجيب دُعاءَه.

446أنظر الفقرة 2 أعلاه.

447المقصود عدم ارتكاب خطيئة ضدّ الطَّهارة.

448يقول القدّيس يوحنّا السلَّمي: " العِفّة إسمٌ جامِعٌ لكلّ الفضائل"؛ " إنّ مَرتبة العِفّة رَفيعةٌ وعظيمة، حتى إنّ بعض الآباء جَسروا فدَعوها باللاهوى" المقالة 15، الفقرتين 5 و 66

بعضُهم اتَّهَموا أنفُسَهم بالفُجور من دون أن يكونوا فاجِرين. و آخرون ارتَضوا تهمة الزِّنى وهم بَعيدون عن الفِسق، و تحمّلوا ثمر خطيئةٍ لم يقترفوها، وتَظاهروا بالدّموع والبُكاء، طالبين المغفرة من ظاليهم، بينما كانت نُفوسُهم مُكلّلةً بإكليل النّقاوة و الطّهارة.

إذا كنتَ تظنّ نفسكَ مُتواضعاً فانظُر إلى الذين لاموا (اتَّهَموا) أنفُسَهم، بينما أنتَ لا تستطيع تحمُّل تُهمة الآخرين (في ذَنب اقتَرفتَه حقيقةً). وإذا كنتَ تُريد أن تَعرف تواضُعك، فاختبر نفسكَ عندما تُظلَم، ولاحظ إن كُنتَ تَضطّرب أم لا.

9. **في مَراتب وقُدُرات السّاكنين في المنازل السّماويّة السّعيدة**: إنّ القُدُرات الذهنيّة (الروحيَّة) عند السّاكنين في الخِدر الذي يَدعوه ابنُ الله " منازل أبي الكثيرة"، 452 تتنوّع باختلاف المواهب الرّوحيّة التي يَتمتَّعونَ بها. وتنوّعُها هو كالتنعُّم بنور الشمس الذي يختلف من شخصٍ إلى آخر بحسب قوّة نَظَره أو ضعفه، أو كالسّراج الذي يُعطي ضوءاً واحداً، لكنّه يَسطع أو يَخفت بحسب اتّساع الغُرفة أو ضيقها. 453

هكذا ستكون الحال في الدَّهر الآتي، فيسكُن الأبرار في مكانٍ واحد من دون انفصال، وكلّ واحد منهم يَستضيء بالشّمس العقليّة (المسيح) بحسب قُدرته على الاستيعاب، ويَحصل على المسرّة كما من مكان واحد ومنزل واحد ومَشهد واحد.

---

449 مَن تجرَّدَ عن الماديّات والتعلُّق بالأشخاص، لن يكترث للظلم اللاحق به، بل يَستطيع أن يكون رحيماً، فيرحم ضعف الآخر ويتألَّم لأجل ضعفه وخطيئته ويُصلّي لأجله. رحيم القلب يستُر ظُلم الآخرين ويُجازيهم بدل الشرّ خيراً، ويُصلي للجميع، حتى للحيوانات. أنظُر المقالة 81، الفقرة 2.

450 يقول القديس إسحق إنّ الرَّحيم ليس فقط من يعمَل أعمال الرحمة، بل وأيضاً مَن يَحتمل ظُلم الآخرين و يُصلّي من أجل ظالميه؛ أنظر رومة 12 : 20 –21.

451 في تاريخ الآباء النسّاك أكثر من حادثة صَبَرَ فيها الرّاهب على الافتراء، وأظهر الله براءته، عملاً بقوله :" يُظهِرُ كالنّور برَّكَ وكالظَّهيرة قضاءك" (مزمور 36 : 6)

452 يوحنّا 14 : 2

453 في هذا المقطَع يَصِف القدّيس إسحق حال القديسين بعد انتقالهم إلى الأخدار العلويَّة، حيث يَتمتَّع كلٌ منهم بالمواهب المُعطاة له، بحسب تنوُّعها، وأيضاً بحسب درجاتها. بهذا الكلام، يَستحثّ القدّيس إسحق الراهب على اكتساب ما يُمكنه من مَواهب، لأنّه سوف يتمتّع بها ويَفرح بها في السماء.

أما الغمّ النَّاجم عن رؤية سموّ الآخر وفضيلته وموهبته، فلا وجود له هناك، حيث لا حزنٌ ولا تنهُّد، بل كلٌّ منهم يَفرح بالموهبة التي أُعطيت له على حسب مرتَبته. وتكون المُشاهدة الدّاخليّة واحدةً عند الجميع، وكذلك الفرح. ولا توجَد مَرتَبة (روحيَّة) وُسطى بين المرتَبتَين، السُّفليّة والعُلوية، بل هناك تمييز في المُكافآت في كلتا المَرتبتَين 454.

10. **في أنّ صيانة النّفس شرطٌ لتعليم الآخَرين:** حَسَنٌ أن يُعلِّم الإنسان الآخرين صلاحَ الله ويجذبَهم إلى عِنايته و ينقلَهم من الضَّلال إلى معرفة الحقّ، فهذه كانت طريقة المسيح والرُّسل، وهي الأسمى. لكن إذا كان ذهنُ الإنسان لا يزال بحاجة إلى ضبط، وحواسُّه إلى إخضاع، فإنّ الاتصال المُستمرّ بالنّاس (لتبشيرهم) سوف يُضعِف مُشاهدَة ضميره (حسّ اليقَظة عنده) و يتعكّر صفاؤهُ و تُظِلم معرفتُه. و سعيُه لِشفاء الآخرين سوف يُفقِدُه الصحّة (الرُّوحيّة) ويُخرِجهُ عن حُريّة إرادته (لأنّ أهواءه سوف تُقيّدُه)، و يتشوَّش ذهنُه. 455 (من لا يزال ذهنُه وحواسُه بحاجة إلى ضبط)، فليتذكَّر قول الرَّسول الذي يَنصح الكاملين بالطّعام القويّ، 456 وليرجع إلى الوراء (ليتراجَع عن تَعليم الآخَرين ولينظُر إلى نفسه و

يتفحَّصها)، وليتذكّر هذا الكلام الصّريح:" يا طبيب إشفِ نفسك" ، 457 وليدِن (و ليُحاسب) نفسَه ويُحافظ على سلامة صحَّته (الرّوحيّة)، و ليَستبدِل بتعاليمه الظّاهرة للآخرين حياةً صالحة، وليُعلِّم بالعمَل (بالصّلاة والجهاد و المثَل الصّالح) بدل الأصوات الخارجة من فمه. 458

و متى شَعَر أنه أصبحَ مُعافى فليتقدّم إلى خدمة الآخرين وشِفائهم وهو بكامل صحَّته، لأنه إذا كان بعيداً عن النّاس يُمكنه أن يُحسن إليهم بأعماله الصَّالحة الغَيورة (أعمال جهاده) أكثر من أقواله، وهو المريض (روحيّاً) والمُحتاج إلى علاج. لأنه " إذا كان أعمى يقود أعمى، سقطا معاً في الحُفرة" 459.

الطَّعام القويّ هو للأصحاء الذين تروَّضت حواسُهم وأصبح بإمكانهم تَقبُّل كلّ الطَّعام (أي مُواجهة التَّجارب). 460 وأعني بالطَّعام الضَّربات (هَجمات التّجارب) التي تُوجّهُها الحواسّ من أجل الرّياضة (التمرّن) في الكمال، من دون أن يتأذّى بها القلب (لأنّ المُجاهد واجَهها و انتصرَ عليها). 461

454المرتبات هنا لا تعني السماء و جهنّم، بل درجات العلوّ في المواهب التي حقّقها كلّ مُجاهد. يقول القدّيس إسحق إنّ "المنازل السماويّة" تختلف في " اتّساعها"، أي أنّ القُدرة على التمتُّع بنور المسيح تختلف بين مُجاهد و آخَر. فالساكنون في الأخدار السماويَّة هُم على مراتب، وكلٌّ يتمتَّع بنور المسيح على حسب قُدرته. والراهب يُحصِّل المرتَبة التي سيكون عليها في السَّماء من خلال جهاده على الأرض، فتكون هذه المرتبة هي مُكافأتُه على أتعاب جهاده

11. **في صلاة المُتواضعين:** " عَينا الربّ على المُتواضعين وأُذناه إلى استغاثتهم" 462 صلاة المُتواضعين تُشبه مَن يَهمس في أُذن الآخر (الربّ). (تواضَع) و أُصرخ في سكينتكَ وسطَ أعمال التّواضُع الصَّالحة :" أيها الربّ إلهي، أنِر ظُلمتي" 463 (و امنحني تواضُعَك و أرشدني في طريقك واهدني و ساعدني في جهادي).
12. **في أعمال الجهاد، والشّدائد الصّائرة لأجل الله**: إذا كنتَ خالياً من الأعمال (الجهاد) فلا تتكلّم عن الفضائل. كريمةٌ أمام الربّ الشّدائد الصّائرة من أجلهِ. إنها أسمى من كلّ صلاة و ذبيحة، و رائحةُ عَرَقِها (تَعَبها) أزكى من الرّوائح الطيّبة. كلّ فضيلة من دون تَعَب جسديّ (تموت قبل أن تُولَد) هي كالسّقط (كجسد ميت) بلا روح. تَقدِماتُ الأبرار دُموعُهم، و ذبيحتُهم المقبولة هي تنهُّداتُهم في الاسهار التي يُحييها الرّاهب مُصلّياً. [فيستحيل اقتناء الفضيلة من دون جهاد و تعَب و مَشقَّة] .

13. **الملائكة يُعينون الأبرار في ضيقاتهم و آلامهم:** يَصرُخُ الأبرار إلى الربّ، مُتضايقين من ثقَل الجسد (و طالبين بدُموعٍ القوّة والتَّعزية في تَجاربهم، و التحرُّر من أهوائهم و شهواتهم). يَرفَعون ابتهالاتهم بوجَع، فَتحضُر على صُراخهم المَصافّ المُقدّسة (الملائكة) لتُعينَهم و تُشدّدَهم وتُعزّيهم بالرّجاء [بوُعود الله بالخيرات الأبديّة الآتية، مُكافأةً لأتعابهم] . الملائكة هُم شُركاء هؤلاء (المُجاهدين) القدّيسين في الآمهم و ضيقاتهم، لقُربهم منهم. 464.

455يستحيل على الراهب بُلوغ الكمال على هذه الأرض، و القديس إسحق لا يقول إنّ الراهب يجب أن يبلُغ الكمال قبل المُباشرة بتعليم الآخرين. لكنّه يقول إنّه يَصعُب على الذِّهن المشوَّش بتشتتّ الحواس تَعليم الآخرين، بل إنّ اختلاطَه بالناس سوف يؤذيه و يَزيده تَشتّتاً. فإصلاح النَّفس أولى بالراهب من تَعليم الآخرين، و يجب أن يُترك التَّعليم للمُتقدّمين في الحياة الرهبانيّة.

456يغتذي بالطَّعام القويّ مَن ارتقى عن الأرضيّات و تعمَّق في معرفة الكتب و اقتنى الفضيلة، و أصبح على مقدار من النُّضج الروحيّ (1 كورنتس 3 : 2؛ عبرانيين 5 : 14)

457لوقا 4: 23.

458أُنظر أيضاً المَقطع المُعَنون :" كلام الخِبرة والكلام المَنمَّق" ، المقالة الأولى ، الفقرة 11

459متى 15 : 14

460 في عُرف كتاب العبرانيين (5 : 13 –14 ؛ 1 : 16)، " الطعام القويّ" هو تَعليم الحقائق الإلهيّة للمُتقدِّمين في

14. **في وُجوب التقدّم إلى الأمام من دون فَحص الأُمور و أسبابها:** طوبى للذين مَنطَقوا أحقّاءَهم 465 ليعبُروا خِضَمّ بحر الشّدائد ببساطة وبلا فحص، 466 حُبّاً بالله. إنهم يَبلغُون مِيناء الملكوت بسُرعة و يَستريحون في مَسَاكن الذين تَعِبوا حَسناً و يتَعزَّونَ في مَشقّتهم و يَتهلّلون بسرورِ رجائهم.

المُتهافتون على الطَّريق الصَّعب (طريق الجهاد الرّوحيّ) بصُحبة الرَّجاء (بوُعود الله بالخيرات الأبديّة) لا يتراجعون ولا يُدقّقون ولا يَفحَصون، لكنهم بعد اجتياز بحر (المشقّات) ورؤية صُعوباته (و بُلوغ الميناء الأمين) يُؤدّون الشُكر لله لأنه نجّاهم من المَسالك الضيّقة و المهَاوي ووعُورتها (و اعتنى بهم) من دون عِلمهم. أما الذين يُفكّرون كثيراً و يُريدون أن

يكونوا حُكماء، و يَستسلمون للشكّ و الخوف، و يَرغبون في معرفة الأسباب المُضرة سلَفاً، فإنّ مُعظَمهم يبقى مُنتظراً أمام باب بيته (لا يذهب إلى الجهاد ولا يَتقدّم قيد أُنملة).

المَعرفة. و قياساً على هذا، يقو ل القدّيس إسحق إنّ الطَّعام القويّ هو التَّجارب الشاقة التي يُجرَّب بها المُتقدّمون في الحياة الرهبانية.

461التشبيه مأخوذ من رياضة المُلاكمة ، و المقصود الضَّربات التي غايتُها التَّمرين من دون أن تُصيب في المُجاهد مَقتَلاً (بالمعنى المجازي)، أي أن تُسبِّب له السقوط.

462مزمور 33: 16

463مزمور 17 : 29

464يوضح القدّيس إسحق إحدى وظائف الملائكة، كما حصل للربّ في بُستان الآلام، إذ " تراءى له ملاكٌ من السَّماء يُشدِّدُه" (لوقا 22 : 43).

465إشارة إلى قَول الكتاب: " أشدُد حقويكَ وكُن رجُلاً" (أيوب 40 : 7). شدُّ الحقوين بالحزام يعني الاستعداد الدّائم، و هذا ما يرمز إليه حِزام الرّاهب، الذي تتجلّى رُجولتُه في قوّة جهاده وقُدرته على احتمال مشقّات الحياة الرهبانيَّة. والرجولة الرهبانيّة تشمل أيضاً فضيلة العفَّة. و لذلك فإنّ حزام الراهب يرمز أيضاً إلى العفَّة.

بلا فحص: أي من دون كثرة تفكير، وتردُّد، و فحص فُضوليّ للأسرار الإلهيَّة. و هذا الأمر يُعاكس التَّسليم الكلّي لله، و الثّقة الكلّية بحُسن تدبيره. وهذا يعني عدَم التَّساؤل حول (سَبب وكيفيَّة) ما يَعمَلُهُ الله، و كيفيَّة تَنفيذ إرادته. فتدابير الله و أسرارُه لا يمكن فحصُها بالعقل والمنطق، فهذا علامةُ شكّ وضعف إيمان، بينما يجب على هؤلاء،

15. **في الجهاد و المُثابرة:** اتكل على الله وباشر السّير في الطّريق المليء بالدّماء (تعَب وعرَق الجهاد) حتى لا تبقى في فَقركَ وفي عُريكَ (من النِّعمة، مُجرّداً) من معرفة الله. 467 (معرفة الله و القُرب منه مُستحيلان من دون جهاد)، لأنّ "مَن يرصُد الرّيح لا يَزرع، و مَن يَرقُب السُّحب لا يحصد" . 468

باشِر العمَل (الإلهيّ) الصّالح بشجاعة ولا تُقبِل عليهِ بتردُّد. ولا تَشكّ برجاء (معونة) الله لئلا يَصيرَ تَعبُكَ باطلاً، و يُصبح العمل الصّالح صعباً وثقيلاً عليك. آمن بقلبك أنّ الربّ رحومٌ ويفي الأُجرة ويُعطي نعمةً للذين يطلُبونهُ، لا بمقدار أعمالهم بل بمقدار إيمانهم و رغبتهم (في الجهاد و إتمام الوصايا وعمَل الفضيلة والإحسان)، لأنهُ قال: " ليكُن لكَ على قَدرِ إيمانكَ" 469 الموت من أجل الله أفضل من حياة الخزي و الكسل. عندما تُصمّم على الشُّروع في العمل الإلهي، أقِم، قبل كلّ شيء ، عهداً كمن لم يَعُد مُتعلّقاً بهذه الدّنيا، أو كمن يَستعد للموت، 470 فاقداً رجاءهُ في الحياة الحاضرة، وقد حانَ زمنُ انتقاله ثم أجعل هذا العهد في ذهنكَ. أما الرّجاء بالحياة (الحاضرة) فيُصيب الذّهن بالخُمول ، و يمنعُك (يُعيقُك) عن الغَلَبة (في الجهاد) 471.

16. **في الحكمة الحقيقيَّة:** لا تَكُن حكيماً (في عينَي نفسك) 472 أكثر مما يلزَم. (لا تُبالغ في تقدير نفسك ولا تَعتقد أنّك تَستطيع إرشاد نفسك لأجل التقدُّم في الجهاد9. (لا تكُن شديد الثّقة بحكمتك) بل أفسح للإيمان في المجال للدّخول إلى ذهنك. 473

بحسب القدّيس إسحق، أن يعتبروا عناية الله التي تحيط بهم في كلّ لحظة، وهي برهان على وجوده تعالى. وقد قال الرسول" ما أبعدَ غِنى الله وحكمته وعِلمه، و ما أعسَر إدراك أحكامه و تَبيُّن طُرُقه. فمَن عرَفَ فِكرَ الله، و مَن كان له مُشيراً" 0رومة 11 : 33 –34).

466معرفة الله تعني التقرُّب منه؛ فكلما ازدادَ المُجاهد معرفةً بالله، ازداد قُرباً منه، وازداد قداسةً و قُرباً من الحياة الإلهيَّة: " الحياة الأبديَّة أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، و يعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلتَه" (يوحنا 17 : 3).

467مَن يرصُد الريح و يرقُب السحب هو الراهب المتخاذل والكَسول . (جامعة 11 : 14).

468متى 8 : 13؛ الله يُكافئ المُجاهد، لا على قَدر أعماله وحَسب، بل على قَدر إيمانه.

469أقِم مع نفسك، أمام الله، عهداً لا رجوع عنه، بالجهاد لمدى الحياة.

إذا تذكرتَ الأيّام الكثيرة و الدّهور غير القابلة للوَصف التي تَلي الموت، فلن يَتسربَ إليكَ الخُمول. 474 وتذكَّر قولَ الحكيم: " إنّ ألفي سنة من الدَّهر الحاضر ليست كيوم واحد في دَهر الأبرار" 475.

= المقالة السابعة والخمسون=

1. في أنّ الجهاد مدٌّ وجزرٌ: (بَحرُ) الجهاد لا يُعبَر في ساعة واحدة، بل تَدريجاً، والنّعمة لا تأتي دفعةً واحدة وتسكُن في النّفس نهائياً بل شيئاً فشيئاً. ثم لا تَلبث التّجربة أن تُداهِم الإنسان، وتأتي بعدها التّعزية. و يَبقى (المُجاهد) عُرضةً لهذه التقلُّبات حتى خُروجه من العالَم.

فلا نَرجُوَنَّ التّعزية التامة في هذه الحياة، ولا النَّجاة من التغيُّرات (وهجمات) التّجارب. 476 لأنّ الله دبّرَ حياتنا بهذه الطَّريقة، وجعل التحوُّلات تُرافق السّائرين في طريق (الجهاد) طيلة حياتهم. [لكن في كلّ ذلك، يَرتقي المُجاهد تَدريجاً في طريق الكَمال].

470إذا وَضَعَ الراهب رجاءَه في الحياة الحاضرة، فهو سوف يَسعى وراء الأمور الدّنيويّة ، كالمال والسلطة والعظَمة... فيهوي عن جهاده. أنظر 1 كورنتس 15 : 19.

471أمثال 3 : 7؛ 26 : 12

472المُبالغة في تقدير الذّات تؤدّي إلى الاتكال على الحكمة البشريّة والمشيئة الذاتية، والاتكال على الذّات لأجل التقدُّم. بينما الإيمان يعني الاتكال أولاً على الله و التماس مشيئته و هدايته. فمتى " دخلَ الإيمان إلى الذهن"، ازداد الاتكال على الله، و من دون الإيمان يَستحيل التقدُّم. و الحَكيم في عَينَي نفسه أكثر من اللزوم، هو ضعيف الايمان.

473ذِكر الخيرات الآتية والنَّعيم الذي يتمتَّع به الأبرار بعد الموت يحثّ الراهب على المُثابرة في جهاده.

474مزمور 89: 4؛ الدّهر الحاضر سرعان ما يَزول، لننتقل إلى جوار الربّ، كما قال الرّسول:" إنّ هيئةَ هذا العالم إلى زَوال" (1 كورنتس 7 : 31).

475لا يرجو المُجاهد النجاة بالكامل من التَّجارب، و الحصول على تعزية تامة، ما دام الله جَعَل الحياة في تَغيُّر دائم.

= المقالة الثَّامنة والخمسون=

1. **في الضَّرر النَّاجم عن الحسَد:** الحَسود لا يَصِل إلى سلام الذّهن أبداً.477 يُعرَف السَّلام بصحّة الذّهن، 478 أمّا مَن فيه حسدٌ رديء، فهو مُصابٌ في ذهنه بمرضٍ عُضال.

الحسَد ليس من مميزات الحكمة، بل هو مرضٌ في النّفس يدلّ على ضيق العقل و كثرة الجَهل (وعدَم الحكمة). (لأنّ) بَدء حكمة الله التّسامُح والوداعة، فهُما من شِيَم النّفس الكبيرة التي تَحتمِل ضُعُفات النّاس. " فعلينا نحن الأقوياء في الإيمان أن نحتمِل ضُعف الضُعفاء" 479. " إن وقعَ أحدُكم في خطأ فأقيمه أنتُم أبناء الرّوح بروح الوداعة" 480. بهذا يَعتبر (بولس) الرَّسول أنّ السّلام والصَّبر هُما من ثمار الرّوح القدس.

2. **اصبر على سقطات الآخَرين:** بثوراتِكَ على أخطاء الآخرين تُقصي الصحّة عن نفسكَ (تُسبّب لنفسك المرَض الرّوحيّ). فاتعَب (لكي تَكتسب) صحّةً (روحيَّةً) لنفسكَ (بعدم الانفعال، وبتَنقية ذهنك من الحسَد والحقد وحبّ الانتقام). مَرَضُ (الآخرين) يحتاج إلى الاهتمام والعناية أكثر من الانتهار والقصاص. و إذا كنتَ لا تُساعدُهم (تَعتني بهم) فإنّكَ تَطرحُ نفسكَ في مرضٍ كبيرٍ أليم 481.

3. **في كيفيّة التّعامُل مع الحُزن:** حين يمتلئ قلبُ المُجاهد بالحُزن لعَجزه عن القيام بالأعمال الجسديّة الظَّاهرة (أعمال الخير، والعبادة الجسديّة كالصَّوم والسَّجدات)، بسبب المرض أو الضّعف، فإنّ حُزنه يُغنيه عن الأعمال الجسديّة كلِّها. 482 (لأنّ) هذه الأعمال، إذا حَصلت وكانت خالية من حُزن الفكر (لأجل التَّقصير والسَّقطات)، فهي كجسد بلا روح. حزين القلب (لتقصيره في إتمام وصيّة المحبّة والتّوبة والعبادة) إذا تشتتت حواسُّه (تراخت ولم يضبطها)،يُشبهُ مريضاً يتألم جسدياً لكنه يَفغَرُ فاهُ لكلِّ طعامٍ مؤذٍ. مَن يَملكُ قلباً حَزيناً ويُطلِقُ العَنان لحواسّهِ، يُشبهُ إنساناً له ابنٌ وحيد ويذبحُهُ بيدهِ

476الحسد إحساس بالنَّقص وعَدَم رِضى عن الذات، بسبب ما عند الآخرين من خَير، و بُغض الآخرين لِما عندهم. وكلا الأمرين لا سلام فيهما للنَّفس. الحسد، كالبُغض، شُعور يتآكل الإنسان من الدّاخل ويَدفعُه إلى الحقد و الأذيّة والانتقام من الآخرين، لكن لا لأيّ ذنب اقترفوه.

477السلام هو دليل صحّة الذّهن. بهذا يربط القديس إسحق سلام الذّهن باقتناء الذهن للفضائل. أما الذهن المُشوَّش بالبُغض والحقد والحسد والشّهوة... فلا سلام له، بل هو ذهنٌ مَريض

478رومة 15 : 1

479غلاطية 6 : 1

ببطء 483. حُزنُ الفِكر لأجل التَّقصير في الفضيلة عطيّةٌ ثمينة من الله، ومن يحتملُ هذا الحُزن كما يجب يَصُون أعضاءه في القداسة. أما الذي يُضنكُ (يُتعِب) لسانَهُ مفتَخِراً بالصّالحات (في ذاته) وَلائِماً (الآخرين) على سيّئاتهم ، فليس أهلاً للنِّعمة. التَّوبة المَقرونة بالأحاديث الدنيوية تُشبهُ خابيةً مَنقوبةً [لا تحمِلُ ماءَ النِّعمة] .

4.**في التأثير الهدّام للمَديح:** "قلّما يوجَدُ إنسانٌ يستطيع الصّمود أمام الإكرام، ولعلّه، يَستحيل وجودُه، و إن كانت أحوالُه كأحوال الملائكة. وسببُ ذلك أنّ (الإنسان، بطبعه) سريعُ التحوُّل (ويَصعُب عليه الحفاظ على تَجرُّده)" 484

المَديح (دائماً) مَقرونٌ باللّطمات (مديح الآخرين الذي يُسبّبُ هجمات الكبرياء) ، و يُشبهُ سَيفاً مُغمَّساً بالعَسَل 485.

460 **في العدالة والرّأفة**: الرأفة هي ضدّ العدالة . و إذا اجتمعا في النَّفس الواحدة، فهما كإنسانٍ يَسجدُ لله وللأوثان. العُشب والنّار لا يَجتمعان، وكذلك العَدالة والرّأفة.

العَدالة هي المُساواة في الإنصاف، تُعطي كلّ واحد استحقاقَه من دون أن تميل إلى جهةٍ أو إلى أخرى، ولا تُحابي في المُكافأة. أما الرّأفة فهي حُزنٌ تُحرِّكهُ النّعمة وتُميلهُ نحو الجميع بعطفٍ من دون أن تُجازي الشرِّير بالشرّ، وتملأُ بالخير من يَستَحقُّه.

إنّ حبةَ رَملٍ صغيرة لا تَستطيع مُقاومة ثِقلٍ كبير من الذَّهب، و ضرورةُ عدالة الله لا تُوازي عظَمة رأفته 486.

461 في الرأفة و الصّلاة: مَن يُصلّي وهو حاقِدٌ يُشبهُ الزّارِع في البحر على أمل الحصاد. إنّ قوّة الغضب تنحَدِر بأذهانِنا إلى أسفَل، انحدارَ الماء من الشلاّل . أما صلوات الرّؤوفين فتتصاعَد إلى السَّماء كلهيب النّار الذي لا يُمكن مَنعُه.

462 ضعيف النفس: ضَعيفُ النّفس 487 الذي يُريد إصلاح الآخرين هو كالأعمى الذي يُريد أن يُرشد المُبصرين في الطّريق.

463 في التّواضُع والعفّة: جماعة المُتواضعين مَحبوبةٌ عند الله كجماعة السيرافيم. والجسَد العَفيف كريمٌ لدى الله أكثر من الذّبيحة الطّاهِرة. لأنَّ التّواضُع والعفّة يؤمّنان للنّفس قَرضاً (نعمةً) من الثّالوث.

464 في التعفُّف: إحفظ بطنكَ (إعتَدِل وتَعفّف في مأكلك). و بالأكثر، إحفظ عَينَيكَ، لأنّ الحرب الدّاخلية (شهوة الأكل) أخفُّ وطأةً من الحرب الخارجيّة (هجمات تجارب الحواسّ الآتية من الخارج). ولا يُمكن مُواجهة الأفكار الداخليّة (شهوة الأكل) قبلَ تَنظيم الجسَد (بحواسّه) ، وتهذيبه.

465في واجب الاحتراس من العادات السيِّئة: إحترس من العادات (السيئة) أكثر من الأعداء 488. مَن يُغذّي في داخِلهِ عادةً ما هو كمَن يُوقِد (في داخله) ناراً؛ وحُدود قوّتهما (النَّار والعَادة) كامنةٌ في المادّة التي تُغذّيهما. فإذا اشتَهت العادةُ شيئاً ولم تُلَبِّ طَلبها، ستجدُ أنّ شهوتها تَضعُف فيما بعد، أما إذا لبَّيتَ مُشتهاها فستجدُ أنّ قوّتها ازدادت عليك. تذكّر دائماً، وفي كّل شيء، أنّ فائدةَ الإحتراس (من السقوط مُنذ البداية) أفضل بكثير من فائدة العمَل (الجهاد الروحيّ للتحرّر من العادة السيئة).

466في التّعامُل مع السَّاخِر والمتراخي: لا تُصادِق مُحبَّ الضّحك والسُّخرية، لأنهُ سيقودُك إلى عادة الخُمُول. قَطِّب جَبينك بوجه مَن يُحاول أن يَذِمّ أخاه، ومتى فَعلتَ ذلِكَ يحفظُكَ الله من هذا الشّرّ.

لا تكُن بَشوش الوجه أمام (الكسول) المُتراخي في حياته (الروحيّة)، لكن احذر أن تُبغضَهُ. و إذا أرادَ النُّهوض فاعطِهِ يَدَكَ واهتمّ بإنقاذِهِ حتى النّهاية. أما إذا كُنتَ ضعيفاً فانصرِف عن الإهتمام به إلى (الاهتمام) بنفسِك، لكن أعطِه، كما يقولون، طَرَفَ العصا (أي أنّبه على تَراخيه و شجّعه على النُّهوض).

467في التّعامُل مع المُتكبّر و الحَسُود: تكلّم بانتباه أمام المُتكبّر الحسود لأنّهُ سيأخُذ كلامكض و يُؤوِّلهُ على حسب مُشتهى قلبه، فيَستَخرِج من أقوالكَ البريئة مادّةً يُعثّر بها الآخرين، و يحوّل كلامَكَ في ذهنه بحسب نوع مَرضه.

468في عمَل الإحسان: إذا أعطَيتَ شيئاً لمُحتاج تداركهُ بالإبتسام وَعَزّ ضيقهُ بأقوال صالحة لأنَّ ذهنهُ يَفرح بالابتسامة أكثر مما يَفرَح بنوال الحاجة، [عملاً بقول بولس الرَّسول:" مَن يَرحم فليرحم ببشاشة"، "لأنّ الله يُحبّ مَن أعطى مُتهلِّلاً" 489]

469في أنّ النّميمة هي اقتناءُ الموت: تأكّد أنكَ مُتَّ عن الله، و أنّ أعمالكَ (جهاداتك الروحيَّة) كلّها أصبحت باطِلة، لحظةَ تَفتحُ فَمكَ وتتكلّم عن أحد، 490 ولو اعتقدّتَ أنكَ تُصلِحهُ بكلامك. فماذا يَنفعُ الإنسان إذا هَدمَ بناءَهُ (الروحيّ) ليُصلِح بناء الآخر؟

480هو مرض الكبرياء والأنانيّة وعدم الرحمة وقَسوة القلب.

481الحزن يعني تحرُّق القلب، الذي يتحوّل إلى عِبادة عقليّةٍ مَقبولة لدى الله.

482حُزن القلب لأجل التقصير في عمل الفضيلة، أو للغيرة في عمَل المَزيد منها، هي نعمةٌ يجب على الراهب الحفاظ عليها. وهو يخسرُها تدريجاً إذا أطلق العنان لحواسه، لأنّ تلك الغيرة تُضعِفُها الحواس تَدريجاً. و الابن الوحيد هنا هو فِعلُ النِّعمة في النَّفس.

483هذا المَقطع هو من المقالة الأولى، وقد أثبتناه هنا لضرورة تسلسُل الأفكار.

484لذلك عندما يَمدح الآخرون الراهب عليه فوراً أن يُعطي المجد لله في قلبه، فيَطرُد عنه حسّ الكبرياء ، وليَعتبر أنه لا يملك شيئاً صالحاً في ذاته، وكلُّ صَلاحٍ فيه هو من الله.

470 نارٌ تخرجُ مِنكَ: إذا خَرجَت مِنكَ نارٌ وأحرقت الآخرين (آذيتهَم و اتّهمتهُم و أدنتَهم و غضبتَ عليهم و مارستَ النّميمة عليهم....)، فاللهُ سيُطالبُك بنُفوس الذين أحرقتَهم؛ و إذا لم تكُن أنتَ واضِع النار، إنما وافَقتَ واضعَها وأُعجِبتَ بعَمله، فاللهُ سيدينُكَ أنتَ أيضاً ، (لأنّ مَن وافقَ على مَعصيةٍ، فهو شريكٌ فيها).

471 في الحُزن من أجل الضُّعفاء والخطأة: إذا حَزنتَ لأجل إنسان لا يَعمَلُ الصّالحات ولا يتجنّب عمَل السَّيئات، بجسده أو بفكره، إفعل ذلكَ كمُتألّم لأجل المسيح، واذكُر أنّ المسيح ماتَ من أجل الخطأة وليس من أجل الأبرار. الحُزن (مِن أجل) الأشرار وتَفضيل الإحسان إليهم على الإحسان إلى الأبرار أمرق عظيم.

472 في أن الله يُريدُنا أن نُفكّر و نُميِّز: باطلٌ كلُّ عمَل (روحيّ) تَقوم به من دون تفكير (و تمييز)، 491 مهما كان ذلك العمل، لأنّ الله يُقدِّر عمَل البِرّ على أساس التّمييز (أن نَعمَل جهدَنا لتمييز ما يصلُح عمله، وكيفيَّة عمله، وما هو غير مُناسِب، وتمييز ما هو صالح عمّا هو شرّير)، و ليس على أساس تَنفيذه بطريقة عشوائية 492.

473 في التكبُّر: اجلس مع الأبرص ولا تُجالس المُتكبّر !493

485وهذا يَعني أنه، مهما عَظُمَت خطايانا ، لا يجب أن نقطع الرجاء، لأنّ رحمة الله تبقى أعظم من خطايانا. أنظر المقالة 60، الفقرة 4.

486الذي يُعاني الجُبن والخوف في الجهاد، وتُعوزُه العزيمة والنِّعمة الإلهيّة والفَضيلة والتّقوى والمعرفة والخبرة الرّوحيّة.

487القديس إسحق يَصِف هنا كيفيّة تكوُّن العادة السيِّئة واستفحالها، وعلاجَها يقول إنّ العادة السّيئة أكثرُ شراسةً من الأعداء لأنه سوف يَصعُب جداً التخلّص منها، وهي قد تُعاود الإنسان تكراراً. وتتسلَّط وتستشري بقَدر ما نُغذِّيها. أما إذا حُرِمت المادة التي تُغذِّيها، فتضعُف. لكنّ العلاج الأفضل هو الاحتراس واليقَظة منذ البداية، قبل أن تتكوَّن العادة، عملاً بوصيّة بولس الرسول " لن أدعَ شيئاً يتسلط عليّ" (1 كورنتس 6: 12)

488رومة 12: 9؛ 2 كورنتس 9: 7

489بهذا يجعل القديس إسحق النَّميمة خطيئة جسيمة، خصوصاً عندما يرتكبُها راهب مُجاهد. و أحد أسباب ذلك أنه من الصعب جداً، و أحياناً من المُستحيل، إصلاح الخطأ النَّاجم عن النَّميمة، فهي تُدمِّر سمعة الأشخاص وعلاقاتهم وحياتهم، سواء أكان ما يُقال صحيحاً أم لا.

474في قُرب المتوحّد من الآخرين، و بُعدِه عنهُم: إفرح مع الفَرحين و ابكِ مع الباكينَ، فهذا دليلُ الطّهارة. 494 إمرض مع المَرضى (أي تألّم لمرضهم)، ونُح مع الخطأة، وافرح مع التّائبين. صادِق الجميع، إنما كُن بَعيداً عنهم بجسدكَ. لا تؤَنِّب ولا تُغَيِّر أحداً، حتى سيّئ السيرة، أُبسط وشاحكَ (وشاح رحمتك) على المُذنِب و استرهُ. و إذا كُنتَ لا تَستطيع تحمُّل ذُنوبه وتأنيبه وعاره، فاصبر عليه على الأقل و لا تُخزِه.

475في الفَهم و التّواضع: لا فَهمَ من دُون تواضُع. ومَن خَلا من (التّواضُع) خَلا من (الفَهم الروحيّ) بالضّرورة. 495

490كلّ عمَل يُعمَل من دون تفكير، سواء أكان ذلك العمل روحيّاً، أم دُنيويّاً، هو مُرتجَل وناقص وغير ناضج وغير مسؤول؛ وقد يكون العمل ناجماً من الانفعال والشهوة والهوى، كالحقد والغضب، ويَستحيل التكهّن بعواقبه. القاعدة الذهبيّة أن يَلتمس الراهب التَّمييز من خلال الصلاة والتَّفكير والتماس المَشورة، والصبر و الانتظار. أنظر المقالة 59 أدناه، الفقرة 3.

491التمييز هو مَعرفة ثابتة لمشيئة الله في كلّ ظَرف وفي كلّ آن ومكان. وتَتوفر هذه المعرفة للمُتواضعين و أنقياء القُلوب والأجساد والأفواه. القدّيس يوحنّا السلَّمي، السلَّم إلى الله، 26 : 1؛ أنظر أيضاً: لوقا 14 : 28 –32.

492الكبرياء أشدُّ فتكاً من البرَص. قد يكون البَرَص مُميتاً، أما الكبرياء فيقود إلى جهنَّم. في مجالسة المُتكبِّر خطرٌ على الراهب، إذ قد يتأثر بأخلاقه ويَتعلّم طرائقه، أو قد يُهان من جرّاء تَكبّره.

493رومة 12 : 15؛ مُشاركة الآخرين أفراحَهم و أحزانهم وآلامَهم هو من أعمال الرحمة ودليل أنّ الراهب قد بلغَ مَرتبةً ساميةً في محبَّة القريب. نلاحظ هنا أنّ المتوحِّد لا يحيا منقطعاً بالكليَّة عن الآخرين، لكنّه يتحفّظ على الاختلاط بهم من أجل جهاده.

494" الله يُقاوم المتكبِّرين ويُعطي المتواضعين نعمةً" (يعقوب 4 : 6). تلك النِّعمة يُحرَمُها المتكبّر، فيَخلو من كلّ موهبة روحيّة ومن ثمار الروح القدس، بما في ذلك موهبة الفَهم الروحيّ.

= المقالة التّاسعة و الخمسون=

1. **في ذِكر الله الدّائم**: الصّلاة الخالية من التشتّت تُحرِّك في النّفس فِكراً نقيّاً عن الله. 496 ويكون حُلول الله في النّفس من خلال ذِكره الدّائم، وهكذا نُصبحُ هياكل لهُ. وهذا يَعني اهتماماً 497، وقلباً مُنسحقاً 498، مُستعدّاً لقبول الرّاحة الأبديّة في الله 499.
2. **في التماس الصّلاح**: اختيار المشيئة الصّالحة يَتوقَّف على الإنسان . أما تَحقيقُها فأمرٌ يَختصُّ بالله، لأنّنا بحاجة إلى مَعونته 500. لهذا يجب أن نُتبعَ الرغبة (الصّالحة) المُتولّدة فينا بصلوات مُتواصلة. ولا يَكفي أن نَلتمسَ معونة الله لأجل تحقيقها، بل يجب أن نُميِّز أولاً إذا كانت تلك الرّغبة مُطابقةً للإرادة الإلهيّة. فليست كلُّ رغبةٍ ناشئةٍ في القلب " هي من لَدُنِ أبي الأنوار" 501.
3. **صلاة لالتماس تمييز الرّغبة المُتولّدة في القلب:** " ياربّ، إذا كان العمل الصّالح الذي أرغبُ فيه مَرضيّاً لديك، فلتكُن مشيئتُكَ فيه. الاختيار سهل ، أما العمل من دون نعمتِكَ فمُستحيل . و أنا أعلمُ يارب أنّ كلّ شيء من عندكَ، العمل و الإرادة على السَّواء 502. و إني من دون نِعمتكَ لن أقتنع بقبول هذه الرغبة المُتولِّدة فيَّ".

هذه عادةُ مَن يرغبُ في الصّلاح. يَعملُ بالصّلاة بتمييز الذّهن لكي يَنال المعَونة والحكمة التي تَفصل الحقّ عن الباطل. لأنّ الصّلاح لا يُمكن تمييزُه إلا بالصّلوات الكثيرة والعَمل والاحتراس والشّوق الدّائم والدّموع التي لا تَنقطع، والتّواضُع والمَعونة السّماوية. ونحن نحتاج إلى هذه جميعِها بخاصّةٍ عندما تُوجَد أفكار كبرياء قد تُقاوِم مُساعدة الله لنا. أما إقصاء أفكار (الكبرياء) هذه فيتمّ بالصّلاة. 503

495وهذا يَعني أنّه، مهما عَظُمَت خطايانا، لا يجب أن نقطع الرجاء، لأنّ رحمة الله تبقى أعظم من خطايانا. أنظر المقالة 60، الفقرة 4

496الذي يُعاني الجُبن والخوف في الجهاد، وتُوزُه العزيمة والنِّعمة الإلهيّة والفَضيلة والتّقوى والمعرفة والخبرة الرّوحيّة.

497القديس إسحق يَصِف هنا كيفيّة تَكوُّن العادة السيِّئة واستفحالها، وعلاجَها. يقول إنّ العادة السيّئة أكثرُ شراسةً من الأعداء لأنه سوف يَصعُب جداً التخلّص منها، وهي قد تُعاود الإنسان تكراراً. و تتسلَّط وتستشري بقَدر ما نُغذِّيها. أما إذا حُرِمت المادة التي تُغذِّيها، فتضعُف. لكنّ العلاج الأفضل هو الاحتراس واليقَظة منذ البداية، قبل أن تتكوَّن العادة، عملاً بوصيّة بولس الرسول " لن أدعَ شيئاً يتسلط عليّ" (1 كورنتس 6 : 12).

498إنّ في سُكنى الله في النَّفس راحةً تؤهّل المُجاهد للراحة الدَّائمة في الله بعد انتقاله إلى السماء.

1. **في اليقظة وضبط الحواسّ وعدم التَّراخي:** علينا أن نَحترس (ونكون أيقاظاً) في أيام الرّاحة504، فلا نَترك ذواتنا من دون حراسَةٍ 505 يَقِظة، لأننا سنُرشَق بسهام العدوّ في سَكينتنا، ثم (عند خروجنا من السَّكينة، و اختلاطنا بالآخرين) تجتني نفوسُنا (هجمات الأهواء، التي هي) ثمار الدّالة الفاسدة(أي نَرفع الكلفة مع الآخرين). (هذه الدّالة) نَراها في المكان المُقدَّس (الذّهن) مُرتديةً ثوباً وسخاً مُحاكاً بالأفكار المُتحرّكة (التي تُهاجمُنا) في أذهاننا أثناء الهذيذ بالله (ذكره الدائم). [وتَفكيرنا بالدَّالة التي اكتسبناها لدى الآخرين يَسرق من ذِهننا ذِكرَنا الدّائم لله]

اليقَظة (والاحتراس من العدوّ) تُساعد الإنسان أكثر من عمل (الجهاد) 506 وتَراخي الانتباه يؤذيه أكثر من الرّاحة. تراخي الانتباه يُخرِجُ المُجاهد عن الحُدود (التي يضعُها) لحُرِّيته [فيُهمِل نفسَه ويختلط بالنسا من دون ترتيب، مع ما ينجم عن ذلك من أذى] ويُضطر إلى الانصياع لما لا يُوافقه. وبإطلاق العَنان لحرِّيته (بالتراخي وعدم ضبط النّفس وعدم ضبط الحواس) ، يقَع في أحوال سَيِّئة تُقَيّدُه (وتسيطر عليه) رُغماً عنه، ولا يستطيع مُقاومتَها (والإفلات من تسلُّطها).

لا تُطلِق الحُريّة لحواسّكَ لِئلا يَستحيل (يَصعُب جداً) رجُوعكَ إلى ذاتِك (نَقاوتك). و إذا كانت الرّاحة تؤذي الشبّان فقط، فالتَّراخي يؤذي الكاملين والشُّيوخ أيضاً. إنّ الذين يُحارَبون بالأفكار القبيحة النّاجمة عن الرّاحة يَستطيعون استعادة المُحافظة على ذواتهم (والعودة إلى حالتهم الأولى)؛ أما الذين أَهملوا صيانة حواسهم، مُتّكلين على رجاء عمَلهم (راجين أن يُنقذَهم عملُهم الرّوحيّ من هجمات الحواسّ) فسوف [يخيب ظنّهم] وسوف تَستعبدُهُم حواسُّهم، فيَهبطون من سُموّ السّيرة إلى حياة الإنحلال. المُتراخي في (ضَبط) حواسه يُحطِّم قَلبَه (فلا يَعود مُتعلِّقاً بالله).

2. **لا تحزن لأجل زلّتك:** لا تَحزَن إذا ارتكبتَ زلَّةً، بل احزن إذا بَقيتَ فيها. الزلّة تَحدُثُ حتى للكاملين (الذين بَلغوا مرتَبةً سامية)، لكنّ (الاستسلام لها واليأس من الخلاص منها) والبَقاء فيها هو مَوتٌ تام.

إنّ حُزنَنا لأجل زلاّتنا هو عمَلٌ طاهر مُعطى لنا من النّعمة. أما الذي يرتكب الزلّة نفسها ثانيةً (عمداً) على أمل التّوبة (لاحقاً) فهو سائرٌ مع الله بغِشٍّ، (" لأنّ الله لا يُسخَرُ منه 507"). ويَهبط عليه الموتُ (الروحيّ) فجأة ، فلا يَستطيعُ إتمام عمَل الفضيلة، ولا يبلُغ إلى (غاية) رجائه (بالتحرُّر والخلاص والحياة الأبديّة).

---

499 في قلب الإنسان أفكارٌ كثيرة، لكنّ مشورة الربّ هي التي تَثْبت" ؛ " للإنسان إعداد القلب، ومن الربّ جواب اللسان" ؛ " قلبُ الإنسان يُفكّر في طريقه، والربّ يهدي خطواته" ؛ " فَوّض إلى الربّ أعمالك، فتَثبُت مقاصدُك" (أمثال 19 : 21 ؛ 16 : 1؛ 16 ؛ 16 : 3).

3. **إبكِ من أجلِ الخطأة:** لا تُبغض الخاطئ لأنَّنا كلُّنا خَطأة . و إذا ثِرتَ عليه بدافع إلهيّ فابكِ لأجله. لا تُبغضهُ، بل أَبغِض خطاياه وصَلِّ لأجله، مُتَمثِّلاً بالمسيح الذي ثارَ على الخطأة لكنه صلّى لأجلهم. الشّيطان يَخدعُنا في أمورٍ كثيرة (و يجرّنا إلى الخطيئة)، فلماذا نُبغِض مَن يُخدَع مثلَنا (و يَقَع مِثلَنا في الخطيئة)؟ ألعَلَّكَ تَعتقد أنّ الخاطئ ليس بارّاً مثلكَ؟ وأين هو بِرُّكَ أنت إذا كُنتَ لا تملك المحبّة (لترحَم الخاطئ وتُشفق عليه)؟

4. **في أنّ الله ليس عادلاً، بل رَحيماً**: لا تَدعُ الله عادلاً، لأنّ عدالتَهُ ليست ظاهرةً في أعماله. لقد دَعاهُ داود عادلاً ومُستقيماً، لكنّ ابن الله أظهَر بالأحرى أنه صالح ووديع، وقال:" إنه يُنعِمُ على ناكري الجميل و الأشرار" 508 وكيفَ تَدعوهُ عادلاً إذا قرأتَ ما قالهُ عن أجرة العمّال :" هذا الذي جاء في الآخِرِ أُريدُ أن أُعطيهِ مثلَكَ"509 وكيف تَدعوهُ عادلاً وقد قرأتَ

500يعقوب 17 :1؛ أنظر أيضاً فقرة " في أنّ الله يُريدُنا أن نُفكِّر" ، المقالة 58 أعلاه، الفقرة 16.

501" إنّ الله هو الذي يُحدِثُ فيكم الإرادةَ والعمَلَ لإرضائه" (فيلبي 2 : 13)

502التمييز هو من أعظم المواهب، و الراهب يحتاج إلى هذه الموهبة ليكون بمأمن من خداع أهوائه وخداع إبليس، ولكي يميّز ما هو صالح عمّا هو فاسد، لأنّ كثيراً من الأفكار والأحاسيس والأعمال قد تبدو صالحة، بينما هي غير ذلك . لأجل هذا يقول القديس إسحق إنه يجب عَمَل الصلاح بتمييز. فبعض الأعمال الصالحة قد تؤدِّي مثلاً إلى الكبرياء أو إلى يقظة الأهواء، أو إلى عَواقب أخرى غير حَميدة. والصلاة هي الوسيلة التي بها يَطلب الراهب التَّمييز في جميع أموره الصغيرة و الكبيرة.

503عندما لا تكون هناك تَجارب قاسية تُهاجم الراهب. وعكسُها : أيام الحُروب.

504تكون الحِراسة بمَنع مُسبِّبات التّجارب من الدّخول من خلال الحواس، على مِثال ما يَفعل الحارس الذي يَمنع الغُرباء من الدُّخول.

505اليقظة تُساعد أكثر من الجهاد لأنها تَقطع دابر التَّجربة في مَهدها، أما الجهاد فهو العمَل الروحي الذي يَقوم به المجاهد بعد أن تَدخُل التَّجربة أبواب ذِهنه.

506غلاطية 6 : 7

507لوقا 6 : 35

508متى 20 : 13

فَصل الابن الضّال الذي بذّرَ الغِنى على الفُجور ثم، عند نَدَمِه، أسرعَ أبوهُ إليهِ وعانقهُ 510؟ هذه الأقوال لم يقُلها إنسانٌ غريبٌ حتى تَشُكَّ فيها، بل الابن نفسُه شَهِدَ بها. فأينَ عدالة الله؟ أهي في أنَ المسيح مات لأجلنا ونحنُ بعدُ خطأة 511؟ فما دام رحيماً إلى هذا الحدّ هنا (في هذه الحياة) فلنؤمن أنهُ لن يَتغيّر أبداً.

فيا لرحمة الله العجيبة، ويا لنعمة خالقنا المُدهشة! ويا للقوّة القادرة على كلّ شيء! ويا للصّلاح الفائق الحدُود، الذي به نحن الخطأة نَستعيد (طبيعة آدم قبل السّقطة)! فمَن يَستطيعُ الوقوف أمام (عَظَمة) مجده؟ إنهُ يُنهِض المُخالِف والمُجدِّف. يُنقذُ الذّهن المُشتَّت الفَاقد الإدراك (و يَشفي) الحواسّ المُبعثَرة (المُشتَّتة) في كلّ مكان ويَجعلُها ناطقةً (بالإلهيّات) و قادرةً على التَّفكير (فيها) 512. إنّ الخاطئ لا يَستطيع أن يُدرِك نعمة قيامته. فأينَ هي جهنَّم القادرة على أن تُحزنَنا؟ و أين العذاب الذي سيُخيفُنا بطرق مُتنوِّعة، وكيف يتغلَّب (الحُزن والعذاب) على بهجة محبَّته (للخطأة)؟ 513 وماذا تكون جهنم إزاء نِعمة قيامته، عندما يُنهضُنا من الجحيم بمجدٍ و يجعلُ هذا الجسد الفاني مُنزَّهاً عن الفَناء؟514 هلمّوا و انظروا بإعجابٍ يا ذوي التَّمييز. مَن يملكُ منكُم عقلاً حَكيماً ومُدهشاً فليتعجَّب من نِعمة خالقِنا (ورحمته اللامُتناهية) كما يَليق. المسيح سيُكافئ الخطأة التّائبين بالقيامة بَدل الثّواب العادل. و الأجسادُ التي داسَت ناموسَه سيُلبسُها كمالَ مَجد عَدم الفساد. هذه هي النِّعمة التي سَتُنهضُنا من الخطيئة، والتي تَفوقُ نعمةَ إخراجنا من العَدَم إلى الوجود. فالمجد لِنِعَمِكَ التي لا تُقاس يارب، يا مَن تُحبُّ حياتَنا وتقودُنا إلى معرفة مجدكَ . آمين.

= المقالة الثّانية و الستُّون=

1. **في الحياة الرّهبانية وعدم الاعتماد على طرُق المَعرفة البشريّة:** عندما يُسلِم المُجاهد ذاتَه بإيمانٍ إلى الله ويَتذوّق حَلاوة مَعونته، لن يَهتمّ بنفسه، بل يَكُمُّ فاه بالصّمت والدهَش 515، ويَتخلّى عن سُلطته (إرادته) الذاتية 516

---

509 لوقا 15 : 20.

510 رومة 5 : 8

511 بهذا يجعل القديس إسحق تشتّت الذّهن وعدم ضبط الحواس من أهم مُسبّبات الابتعاد عن الله و إدراك الإلهيّات والتفكُّر فيها. و يكون " النهوض من الجحيم" باستعادة الحواس والذّهن مما يُشتّتُهما.

512 " إفرحوا معي فقد وجدتُ خروفي الضال" (لوقا 15 : 6 –7)

513 1 كورنتس 15 : 54

مَن سَلكَ في الحياة الرّهبانية وتَبع طريق الإيمان 517، وحَقّقهُ مراراً (بلغ مراراً إلى تحقيق المعرفة الإلهيّة)، وعاد (بعدَها) إلى طُرُق المعرفة البشريّة ليُفكّر من خلالها، فسَوف يَخسر معونة الله التي تَفتقدُه دائماً بصورة خفيّة، وتُقدّم له كلّ ما يحتاجه 518. فيتلاشى إيمانه حالاً ويَفقد قوَّته العقليّة (التي يستمدّها من الله) والتي تَظهر عادةً في النّفس النقيّة من خلال المُساعدات الإلهية المُتنوِّعة، ومن خلال الأعمال (والجهادات) التي تَقوم بها (النَّفس النقيّة) ببساطة ، بعيداً عن الفَحص والاستقصاء.

و إذا ظنَّ أنه يَستطيع أن يَعتني بنفسه بقوّة معرفته (الذاتيّة)، يكون أحمق ، لأنّ الذين أشرقَ فيهم نور الإيمان لن يَتجاسروا على التضرُّع لأجل ذواتهم، سائلين الله وقائلين: " أعطنا كذا وارفع عنّا كذا". بل (لأجل ثقتهم بالله) لا يَهتمون بانفُسهم. لأنّهم يرَون في كلّ ساعة، بعُيون إيمانهم العقليّة، عناية الله الأبويّة التي تُظلّلُهم. فهو الأب الحقيقيّ، و محبّتُه لا تُحَدّ، بل تَفوق كلّ محبّة أبويّة بشريّة، وهو قادرٌ أكثر من الجميع أن يُساعدَنا في ما نطلبُه ونتذكّرُهُ ونفكّر فيه. [فهو بقوَّته، العاملة فينا، يَستطيعُ أن يَبلُغَ بنا ما يَفوقُ كثيراً كلَّ ما نسألُه أو نَتصوَّرُه.] 519

2. **بين المعرفة البشريّة والإيمان:** المعرفة البشريّة مُعاكسة للإيمان 520، لأنّ الإيمان يُبطِل قوانين المَعرفة (البشرية لا الرّوحية). المعرفة (البشريّة) لا تَقوى على فعل أي شيء تَرغبهُ من دون فَحصه وبَحثه والتأكد من إمكانيَّة حصُوله.

---

514 بالصمت و الدَّهَش: مما يراه من أعمال الله الخفيّة في حياته.

515 يتخلّى عن سُلطته الذاتيّة: ليُسلِم ذاته بالطاعة لرئيسه والخُضوع لنظام الرهبنة وقوانينها؛ وأيضاً: ليلتمس مشيئة الله بالطاعة لوصاياه.

516 هو مرض الكبرياء والأنانيّة وعدم الرحمة وقَسوة القلب.

517 الحزن يعني تحرُّق القلب، الذي يتحوّل إلى عبادة مَقبولة لدى الله .

518 حُزن القلب لأجل التقصير في عمل الفضيلة، أو للغيرة في عمَل المَزيد منها، هي نعمةٌ يجب على الراهب الحفاظ عليها. وهو يخسرُها تدريجاً إذا أطلق العنان لحواسه، لأنّ تلك الغيرة تُضعِفُها الحواس تَدريجاً. والابن الوحيد هنا هو فِعلُ النِّعمة في النَّفس.

519 يُظهر القديس إسحق هنا محدوديّة المعرفة البشريّة، في مُقابل الإيمان ومَفاعيله اللامَحدودة، والتي تَخترق كلّ أما الإيمان فهو قوّةٌ، إذا دَنا منها أحدٌ باعوجاج، رفضتهُ بالكليّة.

المعرفة البشريّة لا تُدرَك إلا بالفحص و الطُرُق الجَدليّة، ومنها يَنشأ التردُّد أمام الحقيقة أما الإيمان فلا يَطلُب أكثر من عقل طاهر بسيط بعيد عن كلّ غِشّ، وعن كلّ بحث جَدَليّ (في المُسبّبات والنّتائج). بَيت الإيمان يُبنى بفكر الأطفال، وبقَلب بسيط: " مجّدوا الله بقلب بسيط" 521. " إن كُنتم لا تَتغيَّرون وتَصيرون مثل الأطفال، فلن تدخُلوا ملكوت السّموات" 522.

المعرفة البشريّة سورٌ للطبيعة يحفظُها في كافة طرُقِها.523 أما الإيمان فيسلك طريقاً يَفوق الطبيعة. المعرفة تُبعِد كلّ ما يؤذي الطبيعة، أما الإيمان فيَسمح (لما يُسبّب الأذى) بالاقتراب، وهو يقول: " تطأُ الأسد و الأفعى، تدوسُ الشّبل والتّنّين" 524.

المعرفة البشريّة تَمنع طُلابها من الدنوّ من كلّ ما هو غريب عن الطبيعة. أما قوّة الإيمان، فماذا تفعل، وماذا تَبتغي لُريديها؟ " بالإيمان تُخرجونَ الشّياطين باسمى وتَحملون الحيّات، و إن شربتُم السّم فلا يضرّكم"525. المعرفة تَنصح السّائرين في طريقها، وحسبَ شريعتها، بأن يَعتبروا نتيجة كلّ عمَل قبلَ أن يُباشروا بهِ، لئلا يَتعَبوا باطلاً إذا عجزوا

حاجز بشريّ، وتَتجاوَز المُستَحيل، إن لناحية القوّة أو العِلم، أو اجتراح الآيات و المُعجزات وغاية القدّيس إسحق من هذا الشَّرح المُسهَب أن يَحثّ الراهب على الثَّبات في الايمان، والتماس مَفاعيله الباهرة، لأنّ المعرفة البشريّة ليست بشيء إذا ما قِيسَت بالإيمان و ما يَتأتّى عَنه من مَعرفة رُوحيّة. وعلى كلّ حال، فهذا لا يَعني مُطلقاً أن يكون الراهب أميّاً، لأنّ كثيراً من القدّيسين كانوا على دَرَجة عالية من الثقافة، لكنّ الأوليّة هي دائماً للحياة الروحيّة.

وفي هذا المقطع الرائع، يردّ القديس إسحق سَلفاً على الآراء الفاسدة التي ظَهرت في " عصر الأنوار" والقائلة إنّ خلاص البشريّة يكمُن في تطوُّر العِلم والمعرفة العقليّة، و ليس في الإيمان. ورداً على هذه المقولات، أصدر البابا يوحنّا بولس الثاني رسالته الجامعة " في الإيمان والعقل" ، روما، 1998/9/14.

---

520 كولوسي 3 : 22.

521 متى 18 : 3

522 المعرفة البشريَّة، كالطبّ والهندسة، تَصون الطَّبيعة البشريّة.

523 مزمور 90 : 13

524 مرقس 16 : 17– 18

عن بُلوغ نهايته بقوَّتهم البشريّة. أما الإيمان فيقول: " كلُّ شيءٍ مُستطاع للمؤمن" . " فلا شيء مُستحيلٌ عند الله"526

المعرفة البشريّة تَبحث عن وسائل لصيانة طالبيها، أما الإيمان فيقول: " إن لم يبنِ الربّ البيت ويحفظ المدينة فباطلاً يسهر الحارس ويَتعب البنّاء" 527. مَن يُصلّي بإيمان لا يحتاج إلى وسائل. أما المَعرفة فيُرافقُها الخوف، كما قال الكتاب: " خافَ فأخذَ يَغرَق". والخوف يَليه الشكّ، 528 والشكّ يَليه التّمحيص و طرُق الحكمة البشريّة529.

هكذا طرُقُ بَحث المَعرفة (البشريّة) يُلازمها الخوف و الشّكَ بصُورة دائمة، لكنّ الإيمان يقول: " مَن اتَّقى الربّ فطوبى لنفسه" 530. " لأنّ الروح الذي نلتُموه لا يَستعبدُكُم ويردُّكم إلى الخوف، بل يجعلُكم أبناء الله" 531.

المعرفة البشريّة يَتبعُها خوف (لأنها تستند إلى قوانين الطَّبيعة المُتغيّرة)، أما الإيمان، فيتبعُه رجاء. وبمقدار ما يَسلُك الإنسان في سبُل المعرفة يُقيِّدُه الخوف، فلا يستطيع التحرُّر منه. أما السّالك في الإيمان فيصيرُ حُرّاً وذا سيادة، يَتصرّف بسُلطة، كابن لله. إنّ الذي يعيش هذا الإيمان يتصرّف بطبائع الخليقة كلها كإله، لأنّ للإيمان سُلطةَ إبداعِ خليقةٍ جديدة كما يفعلُ الله. وقد قيل: " أردتَ فصارَ الكلُّ أمامَك" 532 . ومِراراً يُبدع الإيمانُ الكلَّ من العَدَم. أما المعرفة فلا تَستطيعُ فِعل شيء من دون مادّة أو من دون (شيء) موجود.

طبيعة الماء لا تَدَعُ الإنسان يمشي فوقَها، والنّار تحرق كلّ من يقترب منها، والمعرفة تُبعدُنا عنها حتى لا نتعرّض للخطر. فالمعرفة تتحفّظ من (مثل) هذه الأوضاع ولا تجرؤ على تَعدّي حدودها. أما الإيمان فيتعدّاها بسُلطة ويقول: " إذا اجتزتَ في المياه فإنّي معك، أو في الأنهار فلا تغمُرُكَ، و إذا سلكتَ في النار فلا تُلذَعُ ولا يَلفحُكَ اللهيب" 533.

هذه الأعمال اجترحَها الإيمان مِراراً أمام الخَليقة بأسرِها، و لو أُفسِحَ في المجال للمَعرفة أن تَختبرها لما أمكنها ذلك، كثيرون جداً اجتازوا اللهيبَ بإيمان وقَيَّدوا قوّة النار المُحرِقة وعَبَروا في وَسَطها من دون أن يُصيبَهم أذى و مَشَوا على البَحر كما على اليابسة.534

أرأيت كيف أنّ المعرفة (البشرية) تُحافظ على حُدود الطّبيعة، و أنّ الإيمان يتجاوزُها ليشقّ طُرُق السَّفر (مُخترقاً و مُتجاوزاً حُدود الطبيعة)؟ طُرق المعرفة حَكَمت العالم خَمسة الآف سنة، بقي الإنسان خلالها غير قادر على رفع رأسه عن الأرض. لكن عندما أشرق إيمانُنا مُجدَّداً حُرِّرنا من ظُلمة العمَل الأرضي (لأجل اكتساب المعرفة)، ومن عُبوديّة التشتّت الباطل (الناجم عن البحث والتقصي) . لكنَّنا بالرغم من غُثُورنا على البحر الساكن والكنز الذي لا يَنفد، لا نزال نفتّش عن الينابيع الذَّليلة الوَضيعة. مهما اغتنَت المَعرفة تَبقى فقيرةً، أما كُنوز الإيمان فلا تَسَعُها أرضٌ ولا سماء.

525 متى 19 : 22؛ لوقا 1: 37

526 مزمور 126 : 1 –2

مَن ارتكز قلبُه على رجاء الإيمان لا يحتاج لشيء. و إذا لم يكن يمتلك شيئاً، فالإيمان ينال كلّ شيء :" كلّ شيء تطلُبونه بإيمانٍ تنالونه" ." الربّ قريب فلا تَقلقوا ولا تكونوا في هَمّ أبداً"535.

لقد برهنّا أنّ المعرفة لا تَقدر أن تُحقّق كلّ شيء في أيّ وقت. فكثيراً ما تَتراكم في النَّفس أُمورٌ صَعبة وعِلَلٌ كثيرة مليئة بالأخطار، فيَستحيل على المَعرفة وطرُق الحِكمة (البشريَّة) أن تُساعدَها في شيء. أما الإيمان فهو قادرٌ على أن يَقهَر كلّ الأمور الصّعبة التي تَتجاوز حُدود المعرفة البشريّة، و التي لا تَقدرُ قوّةٌ أُخرى أن تَدنو منها. فهل يُمكن للمعرفة البشريّة أن تُساعد في الحُروب الظَّاهرة أو في الحرب ضدّ الطّبائع اللامنظورة، و القوّات اللامُتجسمّة وغيرها536؟ [فالتِماس المَعرفة العَماليّة يُلهي الرَّاهب عن التِماس الفَضيلة.] أرأيتَ ضعفَ قوّة المَعرفة وعظَمة قوّة الإيمان؟ يا للغِنى الذي لا يوصَف ! يا للبحر الزّاخر بالأمواج والمُشتمل على الكُنوز العَجيبة الفائضة من قوّة الإيمان! أيها الإيمان، كم أنَّ السَّيرَ معك غنيٌّ بالشجاعة و المَسرَّة والرّجاء! وكم هي خَفيفةٌ أحمالُكَ، وما أحلى (و أثمنَ) عمَلَكَ (في النَّفس)!

3. **في أنّ محبة الله ثمرة الصّلاة**: المحبّة (محبّة الله) ثمرة الصّلاة. (فالصّلاة) تُولّد في الذّهن، بطريقة لا تَنضب، تَشوّقاً للمحبّة (تجعل الذّهن يتشوّق لأن يُحبّ الله)، شريطة أن يَصبر الإنسان (مُثابراً على الصّلاة) من دون ضَجَر، مُصلياً في ذِهنه فقط، وهاذّاً (ذاكِراً الله على الدَّوام) بصَمت. [ذِكرُ الله يُولِّد حَلاوةً، فمَحبةً لله]
4. **في أنّ الصلاة هي نكرانٌ للذَّات**: الصّلاة هي مَوتٌ لأفكار مَشيئة حياة الجسد. (المُصلّي لا يُفكِّر بتَتميم مَشيئته الذاتيّة في ما يَتعلق بحياة الجسد). مَن يُصلي بالحقيقة يُساوي مَن مات فيه العالم (فلا يَكترث لشؤونه). فالصّلاة هي نُكرانٌ للذات، ثمرتُه محبّة الله. ونكرانُ الذَّات هو أن يَصمُدَ الإنسان مُثابراً على الصّلاة. [المُصلّي يَتخلى عن أفكاره الذاتيّة وتَصرّفاته الدنيويَّة ولا يَطلب مشيئته في الصلاة بل مشيئة الله؛ ولا يَلتمس الأمور العالميَّة، بل الأمور التي من العُلى]

528كما حصل لبطرس، خاف فبدأ يغرق، فقال له الربّ :" يا قليل الإيمان لماذا شككت"؟ (متى 14 : 30 –31). أما الإيمان فيَغلب قوانين الطّبيعة.

529الحكمة البشريّة عُرضةٌ للتغيّر والزوال. فحكمةُ الفلاسفة الأقدمين حكَمَها الزوال، وهي تختلف عن حكمة فَلاسفة عَصرنا، التي سوف تَزول يَوماً، أيضاً. أما الحكمة الإلهيّة العُلويّة، فهي للأبد.

530 سيراخ 34 : 16

531 رومة 8 : 15

532 أيّوب 23 : 13.

5. **الأفكار الإلهيّة هي مَصدر حالة النّعمة التي يَبلغُها الذّهن**: النّعمة الإلهيّة تؤهّلُك لعدَم الهوى النفسيّ، فتكفّ الأفكار القبيحة عن التسرّب إلى ذهنك. لكن ليس السبّب في ذلك عَدَم تَسرُّب الأفكار القَبيحة إليك، أو عَدَم تحرُّك الأفكار الجسدية فيك، لأنه يَستحيل أن يكون أحدٌ منزَّهاً عنها؛ أو لأنك تَستطيع أن تتغلب بسهولة على الأفكار التي تُراودك، لأن ذهنك بلغَ حالةً سامية، لا يضطَّرب معها ولا يتدنَّس. السبب في حُصُولك على النّعمة وبُلوغك عدم الهوى، عائدٌ إلى انشغال قلبك بالأفكار الإلهيّة التي تَجعلُ ذهنَكَ يُحارِب ضدّ (الأفكار القَبيحة) ويَقضي عليها. لأنه عندما يَتسرّب إلى الذّهن فكرٌ (غريبٌ) ما، يُختَطَف (الفكر الغريب) اختطافاً (فيُطرَد) بفعل الأفكار الإلهيّة التي في الذّهن، و بفعل النّعمة الإلهيّة والسّيرة الشريفة اللتَين تترُكان خميرةً روحيّة في القلب 537.

= المقالة الحادية والسبعون=

1. **يكونُ في السّماء فرحٌ بخاطئ يتوب**: كما ترتسمُ البَشاشة على وجه الملك عندما يَحمل إليه أحدُهم هديّةً، كذلكَ الإله العظيم ملك الدّهور يَفرح ويَغفر لمن يُصلّي بدُموع (تائباً ونائحاً على) خطاياه، فيمنحُه (الله) وَجهاً ساطعاً بالنّعمة.538
2. **مَن يَشرب من خمر الحبّ الإلهيّ**: كما أنّ الذي يَشرب خمراً يوم الحِداد يَسكر فينسى أحزانَه، كذلك مَن يَسكر بحبّ الله في هذا العالم، مكان النَّوح 539، يَنسى أوجاعه، ولا يُحسّ بآلآم الخطيئة. مَن ثَبَتَ قلبُه في الرجاء بالله

533إشعيا 43 : 2

534عبرانيّين 11: 33 –38. هذه الأمثلة الكثيرة التي يُعطيها القدّيس إسحق تُثبتُ أنّه بإمكان الإيمان أن يَغلب نِظام الطّبيعة ويَخلق الأشياء من العَدَم.

535متى 21 : 22؛ فيلبّي 4 : 5–6

536هُنا سببٌ آخر، جَوهريّ، يَجعلُ الإيمانَ أسمى من المَعرفة العالميَّة. فالمَعرفة لا تُفيد في الحرب الروحيّة واكتساب الفضائل، بل تملأُ صَاحَبها كِبَراً. 1 كورنتس 8: 1

537على الراهب أن لا يطمئنّ إذا كَفَّت عنه الأفكار القبيحة، فليس سببُ ذلك سوى انشغال ذهنه بالأفكار والحَقائق الإلهيّة. ولكي يَحفظَ نَفسَه في هذه النِّعمة عليه أن يُثابر على التأمُّل في الإلهيّات. أنظر المقالة 81، الفقرة7.

538في مثَل الفريسيّ والعشّار، وقف العشار عن بُعد ولم يشأ أن يرفع عينيه إلى السماء، بل كان يقرع صدره و يقول :" اللهمّ ارحمني أنا الخاطئ". فنزل إلى بيته مُبرَّراً" و نال نعمةَ الله بتوبته. لوقا 18 : 13 –14.

(ذاكراً وُعود الله بالخيرات الأبديّة)، تكونُ نفسهُ مثل عُصفور خَفيف، ويتَسامى ذِهنهُ فَيَتَرفّع عن الأمور البشريّة بالهذيذ (بذكر الله الدّائم) ويتَنعّم بمواهب العَليّ الأزليّة. 540

= المقالة الثّانية والسبعون=

1. **في التّوبة**: نِعمة أُعطَيت لنا بعد نِعمة المَعموديّة. (المَعمودية نِعمةٌ تَمحو الخطايا وتُجدِّدُنا بالروح القُدس، وكَذا التَّوبة). التَّوبة هي تَجديدٌ ثانٍ يمنحُهُ الله لنا؛ بالمَعموديَّة نلنا العُربون (عُربون نِعمة الروح القُدس)، وبالتّوبة نحصل على الهبة (نِعمة الخلاص). التّوبة هي باب الرّحمة المُشرَّع أمام الرّاغبين في الدّخول إلى الأخدار العُلويّة. فلنعبُره حتى نجد الرّحمة الإلهية كما قال الكتاب: " كُلُّهم خطِئوا لكنّ الله برَّرهم مجاناً بنعمته" 541 التّوبة هي النّعمة الثّانية المُتولّدة بالإيمان والخوف (أي مَخافة الله). الخَوف هو العَصا الأبويّة التي تَستمرّ في تأديبنا، ولا تَتركُنا قَبلَ وصُولنا إلى فِردَوس الخيرات الروحيّ. 542
2. **في أنّ المحبّة هي الفردَوس**: الفردَوس هو محبّة الله الممتلئة بنَعيم كلّ غِبطة، التي تَغذَّى بها بولس بولس المغبوط بحال تفوق الطّبيعة. فهو بعد أن ذَاقَ عُود الحياة الموجود هناك (في الفردوس) صرخ قائلاً:" ما رأت عَينٌ ولا سمِعَت أذن، ولا خطرَ على قلب بشر، ما أعدَّهُ الله للذين يُحبّونهُ" 543. لكنَّ مَشورةَ الشّيطان مَنعت آدم عن عود الحياة، الذي هو محبّة الله،544 فسقطَ وخَسر الفرح، وأخذ يَعمل ويَشقى في أرض الأشواك. إنّ الذين حُرِموا من محبّة الله، و إن كانوا لا يَزالون سائرين باستقامة، لن يَتوقَّفوا عن أكل خُبزهم بعَرَق أعمالهم، كما أمرَ اللهُ الجدَّ الأول بعد السُّقوط545

539 هذا العالم هو مكان المشقّة والنّوح على الخطايا، وعلى حالتنا الإنسانيّة السّاقطة

540 يقول القدّيس إسحق إنّ العِلاج لآلام هذا الدّهر هو الرَّجاء بالله وبالخيرات الأبديّة، والجهاد لأجل التَّوبة وتَثبيت القلب في ذِكر الله الدّائم. بهذا يَتسامى الذِّهن وَيَتَرفّع عن الأمور الدنيويَّة و يَتنعّم بالمواهب الأزليّة

541 عَبرانيين 4: 16؛ رومة 3: 23 –24.

542 عبرانيين 12 : 4 –13. الصورة في هذه الجملة هي صورة الرَّاعي الإلهيّ الذي بعصاه يؤدِّب خِرافَه ويَسوقُها إلى الفِردَوس.

543 1 كورنتس 2: 9 يقول القديس إسحق إنّ بولس الرسول عندما اختُطف إلى السماء عاينَ المسيح " عُودَ الحياة" وتَذوَّقَ حَلاوتَه.

544 مَعصية آدم و حوّاء كانت ابتعادنا عن محبّة الله لنا، وضعف محبّتنا لله.

545 تكوين 3 : 17 –18 يقول القدّيس إسحق إنّ الإنسان، ما لم يقتَنِ المحبَّة، تَبقى حياتُه الروحيَّة في مَشقّة

3. **في أنّ المحبّة تُخرِجُنا حَقل أشواك هذا العالم:** سوف نَستمرّ عامِلين في أرض الأشواك إلى أن نجد (نَقتني) المحبّة 546 (التي هي الفردوس، والمسيح نفسه). (نحن) نُلقي البذار و نحصدهُ من بين الأشواك، حتى ولو أصبحَ بذارُنا بذارَ برِّ. و ستظلُّ الأشواك تُحزنُنا مهما تبرّرنا، و بَعرق جَبيننا سوف نَعيش. أما عندما نجد المحبة 547 فإننا سَنغتَذي بالخُبز السّماوي، مُتشدِّدينَ به من دون تَعَب. الخُبز السّماوي هو الميح غِذاء الملائكة النّازل من السّماء، و الواهب الحياة للعالَم 548

4. **في أنّ المحبَّة هي غِذاء عدَم الموت**: مَن يجد المحبّة يَتغذّى بالمسيح كلَّ يوم وكلَّ ساعة، وبهِ يُصبحُ عَديم الموت:" مَن أكلَ هذا الخُبز ، الذي أُعطيه أنا، يحيا إلى الأبد" 549. فطوبى لمن يأكل خُبز المحبّة الذي هو يسوع. من يأكُل من المحبّة يأكُل المسيح إله الكلّ، كما شَهِد يوحنا، فقال:" الله محبّة" 550. مَن يحيا في المحبّة يَجتني ثَمَر هذه الحياة من الله، و يَتنشّق هواء القيامة وهو بعدُ في العالَم. بهذا الهواء عينِه يتمتّع الأبرار في يوم القيامة.

5. **في أنّ المحبّة هي غِذاء القدّيسين:** المحبّة هي الملكوت الذي وعدَ به الربّ رُسُلَه سرّياً، أن يأكلو فيه (في الملكوت)، لأنّ الطّعام والشّراب إلى مائدة ملكوته ليسا إلا المحبّة. فالمحبّة تُغذّي الإنسان أكثر من الطعام و الشراب، وهي الخمرة التي تُفرّح قلب الإنسان 551. فطوبى لمن يشرب من هذه الخمرة. منها شَرِبَ الخُلعاء فتوَرَّعوا (أصبحوا وَرعين)، و الخطأة فنسَوا الطُرق المُعوَجّة، والسُكارى فأصبحوا صوَّامين، والأغنياء فاشتهَوا الفَقر، 552 والمساكين فاغتنَوا بالرجاء، و المرضى فأصبحوا مُعافَين، 553 والجهَلة فأصبحوا حُكماء.554

---

546 أرض الأشواك هي الأرض بعد سقطة آدم، أي أرض الأهواء و الشهوات، بحسب قول الله لآدم:" شَوكاً و حَسكاً تُنبتُ (الأرضُ) لك" أما المحبّة هُنا فهي الفردوس (تكوين 3 : 17 –18)، واقتناء المحبّة يوفِّر على المُجاهد كثيراً من أتعاب الجهاد، للتحرّر من الأهواء والشهوات، لأنّ المحبّة هي المَلكوت، وهي المسيح نفسُه.

547 عندما نجد المحبّة: عندما نعود إلى محبّتنا لله بكلّ قوّتنا. و بناء على هذا، فالوصيّتان العُظميان: أحبب الربّ إلهك، و أحبب قريبك، غايتهما إعادتُنا إلى حالتنا الأولى قبل السقطة واستعادتنا الفردوس.

548 يوحنّا 6: 48 –51.

549 يوحنا 6 : 58

550 1 يوحنا 4 : 8

551 مزمور 103: 15؛ متى 26 : 29 ؛ لوقا 22: 30.

6. **في أنّ مخافة الله و التوبة هما السبيل لاقتناء المحبّة:** كما يَستحيل عُبور بحرٍ كَبير من دون سَفينة، كذلك يَستحيل العُبور إلى مُحيط المحبّة من دون الخوف (مخافة اللّه، والخوف من مَعصيته). لا يُمكننا أن نعبُر بحر الحياة الذي يَتوسّط بيننا و بين الفردوس العقليّ إلا بقارب التّوبة ومَجاذيف الخوف. وعندما نَصِل (إلى الفردوس العقليّ، الذي هو المحبّة) نكون قد بلغنا إلى اللّه.

= المقالة الثّالثة والسبعون=

1. **في الشُّكرِ و التَّذمّر و التَّواضُع والكِبرياء:** كلُّ فِكرٍ صالحٍ يحلُّ في القلب هو من النّعمة الإلهية، و كلُّ فِكرٍ رديء يَدنو من النّفس هو (من أهواء العالم و رغبات الجسد وهجَمات الشياطين)، تكون بُغيتهُ التّجربة والامتحان. [ومن اقتَنى النِّعمة الإلهيّة أبعَدَ عنه الأفكار الرديئة.555] ما يَجعل مَواهب اللّه تَتدَفَّق على الإنسان هو القَلب (المُتواضع) المُتحرِّك بالشُّكرِ بلا انقطاع. أما ما يُسلّط التّجربة على النّفس فهو رُوح التذمُّر المُتحرِّك في القلب بصُورة دائمة (و الذي سببُه الكبرياء). اللّه يَحتمل كلّ ضُعفات الناس لكنهُ لا يَحتمل الذي يَتذمَّر باستمرار ، بل و يؤدّبُه أيضاً556. الفَم (المُتواضع) الشّكور ينال بركةً، و النّعمة تملأ القلب المُثابر على الشُّكر. فَقبلَ النّعمة التّواضُع، وقبل التَّأديب الكبرياء 557. يَسمحُ اللّه بسقوط المُتكبّر في التَّجديف (يُقصِيه اللّهُ عنه)، والمُتباهي بأعمال الفَضيلة يَسمَح بسقوطه في الفِسق (خطايا الجسد). والمُتباهي بحكمته يَسمح بسقوطه في فِخاخ الجهل و ادلهمامه. 558(المُتكبّر المُتذمّر لا يَرى ضعفه)، ومَن عَرَفَ ضُعفه بلغَ إلى كمال التّواضُع.559

2. **في مُعاملة الإخوة:** مَن يُدافعُ عن مَظلوم يُدافعُ اللّهُ عنه. مَن يَمُدُّ ساعِدَه لمُعاضَدة قريبه يُمنَح ساعدَ اللّه عَضُداً لهُ. مَن يَتذمَّر مِن أخيه بنيَّةٍ سيئة يتذمّرُ اللّهُ منه (أي لا يَرتضيه). مَن يُصلِح (يَنصح) أخاه على انفرادٍ يُصلِحُ اللّه رداءتهُ الخاصَّة.

552 يقو ل القديس إسحق إنّ في المحبّة قوّةً تحمل على التَّوبة.

553 يقول القديس إسحق إنّ للمحبّة قوّةً شفائيَّة.

554 يقول القديس إسحق إنّ المحبّة هي سبيلٌ لاقتناء الحكمة

555 "كلّ عَطيّة صالحة وهبة كاملة تنزل من عَلُ، من عند أبي الأنوار" يعقوب 1 : 17

مَن يُعالجِ أخاهُ سِراً يُظهِرُ الله له قوّة محبّته. مَن يخزي أخاه أمام الآخرين يَكشفُ الله له كثرة حَسَده. مَن يُوبِّخ صديقه في الخفاء (لأجل تأديبه و إصلاحه) هو طبيبٌ حكيم، أما مَن يُداوي (قَريبَه) أمام أَعيُن الكثيرين، فهو مُعَيِّرٌ (خبيث) بالحقيقة، (أي يُعيِّر قريبَه بعيوبه علَناً).

3. **في اللّوم والمُسامحة:** المُسامحة عن كلّ إساءة دليل الشّفقة، أمّا لَوم المُذنب (لأجل دَينونته) فدليلُ الفكر السيءّ. مَن يؤدِّب قريبَه بُغية المنفعة، يؤدِّب بمحبّة. أما من يُطالب بالثّأر (يؤدِّب على سَبيل الثأر) فهو يَخلو من المحبّة.
الله يُؤدِّب بمحبة، لا ليثأر _ حاشا، بل ليُفتِّش عن شِفاء (الإنسان الذي هو) صورته. والعادل الحكيم يُشبهُ الله، لأنه لا يؤدِّب إنساناً ليثأر منه بل ليُصلِحَه أو ليجعلَه عبرةً للآخرين 0فيَستفيدون من كلام التَّأديب). 560
4. **في ذِكريات الرّاهب**: إنّ الشّجرة لا تُفرِغُ أغصاناً جديدة إلا إذا طَرحت عنها أوراقها القديمة، والرّاهب (المُجاهد) لا يأتي بثمار وأغصان جديدة في المسيح يسوع إلا إذا طَرَحَ من قلبه الذّكريات (الباطلة) الأولى. 561.
5. **الصّلاة و الكتاب المقدّس:** لا تَقتَرِب من أسرار الكتاب الإلهيّ من دون أن تُصلّي و تَطلبُ المعونة من الله، قُل: "أعطني ياربّ أن أصِل إلى حِسّ إدراك القُدرة التي فيها"562 اعتبر الصّلاة مفتاحاً لِفَهمِ المعاني الحقيقيّة للكتاب الإلهيّ.563
6. **في الصّلاة بدالّة**: الإنسان المُقيَّد بالجَسديات لا يُصلّي بدالّة أمامَ الله 564 كلَّما تَقدمنا في الجهاد حُبّاً بالله، يَزدادُ قلبُنا دالّةً في الصّلاة. أما إذا تَشتَّتنا و تهاونّا وانجذبنا إلى أمورٍ كثيرة، فنُحرَم مَعونة الله.
7. **في إقتناء المعرفة والمواهب الإلهيّة**: كما يُغذّي الزّيت نور القنديل، كذلك الرأفة تُغذّي المَعرفة (معرفة الإلهيّات) في النّفس. ولا يُعطى المفتاح الذي يَسمح للمواهب الإلهيّة بأن تدخُل إلى القلب إلا بمحبّة القريب 565.

---

556 التذمُّر يعني الكبرياء وعدم قَناعة الراهب بما عنده، وبما هو مُتوفِّر له، و بما هو عليه، و بما هم الآخرون عليه، و بما يُقدِّمونه، وعدم رؤية ضعف الذات و خطيئتها، وعدم الرِّضى عن عطايا الله، وعدم العرفان بالجميل تجاهه،

وعدم الثِّقة به، وعدم التَّسليم لمشيئته، وعدم الرجاء بعطاياه المُستقبلية. فالتذمُّر دليل كبرياء وحَسَد وحقد؛ وقد تَذمَّر الشعب على الله وموسى، فأهلكَهم الملاك المُبيد (1 كورنتس 10 :10).

557 أمثال 16 : 18 . أنظر المقالة 37 ، الفقرة 4.

558 يُرسل الله لكلّ رذيلةٍ تأديباً، كنَقيضٍ لتلك الرَّذيلة، لكي لا يَتباهى أحد أمامَه.

559 مَعرفة الضعف تتطلّب تواضُعاً. ومَن عرف ضعفه حاربَ أهواءه وسار في طريق الكمال الرهبانيّ.

8. **في مَفاعيل ارتقاء القلب نحو الله:** كلّما انفصلَ القلب عن الجسد (الجسديّات)، انفتح أمامه (أمام القلب) باب المعرفة (الإلهيّة).

9. **في حفظ التَّوازن بين ذِكر الله و محبّة القريب**: يا لجمال وروعة محبّة القريب عندما لا تَفصلُنا عن محبّة الله. و ما أحلى الحديث مع الإخوة الرّوحيين عندا نَحفظ إلى جانبه الحديث مع الله. حَسنٌ أن نَهتمّ بمحبّة القريب ونُحادِث الاخوة بقَدَر ما يُسمح لنا (يَسمح به جهادُنا) ، شرط ألا يكون ذلك حجّةً لإهمال العَمَل الدَّاخليّ والحياة الخَفيّة ، أي ذِكر الله الدَّائم. إنّ تَشويش الهذيذ الدَّاخليّ (ذِكر الله الدّائم) ناجم عن الاهتمام الكثير بالقريب. إذ لا يَستطيعُ الذّهن أن يهُدّ بالاثنين معاً.

10. **نُهوض الرّوح أو نُهوض العالَم:** حين يَنهض الإنسان الروحيّ فيك، تموت جميع أمورك (ميولك) الدّنيويّة ويَلتهب في نفسكَ فرحٌ لا مَثيل له، وتُضبَط أفكارُك في داخلك بدافع اللذّة التي في قلبكَ. أما إذا نهضَ العالم فيكَ فعندئذٍ يَزدادُ تَشتّتُ ذهنك. و أعني بالعالم الأهواء التي يَحبل بها (يُسبّبُها) التَّشتّت. وعندما تُولَد هذه الأهواء و تَكمُل، تُصبح خطايا وتَقضي عليك. وكما أنّ الأبناء لا يُولَدون من دون أمّ، فكذلك الأهواء لا تُولَد من دون تَشتُّت الذّهن (الناجم من الاهتمام بالدّنيويّات)، ولا تتمّ (تُقتَرَفُ) خطيئةٌ من دون تجارة الأهواء (مُحاورتُها وقَبولها) (فالأهواء تَزيد من أرباحها على حِساب حياتك الروحيَّة ونَقاوة ذِهنك).

11. **في أنّ حياة الرّوح تَزيد الصّبر**: إنّ ازديادَ صَبر النُفوس هو دليلُ حُصولها على نِعمة التّعزية الخَفيّة. قوّة الصَّبر أقوى من المَعاني المُفرِحة الحالّة في القلب 566.

---

560 متى 7: 1 – 5؛ يعقوب 4 : 11 –12.

561 الذكريات للمتوحِّد مَصدر تجربة، سواء أكانت ذكريات خطيئة أم ذكريات تَعلُّق بأشخاص، أم ذكريات أفراح حياة الراهب السابقة في العالم. والتَّجربة أن يلجأ الراهب إلى هذه الذكريات ويَسترسل فيها على سبيل التَّعزية في الضَّجَر والوحدة التي يشعر بها أحياناً في خلوته. يقول القديس إسحق إنّ هذه الذكريات هي عائقٌ لتقدُّم الراهب.

562 أي فهم و إدراك قوّة وأسرار المعاني الإلهيّة التي في النُصوص الكتابيّة.

563 غاية مُطالعة كلمة الله الاغتذاء الروحيّ، ولذلك تجب الصلاة لكي نَنال نعمة فَهم الكلام الإلهيّ. " إفتح اللهمّ عينيّ لأُبصر مُعجزات شَريعتك." مَزمور 118 : 18.

12. **في أنّ حياة الرّوح تُخمد الحواسّ**: الحياة في الله تُحيي القَلب، فتُخمَد الحواسّ (لا تَعُود التَّجارب تأتي من خلال الحواس). (وبالعكس)، بنُهوض الحواس (و استثارتها) يَموت القلب ويَبتعد عن الله 567

13. **في عمَل الفضيلة:** مَن يَفعل الصّلاح لأجل المُكافأة568 لا يَثبُت في الصّلاح. والفَضيلة التي تُصنَع بدافع من آخرين 569 لا تُنقّي النّفس 570 (لأنها لم تُعمَل بدافع من القلب. وهي) تُحسَب أمامَ الله أُجرَةَ عمَل (أرضيّ، ولا تنالُ مُكافأةً من الله). أما الفَضيلة التي يَعملُها الإنسان من تَلقائه (من دون دافعٍ نَفعيّ) فتُعتَبر كاملةً وتُحقّق كلتا الغايتَين، المكافأة والتَّنقية. فابتعد عن المُكافأة واسعَ وراء التَّنقية (بمُمارستك أعمالاً لا غاية نَفعيّة لها). ومَن استهانَ بالتَّنقية يتسَبَّب في إهمال (يُخاطر بخسارة) المُكافأة، ويَنفَصِل عن الله. أما التَّنقية فتسدّ فراغ (تُغني عن) المُكافأة من دون الحُصول عليها 571

564 أي لا يكون هو وصلاتُه مقبولَين لدى الله. فكلّما ازداد تحرُّرُ الراهب من الجسديّات، كلّما كان أقرب إلى الله، و أكثر قبولاً عنده، واستمعَ الله لصلاته.

565 بهذا يجعل القديس إسحق الرأفة و إسعاف القريب الذي يُمارسُه الراهب المُجاهد باباً لمَعرفة الإلهيّات، و تَشبيه سِراج الزَّيت هُنا له مَغزى كبير: فالزَّيت في الكتاب المقدّس هو علامة الرأفة (لوقا 10 : 34)، و النُّور هو نور المعرفة. ومَن كان له زيت الرحمة، نالَ نورَ المعرفة.

566 التعزية الإلهيّة تُنشىء الصبر، لأنّ المجاهد يُدرك عناية الله به، فيصير؛ والصّبر أكثرُ قُدرَةً من الفَرح في جَعل الإنسان يَحتمل الصُّعوبات.

567 الحواس تعني الجسد ونزَعاته، وقد قال فيها الرسول: " الذين يَحيون بحسب الجسد يَنزعون إلى ما هو للجسد، والذين يحيون بحسب الروح يَنزعون إلى ما هو للروح. فالجسد يَنزع إلى الموت، و أما الروح فينزع إلى الحياة والسلام.

ونُزوع الجسد عداوةٌ للّه، فلا يخضع لشريعة الله، بل لا يَستطيعُ ذلك. والذين يَحيَون في الجسد لا يَستطيعون أن يُرضوا الله" (رومة 8: 5 –8)؛ أنظر أيضاً: غلاطية 5: 17 ؛ 1 بطرس 2 : 11.

568 إما مُكافأة للّه، و إما مُكافأة الآخرين ومديحهم و الظُّهور أمامهم بمظَهر التّقوى.

569 بدافع من الآخرين: لأنّهم يَحثّون الراهب على عمل الفضيلة، أو لأنه يَعمَل الفضيلة بدافع إرضائهم والظّهور أمامهم بمَظهر التَّقوى.

570 العَمل الصادر لأجل غاية نفعيّة ليس نقيّاً، ولذلك يَستحيل أن يُنقّي النَّفس. أما العمَل الذي لا غاية نفعيّة له، فهو عملٌ نقيّ ، و هو لذلك يُنقّي النَّفس.

14. **في الكسَل والبطالة**: الرّاحة والبطالة هلاكٌ للنّفس، وقد يؤذيان أكثر من الشّياطين572. [الكسَل يُودي بالراهب إلى التَّهلكة من دون تدخُّل الشياطين] إذا كان (جسدُك) قوياً وأسلمتَه للرّاحة والبطالة، فكلّ شُرور النَّفس السّاكنة في الجسد ستتفاقَم. و إذا عزَمَ (الكسول البطّال) على عمَل الصّلاح بكلّ إرادته، فالرّاحة والبطالة سوف تَسلبانه شيئاً فشيئاً فِكرة (الرّغبة في) الصَّلاح.

15. **في وجوب الفطنة والاعتدال في الجهاد**: عندما تَضغط على الجسد الضّعيف في العمَل (الجهاد الرّوحيّ) أكثر من طاقته تَزيد على نفسك ظلاماً فوق ظلام، وتجلب لنفسك التّشوُّش 573 لكن متى أصبَحَت النّفس خليلةً لفرح الرّوح، و سَكِرت بفرح رجائها بالله (بفعل تقدُّمها في الجهاد)، يفقد الجسد إحساسه بالشّدائد، مهما كان ضعيفاً. وبالرّغم من أنّ الجَسَد يحمل آنئذٍ عمَلاً مُضاعفاً (أي يحمل الضّعف وتَعَب الجهاد)، فإنّه يتمتّع مع النّفس (بالفرح السّماويّ) ويُشاركُها النّعيم.

16. **في طهارة اللسان**: إذا صُنتَ لسانكَ، يمنحُكَ الله نعمةَ تخشُّعِ القلب لتُشاهد حالة نفسكَ وتَلِج إلى فرح الرّوح، اما إذا تسلّطَ عليكَ لسانُكَ فَثِق أنكَ لن تستطيع التخلُّص من الأدلهمام أبداً 574.

17. **في إكرام الخاطئ لردّه إلى التّوبة**: إذا أردتَ أن تُرشِدَ أحداً إلى الخير (لا تؤنِّبه بل) قَدّم له الرّاحة الجسديّة ثم أكرمهُ بكلام المحبّة. لا شيء يَحُثّ الإنسان على الخَجَل ويَجعلُه يَتراجع عن شَرِّه ويَخطو نَحو الأفضل مثل الخيرات الجسديّة والإكرام الذي يلمسُهُ فيك.

---

571 الأعمال التي لا غاية نَفعيّة لها هي أعمال نقيّة، وتؤدّي إلى تنقية النَّفس، و إن لم تكن لها مُكافأة بالضّرورة. إلاّ أنّ التّنقية الحاصلة بذلك هي المُكافأة الأفضل.

572 الراحة هنا تعني التقاعس عن ذِكر الله الدّائم وعدم اليقظة وإهمال الجهد وضَبط الحواس، وإهمال مُراقبة حرَكات الذّهن والتأمل في الكتب المقدّسة، وهذه الأمور جميعُها تفتح الباب على مِصراعيه لهجمات الأهواء و التّجارب. فالكسَل الروحيّ والراحة الجسديّة المُرافقة له هما هلاكٌ للنَّفس ويؤذيان أكثر من الشياطين. كانت دَينونة العَبد الكسلان طَامر الوزنة قاسية، فدَعاه الربّ " العبد الشرّير الكَسلان الجبان"، و أمرَ بأن تؤخَذَ منه الوَزنة التي معه وبأن " يُطرَح في الظلمة البرانيّة حيثُ البُكاءُ وصريفُ الأسنان" (متى 25 : 26 و 28 و 30). اما العامل الذي كان جالساً بطّالاً في الساحة (متى 20: 3) ، وتابَ عن كسَله وعمِلَ في كَرمِ السيِّد في الساعة الأخيرة، فأكرَمه السيّد كما أكرَمَ عامل الساعة الأولى (متى 20 : 11 – 14). فالكسَل يَستوجب دَينونةً شديدة، والتّوبة عن الكسَل تَستحقُّ المُكافأة والإكرام.

18. **في تعب الجسد:** لا تَحزَن مما يُتعبُ الجسد، لأنّ الله يَرفعُه عنك بالكليّة 575.

19. **في الموت:** لا تَخَف من الموت، لأنّ الله أعَدَّ لكَ مرتبةً أسمى مِنهُ 576

20. **في الأهواء وتعَب الصلاة:** إن لم نَعرَق (نَتعب في جهادنا) هُنا (على الأرض)، فسوف نحصد الشّوك. لأنّ تَركَ الصّلاة يُلصِقُنا بالأرض التي تُنبِتُ لنا شَوكاً بحُكم الطّبيعة577 الأهواء هي أشواكٌ تَنبتُ فينا من البذار(الرغبات) الكامنة في الجسد، لأنه يَستحيل أن تُنبت الأرض غير البُذور المزروعة فيها. وجسدُنا الترابيّ، ابن هذه الطّبيعة، هو حَسب شهادة الربّ" من الأرض التي منها أُخِذ"578. الأرض تُنبتُ أشواكاً والجسد يُنبتُ أهواءً.

نحن بحاجة ماسّة كلّ يوم إلى اقتلاع الأشواك من هذه الأرض حتى تُستَصلَح (وتَتَنقّى)، وثَباتُنا (واستمرارنا) في العَمَل

---

573 على المُجاهد أن يُجاهد بفِطنة، على قَدر طاقة جسده، وقُدرته على الاحتمال، فلا يُحمِّل نفسَه أكثر من طاقتها، فيُقصِّر في جهاده بعد وقت قصير وينال التشوّش والظلمة بدلاً من الاستنارة. من هنا، توجب الحياة الرهبانيّة على المجاهد أن يكون عنده أب روحيّ. أنظر المقالة 55، الفقرة 6.

574 ويقول القدّيس يوحنا السلّمي:" إذا لم تَقتنِ قَلباً نقيّاً، فاقتنِ على الأقل فَماً طاهرّاً. ويقول القديس إسحق إنّ النمَّام يخسر أتعابه ويموت عن الله (المقالة الثّامنة والخمسون، الفقرة، الفقرة13).

575 تَركَ آدم جهاده فالتَصَقَ الأرض التي تُنبت شوكاً (تكوين 3 : 18). سبق القدّيس إسحق فشرح هذه الفكرة بقوله: " متى أصبَحت النّفس خليلةً لفرح الرّوح، و سَكِرَت بفرح رجائها بالله، يفقد الجسد إحساسه بالشدائد" المقالة الثّالثة والسبعون، الفقرة 16.

576 سبق للقديس إسحق القول إنّ الخوف على الجسد، والخوف من الموت، هما علامة ضعف في الحياة الروحيّة، و أنّ الراهب لا يزال في مرتبة المُبتدئين. أما المَرتبة الأرفع من الموت فهي القيامة، الحاضرة في حياة الراهب مُنذ الآن، والتي يَحياها بجهاده المُضني كلَّ يَوم القيامة ودخول الملكوت هي المرتبة التي أعدّها الله للمُجاهدين، ولجميع مُختاريه.

577 يُفسِّر القديس إسحق رواية سقطة آدم بلُغة رهبانيّة. فآدم قبل السَّقطة كان في حال الثاوريا (مُشاهدة الله) وفي حال الفضيلة الكاملة، ومحبّة الله الكاملة، التي هي الفردوس. و بالسقطة صارت الأرض تُنبتُ له شوكاً وحسَكاً، أي أهواء ورغبات تسير به إلى الموت، فيعود إلى الأرض التي أُخِذَ منها (تكوين 3) ولذلك حُكِمَ عليه بالمشقّة، أي بالجهاد والصَّلاة، ليحفظ علاقته بإلهه ويُقاوم الموت ويستعيد الفردوس بالجهاد.

يُضعِف الأشواك، إلا أنه لا يُنقّي الطبيعة منها تماماً. أما التَّغاضي والإهمال والتَّوقّف عن العمل (عمل الصّلاة و التّنقية الذّاتيّة)، فيُكثر الأشواك و يُنمّيها، فتُغطّي الأرض ويَختنِق زَرعُكَ (صلاتك) ويَتلف تَعبُكَ (سهرك)؛ [وقد قال الكتاب: "إحرثوا لكم حَرثاً، ولا تَزرعوا بين الشوك"] 579

21. **في سيرة الذين اختاروا الانفصال عن العالَم**: 580 اختار (المُجاهدون) الانفصال عن العالم بالجسد و الذّهن لِكَي يُثبّتوا فكرَهم في الصَّلاة وَحدها ، و يموتوا عن الزّائلات ورؤيتها وذِكرها. فيجب ألا تَشغلهم الأمور الجسديّة وأعمال البرّ المنظورة (أي عمَل الإحسان المادّي)، بل يَنبغي أن يَهتمّوا "بإماتة أعضائهم التي على الأرض"581 وأن " يُقدِّموا أذهانهم لله ذبيحةً طاهرة لا عَيبَ فيها"582، و أن يَحتملوا بصبرٍ الشَّدائد الجسديّة والأخطار من أجلِ الرَّجاء (بالملكوت) الآتي. إنّ السّيرة الرهبانيّة (سيرة المُجاهدين) تُعادِل سيرة الملائكة، فيجب علينا ألاَّ نُهمِل العمَل (الجهاديّ) السَّماويّ لنتمسَّكَ بالأشياء (الأعمال الخارجيّة) الأرضيّة. 583

22. **واجب الرّاهب (المُجاهد) الاهتمام بأعمال السكينة**: 584 أعجَبُ من الذين يُسبّبون التّشويش لأنفُسهم في سَكينتهم حتى يُريحوا الآخَرين ويؤمّنوا لهم الحاجات الجسديّة. علينا ألا نمزج الاهتمام بعمَل السّكينة بأيّ اهتمام آخر، بل أن نُعطي كلّ عمَل قيمتَه حتى لا تتشوّش سيرتُنا.

المُهتمّ بالكثير (من المشاغل) هو عبدُ الكثير. أما مَن تركَ كلّ شيء ليهتمّ بنفسه (بتَنقيتها) فهو حبيبُ الربّ. كُثُرٌ هم الذين يَفعلون الإحسان ويُتمّمون محبّة القريب، فيؤمِّنون له الحاجات الجسديّة. أما (المُتوحِّدون) عُمّال السّكينة الحسَنة، المُهتمِّين بالله، فهُم نادرون، وبالكاد يوجَدون.

هل استطاع احدٌ من عُمّال (مُحبّي) الإحسان المُهتمّين بتأمين الضَّروريات الجسديّة (للآخَرين) أن يَبلُغَ واحدةً من المواهب التي أُهّلَ لها العائشون في السَّكينة؟ إذا كُنتَ راهباً فعليكَ أن تَمتاز بالأعمال التي يَبرع فيها الرّهبان (أي الصلوات والأصوام والجهاد الروحيّ). أما إذا أردّتَ أن تَتعاطى العَملَين (الجهاد الروحيّ وأعمال الإحسان) فأنتَ فاشلٌ في كِليهما. أعمالُ الرّاهب هي التَّحرُّر من الجَسديات، والصّلوات بتَعبٍ جسديّ، وذِكر الله باستمرار في القلب.

578 تكوين 3 : 19

579 إرميا 4 : 3

580 الكلام في هذه الفقرة موجه خصوصاً إلى الرهبان المتوحّدين.

581 أي إماتة أهوائهم. (كولوسي 35 : 5)

582 يكون تَقديم الذّهن ذبيحةً بإخضاعِه لله بالطّاعة و التطهّر (رومة 12 : 1 –2)

= المقالة الحادية والثّمانون=

1. **في التّوبة والطّهارة والكمال:** نَستطيع إنهاء كلّ طريق (جِهاد) بالتّوبة والطّهارة والكمال 585 التّوبة هي القلب المُنسحق والمُتواضع، و إماتةُ الذّات إرادياً عن الأشياء (الاهتمامات) الدّاخلية والخارجية، و تَركُها (بالتخلّي والتّوبة عنها) والنَّدم عليها والطّهارة هي القلب الذي يَرحَم جميع المخلوقات 586، أما الكمال فهو عُمق التّواضعُ، الذي يُعبَّر عنه بتَرك المنظور وغير المنظور 587.
2. **في مَن هو رحيم القلب:** رَحيم القلب 588 هو الذي يَتَحرَّق (حُباً ورحمةً) من أجل الخَليقة كُلِّها: النّاس والطيور والحيوانات وكلّ مخلوق. هو الذي تَنسكب الدّموع من عَينيه عند تذكُّرها أو مُشاهدتها، ويَنقبض قلبُه ويُشفق عند سماع أو مُشاهدة أي شرّ أو حُزن يُصيب الخليقة، مهما كان صغيراً. لذلك فهو يُقدِّم صلاته في كلّ ساعة مَصحوبةً بالدُّموع من أجل الحيوانات وأعداء الحقيقة، وحتى من أجل الذين يؤذونه، كي يحفَظهم الله و يغفر لهم. إنّ قلبَه يَنبض بالرّحمة فيوزّعُها على الكلّ بلا قياس، كما يفعلُ الله.

583أعما ل الخدمة قد تَشغلُ المتوحّد عن جهاده وتُشتّته. فعليه مُمارسة أعمال الرحمة بتَمييز شديد، وباعتدال. أنظرُ المقالة 59، الفقرة 3، والحاشية 502

584الكلام في هذه الفقرة موجه خصوصاً إلى الرهبان المتوحّدين.

585"مَن أرادَ أن يُقدِّمَ للمسيح جَسداً طاهراً وقلباً نقيّاً فليحرص على التمسّك بالوداعة والاعتدال. ومن دون هاتين الفضيلتَين يذهب تعبُه كلّه سُدى" القديس يوحنّا السلّمي، السلّم إلى الله، المقالة 26 (القسم الثاني): 141.

586ترتبط الطَّهارة بوجود الرحمة في القلب. فالقلب المدنَّس بالخطايا تَضعُف فيه القُدرة على الرحمة، بحسب قول ربِّنا :" لكثرة الإثم تَبرد المحبّة" (متى 12 : 24).

587عدم الاهتمام بالدّنيويّات (المنظورة) وغير المنظورة (مَشقّات النفس وآلام الجسد). و إنّ عَدَم الاهتمام بالمقتنيات والدّنيويّات هو دليلُ تواضُع. أنظر المقالة 21، الفقرة3.

588يقول القديس إسحق في الفقرة السابقة إنّ رحيم القلب هو مَن بَلَغَ، أولاً، الطهارة. وسبب ذلك أن الخطيئة تُقسي القلب. (متى 12 : 24)

3. **ما هي الصّلاة:** الصّلاة هي إفراغُ الذّهن من كلّ ما هو دُنيويّ ووعَودة (ارتداد) مُشاهدة القلب إلى شوق رجاء الخيرات الآتية 589 ومَن لا يَملك الصّلاة فهو كمن يَغرس في حقلهِ بذوراً مُختلطَة الأنواع، أو كالذي يكدِنُ الثّور والحمار معاً 590 (وهُما لا يَتوافقان، فتبقى أرضُه بلا حراثة، ولا يأتي بثمَر).
4. **في اقتناء التّواضُع591:** يَقتني الرّاهب المُتوحِّد التّواضُع بتذكُّر خطاياه على الدّوام، وترقُّب (والذِكر الدّائم) للموت، وارتداء اللّباس الحقير (غير الباذخ)، واختيار المكان الأخير 592، و الإسراع إلى الأعمال الوَضيعة، والبُعد عن العصيان على رؤسائه، ومُلازَمة الصّمت، وعدم حُبّ الذّهاب إلى الاجتماعات، وقبوله أن يكون مجهولاً ومن دون اعتبار، وعدم اقتناء شيء خاصّ، ومَقت التحدُّث مع الجماهير، ودم محبّة الكَسب (الماديّ)، و أيضاً بأن يُقصي عن ذهنه كلّ تذمُّر وتَعيير وحسَد، و أن يَرفع يدهُ عن الجميع (لا يكون له سُلطة على أحد)، وأن يَقبل أن تكون يد الجميع عليه (يُطيع ويَعتبر نفسَه أدنى الجميع)، و أن يَهتمّ بشؤونه وحدَها (أن يهتمَ بإصلاح نَفسه)، وألاّ يُفكّر بشيء دُنيويّ. الغُربة والفَقر وحياة الوحدة تُولّد في (المُجاهد) التَّواضُع وتَنقية القلب 593.
5. **في أنّ اكتمال المحبّة هو دليل بُلوغ الكمال:** [اكتمال المحبّة هو] دليل بلوغ الكمال 594. فالكاملون إذا أسلموا ذواتهم للحَرق عشرات المرات يومياً حُبّاً بالناس فلا يَكتفون. قال مُوسى (للّه):" إذا شئتَ أن تَغفرَ (لشعبك) فاغفر، وإلا فامْحنى من كتابكَ" 595 (أي أنّ موسى كان على استعداد لأن يبذل نفسه في سبيل شعبه). وقال بولس المَغبوط:" أُصلّي أن

أكونَ مَحروماً ومُنفصلاً عن المسيح من أجل اخوتي" 596، وأيضاً: " أفرحُ بالآلام التي أُعانيها من أجلكم" 597. أما الرُسل

---

589 يقول القديس إسحق إنّ قوام الصَّلاة: ارتداد الذّهن من التشتّت؛ وطهارة الذّهن؛ وحرارة القلب؛ والشوق إلى الخيرات الآتية، أي البركات والإنعامات الآتيَّة في هذه الحياة وخيرات المَلكوت في الحياة الآتية؛ ومُخاطبة القلب والذهن لله من دون انقسام أو تشتُّت. وبتعبير القديس إسحق، هذه هي " الصّلاة النقيّة". ومَن هو في تشتّت دائم ولا يملك هذه الصلاة، لا حياة روحيّة لديه، بل هو عَقيم، ولا يأتي بثَمَر.

590 تثنية 22 : 10.

591 الكلام في هذه الفقرة موجَّه بخاصةٍ إلى الرهبان المُتوحِّدين.

592 عملاً بقول الربّ: " إذا دُعيتَ فاجلس في المقعد الأخير". (لوقا 14 : 8).

593 بحسب القديس إسحق، التَّواضُع هو أساسُ الفضَائل ومَجموعُها وقمّتُها.

الآخَرون فتَقبّلوا الموت المُتعدّد الوجوه، مَدفوعين بشَوقهم إلى خلاص النّاس.

الربّ الإله أسلمَ ابنَه الوحيد للموت حُباً بالخليقة. " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد" 598. هذا لا يعني أنه لم يكُن قادراً على تخليصنا بطريقة أُخرى، إنما فعل ذلك ليُعلّمنا محبّته الفائقة. وبموت وحيده قرَّبَنا منه، ولو كان لديه أثمن من وحيده لقدَّمه لنا حتى يَرفَعَ ذريَّتنا إليه. محبتُه التي لا تُحَدّ جعَلته لا يَضغط على حُريَّتنا 599. المسيح أطاعَ اباه، وكما يقول الكتاب، قبلَ الحُزن والإهانة بفرح، واستبدَلَ السُّرور الأبديّ بتَحَمُّلَ الصّليب" 600 لذلك قال في الليلة التي أُسلِم فيها: " هذا هو جسدي المُعطى لأجل حياة العالم. وهذا هو دمي المُهراق من أجل مغفرة الخطايا". وقال أيضاً: "أقدِّسُ نَفسي من أجلهم" 601.

هذا الكَمال يبلغهُ القدّيسون عندما يتَّحدون بالله وتَفيضُ محبَّتُهم على الجميع وهي المحبّة التي يُجاهد في سبيلها القدّيسون، مُتشبّهين بالله، ليُحقّقوا بها محبّة القريب. وهذا ما فَعَلهُ آباؤنا المتوحِّدون الذين بلغوا الكمال والتشبّه بالله، فاقتنوا في ذواتهم ملء محبّة المسيح.

594سبق للقديس إسحق القول إنّ قوام الكمال هو الطهارة والمحبّة. وفي هذه الفقرة يُضيف إلى المحبّة الاستعداد لبَذل الذّات في سبيل محبّة الإخوة. واكتمال المحبّة يَعني تَجرُّد المحبّة، التي لا حُدود لها، من كلّ غاية نفعيَّة، و التي تذهب إلى حدّ بَذل الذّات كما فعل الربّ الذي أحبَّ خاصّته الذين في العالم، أحبَّهم إلى الغاية." (يوحنا 13 : 1)

595اختارَ مُوسى أن يُسلَم إلى الموت لأجل شعبه. (خروج 32 : 32).

596رومة 9 : 3

597كولوسي 1 : 24

598يوحنا 3 : 16

599بالرغم من محبّة الله الفائقة لنا، فهو يحترم حريّتَنا ولا يُرغمُنا قسراً على محبّته وطاعته.

600عبرانيين 12 : 2

601متى 26 : 28؛ الكلام في سياق النصّ هو على بَذل الذّات حبّاً بالآخرين واستشهاد القدّيس إسحق، هُنا، بقول الربّ "أُقدِّسُ ذاتي من أجلهم" (يوحنا 17: 19)، يَجعلُ من تَقديس الذَّات عملَ بَذلِ ذات لأجل الآخَرين.

لم يكُن المغبوط أنطونيوس يُفضّل نفسَه على قريبه في كلّ ما يَنفع. وكان الأنبا أغاثون يَتشوَّق لأن يَستبدلَ جسده بجسد أبرص. و بعضُهم أسلموا أجسادَهم للوحُوش والسَّيف والنّار من أجل القَريب. 602 فالذين يُحبّون هذا العالم لا يَستطيعون أن يُحبّوا الناس. مُقتني المحبّة يتوشح بها، وبالله نفسه (لأنّ الله محبّة). مُقتني الله (الذي هو المحبّة) مُلزَمٌ بعدم اقتناء أيّ شيء آخر، بل بالانسلاخ عن جسده أيضاً.

المتوشّح بهذا العالم وعاشق هذه الحياة لن يتوشّح بالله. وقد شَهِدَ هو نَفسُه فقال :" مَن لا يُحبّني أكثر من نفسه لا يستطيعُ أن يكون لي تِلميذاً" 603. الربّ لم يُوصِ بترك العالَم فقط، بل بمَقته أيضاً. فهل يَسكُنُ المسيح في داخل مَن لا يَستطيع أن يَكون له تلميذاً؟

6. **في أنّ سيرة الرجاء وأعماله سهلة وخفيفة على النَّفس:** الرّجاء (بوُعود الخيرات الآتية) يُوقظ الشَّوق الطبيعيّ (إلى الله) ويَسقي المُشتاقين من كأس (ذلك الشَّوق)، فلا يُحسّون بالضّيقات ولا يشعُرون بالتّعَب في مسيرتهم، "لأنّ وَعر الطريق يصيرُ لهم سهلاً" 604

7. **في اللاهوى**: اللاهوى لا يَعني عدم الشُّعور بالأهواء، بل عَدم قَبولها (فلن نكون بمأمن من هَجمات الأهواء ما دُمنا أحياء). الذين تَكثُر فضائلُهم، الظّاهرة و الخفيّة، تَضعُفُ أهواؤهم ولا تعودُ تثورُ على النّفس بسهُولة؛ فلا يَحتاج الذّهن إلى

سهَر مُستمرّ عليها، ويُصبح وقتهُ مليئاً بالمعاني النّابعة من التأمُّلات والهذيذ (التفكُّر الدائم) بالأُمور السّامية التي تَشغلهُ بطريقة واعية وحَكيمة. و إذا بدأت الأهواء بالتحرّك (للهجوم)، يُختَطَف ذهنُه فجأة بتلكَ المعاني (السامية) التي تجُول في خاطره. عندئذٍ (تُطرَد) الأهواء وتولّي هاربة. 605

8. **في ثمار التّنقية واتمام عمَل الفضائل:** إنّ الذّهن بإتمامه عَمَل الفضائل بنعمة الله، وباقترابه من المَعرفة الإلهيّة، لا يتأثّر كثيراً بما هو شرّير وغير عاقل يُخالف العَقل في النفس، لأنّ معرفَتَهُ للإلهيّات تَختَطِف ذهنَه إلى العلاء وتُغرِّبُه عن جميع أمور العالَم. فالذي حَصَل، بواسطة النّسك، على طهارة و شفافيّة وخفّة وتوقُّد في الذهن، يَتنقّى ويَستنير فيَسهُل عليه أن يَتحمّل السّكينة ويستمرَ فيها، ويَنجذب بسُرعة بواسطة المُشاهدة (معرفة الحقائق الإلهيّة). وعندما يَمتلئ (المجاهد من المُشاهدة) لا يَعُود بحاجة إلى وسيلة للمَعرفة، أو لِما يُولّد فيه ثمار الرّوح 606

602عبرانيين 11: 33– 38

603لوقا 14 : 26

604إشعيا 40: 4؛ عندما تُهاجِم المجاهد الضِّيقات، يَنظُر بشوق إلى رجاء الخيرات الآتية، فتصير الضِّيقات ومَشقّات وتُمَّحى من قلبه الذكريات (الباطلة) التي تُحرّك الأهواء في نفسِه؛ وتَضعُف قوّة الشيطان (تُجاهه). فالنّفس تَكتسب مَناعةً ضدّ الأهواء عندما تَنهمك في الأمور الإلهيّة السّامية وتتجنَّب الأهواء و التفكُّر فيها، فلا تُهاجِمُ النَّفسَ مِن بَعد.

9. **في سَكينة الإنسان المُتواضع:** 607 الترفُّع يُشتّت النَّفس بالخيال ويُطلق لها العَنان لتُحلّق في غَمام (أوهام وادلهمام) الأفكار، 608 أما التواضُع فيَضبَط النَّفس في السَّكينة ويُوحِّدُها بها. وكما أنّ النَّفس لا تُعرَف ولا تُرى بالعينين الجسديَّتين، كذلك يَكون المُتواضع مجهولاً من الناس، وكما أنّ النَّفس كامنةٌ مَخفية في الجسد، لا يراها النّاس ولا تَختلط بهم، فكذلك المُتواضع حقّاً، يُريد ألاَّ يعرفه النّاس أو أن يَرَوهُ، لأنه انفصلَ عنهم بالجسَد، ويَرغب، لو استطاع، أن يَغوص في ذاته ويَدخُل (في عُمق) السَّكينة ويعيش فيها، تاركاً ذِكرياته (الباطلة) وعمَل حواسّه، و صائراً كمَن لا وُجود له في الخليقة، وغير راغب في العَودة إلى هذا الوُجود. إنّ اقترابَه من (المسيح) سيّده يَزداد بمقدار ما يَكون مَخفيّا، حافظاً ذاتَه (في النَّقاوة)، ومُنفصلاً عن العالم.

الجهاد سهلةَ الاحتمال عليه.

605لا يخلو إنسان من الأهواء، لكنّ علاجها يكون باكتساب الفضائل وذِكر الله الدائم والتأمّل في المعاني الإلهيَّة السامية، فحالة اللاهوى لا تَعني الخلوّ من الأهواء، بل إضعافُها واكتساب القوّة لمحاربتها بالجهاد و الصلاة. أنظر أيضاً: " الأفكار الإلهيّة هي مَصدر حالة النّعمة التي يبلغُها الذّهن" ، المقالة 62، الفقرة 5.

606ثمار الروح القدس هي المحبَّة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والأمانة والوداعة والعفاف" (غلاطية 5 : 22– 23). ومن أتمَّ عمل الفضائل بنعمة الله واقترب من المعرفة الإلهيّة، ينال ثمار الروح هذه، ولا يعود بحاجة إلى وسائل لاقتنائها.

607في هذه الفقرة، والفقرات التي تلي، لا يَصف القدِّيس إسحق التواضُع بقدر ما يصف الميزات التي يتحلّى بها المتوحِّد. فهو يَصِف فضائل الراهب المتوحّد ويسميها جميعُها " التواضُع" وسبب ذلك أنّ التواضع هو أساس وأبو جميع الفضائل. لذلك فليس هذا النَّوع من التواضُع بمتُناوَل الشخص العائش في العالم. وقد كان موسى أكثر الناس تواضُعاً في الأرض (عدد 12 : 3)، لكنّه لم يكن مُتوحِّداً. فهناك أنواعٌ شتى من التواضُع وطرقٌ شتى لبُلوغ التواضُع.

608يُعاني المتكبّر تخيُّلات وأوهاماً بالقوّة وانتفاخ الأنا، فيبتَعد عن الواقع، ومن هنا عبارة القديس إسحق " الخيال يُطلق العَنان للنَّفس لتُحلِّق في غَمام الأفكار"

المُتواضع لا يرتاح إلى اللّقاءات والكلام و رؤية الجماهير والضّجيج وتَشتُّت الحواسّ، ولا للشّبَع والتنعُّم، اللذَين يجلبان الدّعارة (تَجارب وخطايا الجَسد). بل يُفضِّل البَقاء في السّكينة، وَحيداً ومُنفصلاً عن كلّ مخلوق، ومُهتمّاً (بإصلاح) نَفسه في مكانٍ هادئ، مُكتفياً بالقليل، عَديم القنية (ليس له مُقتنيات)، فقيراً ومُحتاجاً، لأن الأشياء والمُقتنيات والانشغالات) الكثيرة تَحتاج إلى أعمال كثيرة. ويَسعى لأن يكون خاليّاً من الإهتمام (بالعالَم) و بعيداً عن تَشوُّش الأمور الدنيويّة، لكي لا تَتشتّت أفكارُه، لأنّ ارتباكَه بأمور كثيرة لن يَقيه تشتُّت الأفكار.

فالاهتمامات الكثيرة تَجلب تفكيراً مُشتَّتاً في أمورٍ مُتنوّعة، فيتعذّر عليه الترفُّع عن الاهتمامات الأرضيّة والمُحافظة على سلامة أفكاره وصُمود ذهنه في التَّفكير بالأمور الرّوحية السّامية والفريدة، وإن كان هذا لا يَعني أنه سيتحرّر من الحاجات الضَّروريّة الصّغيرة.

أما إذا مَنعَتهُ الضّروريّات من التَّفكير بالأمور الرّوحية (و تَحوَّلَ عنها)، فسَوف يؤذي نَفسه والآخرين 609، ويَفتحُ على نفسه باباً تتسرّب منه الأهواء، و يَفقد التّمييز الهادئ الذي يَجذب معه التّواضعُ، فيُغلَق دونه باب السّلام. فعليه أن يَصونَ نفسَه من الأمور (المشاغل) الكثيرة لكي يَعيش في سُكون وراحة ولطف وَوَرع.

10. **في صفات الإنسان المُتواضع**: المُتواضع لا يَعرفُ ضَغطاً نفسيّاً ولا تَسرُّعاً ولا تَشويشاً ولا أفكاراً حَادةً فارغة، بل يكونُ في انشراحٍ (فرَح روحيّ) دائم 610. و إذا أطبقَت السّماء على الأرض لا يخاف. ليس كلّ هادئ مُتواضعاً لكن كلّ مُتواضع هادئ. وليس كلّ خَفِر مُتواضعاً ولكن كلّ مُتواضع خَفِر (ذو حَياء). هذا ما قاله الربّ: " تعلموا مني فإنّي وديعٌ ومُتواضع القلب، تجدوا راحةً لنُفوسكم"611.

المتواضُع مُنشرحٌ دائماً، لا شيء يُزعجُه ويُعكّر ذهنَه. وكما يَستَحيل على الإنسان أن يَهُزَّ جبلاً، يَستحيل عليه أن يَهُزّ ذهن المُتواضع 612. ويجوز القول إنّ المُتواضع ليس من هذا العالَم، فلا الأحزان تُخيفُه ولا الأفراح تَسُرّه وتُدهشه إنّ فرَحه و بَهجته كائنان في سيّده.

---

609 إنّ تقاعس المُجاهد عن الجهاد يؤذي الآخَرين لأنّه لا يُجاهد لأجل نفسه فقط بل ولأجل تقديس الآخرين وخلاص العالم، بحسب قول الربّ " أُقدّسُ ذاتي من أجلهم" (يوحنا 17 : 19).

610 أنظر تَعريف الفرَح (الروحيّ) في المقدّمة، الفقرة 5.

611 متى 11:21

11. **في الثّمار الروحيَّة التي تنشأ من التَّواضُع**: من التَّواضُع ينشأ اللُّطف والرُّشد (النُضج) وعفّة (وضبط) الحواسّ، والصَّوت المُعتدل الارتفاع وقلّة الكلام و احتقار الذّات (واقتناء) اللِّباس الحقير (غير الباذخ)، والمَشي الرَّصين والنَّظَر إلى أسفل، و كَثرة الإحسان، وسُرعة (ذرف) الدّموع، و الانفراد بالنَّفس، و خُشوع القلب، والإقلاع عن الغضب، وقلّة جَمع الضّروريات (والزُّهد بها)، والاحتمال، والصبّر، وعدم الجزَع، و الشَّجاعة القلبيّة النّاجمة عن احتقار الحياة الزّمنيّة، والصّبر في التّجارب، و (اقتناء) الأفكار الرّصينة العميقة، و زوال الأفكار السيِّئة، وحِفظ أسرار العفّة والخَفَر والوَرَع. والأفضل منها جميعها المُداومة على السّكينة، و الرّغبة في جَهل كلّ ما يجري في العالم.

12. **في خَفَر الإنسان المتواضع و حَيائه**: إنّ أي ضَرَر (أذيّة) لا يُسبّب للمتُواضع الاضطراب والتَّشوّش. و إذا كان ساكناً وحدهُ فإنه يَخفر (يَستحي) من نفسه 613. المُتواضع حقاً لا يَجسُر على الصّلاة أمام الله (إلاّ بخوف ورعدة) لأنَّه يَعتبر نَفسه (غير مُستحقّ المُثول أمامه)، ولا (يَجسُر على) طَلَب أيّ شيء (منه). ولا يَعلم ماذا يَطلُب (من الله)، بل يَصمُت برضاه (باختياره)، مُنتظراً رحمة الله.

تَظهرَ مشيئة الله في المُتواضع عندما يَسجُد ويكون رأسُهُ مُنحنياً إلى أسفل، ومُشاهدَة قلبه الدّاخليّة مُرتفعة نحو باب قُدس الأقداس المُتعالي، حيث يَمكُث (الله) الذي مَسكِنُه في الغَمام 614، وعَيناه (عينا المُصلّي) تُبهران السيرافيم (بخُشوعهما)

وفَضيلتُه تُخيّم على طَغمات الملائكة، الذين يُخيّم عليهم السُّكون. وكلُّ ما يَستطيع قَولَه عندما يُصلّي هو :" لتكُن مشيئتُك فيَّ ياربّ".

= المقالة الثَّانية و الثَّمانون=

1. **في أنّ الأهواء دَخيلةٌ على النّفس:** النَّفس بطبيعتها نَقيّةٌ و مُنزهة عن الأهواء. وعندما يَتكلّم الكتاب المُقدَّس عن أهواء نفسيّة وأهواء جسديّة، فهو يتكلم على أسبابها 615 هذا ما يقول به الفلاسفة غير المؤمنين، ومَن يحذو حَذوَهُم 616.

---

612 المتواضع الحقيقي يَعتَبر نفسَه إدنى من الجميع وأعظم الخطأة. فإذا ظُلِمَ أو أُهين أو حلّت به نائبة أو ألم، يَعتبر أنه يَستحقّ ذلك لأنه خاطئ. ولأجل ذلك لا شيء يُحزنُ المُتواضع، ولا شيء يُخرجه عن هدوئه.

613 أي "يحترم نفسه في خلوته" كما ورد في المقالة السَّادسة والخَمسون، الفقرة 6.

614 الغَمام في الكتاب المقدَّس هو تجلّي مجد الله (متى 17 : 1 –7)

615 لا يفطن الفلاسفة غير المؤمنين إلى أنّ النفس نقيَّة بطبيعتها ، و يزعمون خطأ أنّ أسباب الأهواء كامنة في النفس، و ليست خارجة عنها، وبهذا يخلطون بين الأهواء و أسبابها ويجعلونها أمراً واحداً. و إنّ هذه النَّظرة إلى الأهواء التي

أما نحن فنؤمن أنّ الله خلَقَ الإنسانَ على صورته كمِثاله (مُنزَّهاً عن الهوى). لا بحسب الجسد، بل بحسب النَّفس غير المنظورة. فالصُّورة لا (تُرسَم) إلا بحسب المِثال 617. و الرسّام حين يَرسم، يَضعُ نموذجاً أمامه. (وهكذا صوَّرنا الله، على صورته، كمثاله، وجعل نفسه النَّموذج). لهذا فالأهواء ليست من طَبيعة النَّفس.

إنّ اندفاع الأهواء (لمهاجمة النفس) يتم بدوافع خارجية لا ذاتية،618 اما اذا تَحرَّكت الأهواء في النَّفس بدافع نَفسيّ فقط ، من دون أن يَشترك الجسد في هذه الحركة، فعندئذٍ تكون الأهواء نفسيّة 619. فالجوع والعطَش والنّوم هي أهواء طبيعيّة، لكن النَّفس تُعانيها، وكذلك تتألَّم (النَّفس) بسبب الجسد عندَ بَتر الأعضاء والحَرق والمرَض، وغيرها من النّوائب. النَّفسُ تَشعُرُ مع الجسد وتُشاركُه أفراحَه و تَتقبّل أحزانَه لأنها مُتّحدة به و مُشتَرِكة معه.

كانت النّفس (قبل سَقطة آدم) مُستودعاً للنور الإلهّي المَغبوط (وخاليةً من الأهواء)، وكانت طبيعتُها (طبيعة النَّفس) مُضيئةً ونَقيّة، وهي تَستعيد هذه الحالة بعودَتها إلى نِظامها القديم (بالتأمّل الدّائم بالله، كما كانت حالُها قبل السَّقطة، فتمتلئ

مُجدّداً بالنّور الإلهيّ) 620. وعندما تَتحرّك (النَّفس) بتأثير من الهوى، يكون ذلك التصرُّف بخلاف طبيعتها، كما يؤكّد آباء الكنيسة. فالأهواء دَخيلةٌ على النَّفس، وليست من طبيعتها، وإن كانت النَّفس تَتحرّك بدافعٍ من الأهواء.

يوضحها القدّيس إسحق، تحمل رجاء كبيراً للإنسان بإمكانية ردّ هجمات الأهواء، و التحرّر من تَسلُّطها، مادامت خارجيّة وليست كامنة في النَّفس؛ لكن أيضاً ، ما دامت الأهواء خارجةً عن النفس، فهُناك مَسؤوليّةٌ أكبر على المجاهد، إذا تسلّطت الأهواء عليه.

616 متى 11 : 21

617 الله مُنَزَّهٌ عن الهوى، وهو خَلقَ الإنسان على صورته كمِثاله، وقد صار الإنسان عُرضةً لهجمات الأهواء بفِعل سَقطة آدم.

618 لا تَنشأ هجمات الأهواء من داخل النفس، بل بدوافع خارجيّة، كهجمات الحواس مَثَلاً.

619 هناك أهواء نفسيّة تتحرك في الإنسان بسبب حاجات الجسد. ونَعجَب أنّ القديس إسحق يُسمّي الجوع والعطش والنّوم " أهواء" جسديّة. ولعلَّه يقصد أن هذه تصير أهواء عندما تَخرج عن طَبيعتها.

620 كانت النَّفس قبل سقطة آدم مملوءةً بالنور الإلهيّ، أي بمجد الله، على مِثال المسيح الذي تجلّى بالمجد والنُّور الإلهيّ غير المَخلوق على جَبل ثابور (متى 17 : 1– 8). والمسيح إذ أظهَرَ أنوار ألوهيّته لتلاميذه على الجبَل، فهو لا يُريهم

2. **في أنّ النَّفس نَقية بطبيعتها ومُنزّهة عن الأهواء**: إذا حَافظتَ النّفس على حالتها (نقاوتها) الطّبيعيّة ولم تَدَع الاهتمامات الدّنيوية تَتسرّب إليها من الخارج، تَلِج إلى حِكمة الله من دون جهاد كثير. لأنّ انفصالَها عن العالم وسَكينتَها يَحُثّانها بصُورة طبيعيَة على معرفة مخلوقات الله 621، ومنها تَرتفع نحوه وتَنذهل مُتعجّبةً، فتمكُث عنده. عندما لا يَتسرّب ماء خارجيّ (فكرق مُضادٌ) إلى ينبوع النَّفس (النقيّة) فإنّ ماءها الطَّبيعيّ (يُنبت) ويُفرِع فيها أفكار عَجائب الله 622، أما إذا (ابتعدت النّفس عن أفكار عجائب الله)، فيكون السَّبب في ذلك تَسرُّب الأفكار الغريبة إليها، أو الانزعاج النّاجم عن (تجارب) الحواسّ. فمتى أُغلِقَ على الحواسّ داخل السّكينة ولم يُسمَح لها بالخُروج (لم يُسمَح للحواس بالاتجاه نحو الخارج)، و أصبحت الذّكريات (الباطلة) مَنسيّة بفعل السَّكينة، عندئذٍ تُشاهِد النَّفس أفكارَها الطَّبيعيّة (النقيّة) وتُدرِك ماهيّة ذاتها وماهيّة الكنز العجيب المُختَبئ فيها (في النّفس)، وهو

إدراك (مُعاينَة الملائكة) اللا مُتجسّمين، الذي يَحصل من دون أن تَبذلَ النّفس جهداً وتَعَباً يَفوقان طاقتَها. والإنسان لا يَعلم أنّ أفكاراً كهذه تتحرّك في طَبيعته البشريّة، (وحين يختبرُها) لا يَعلم مَّمن تَعلَّمَها ولا كيف أدركَها ولا يستطيع أن يُفسّرَها للآخرين، لأنه لم يَتعلّمها مِن إنسان623.

مجدَه وحَسب، بل ليُظهِرَ لهم ما سيكونون عليه في المجد عند انتقالهم إلى السماء. كذلك النفس المجاهدة تمتلئ مجدَّداً بالنّور الإلهيّ من خلال التأمُّل الدّائم بالله.

621المقصود هنا الملائكة.

622يُظهِر القدّيس إسحق هنا أنّ الله يُكافئ المجاهد مكافآت جزيلة لأجل ضبط ذهنه و حَواسه، وعيشه نقاوة الذهن ونقاوة القلب.

623تَنبُت "أفكار عَجائب الله" في ذهن المجاهد بفعل عَيشه السكينة؛ وهو لا يَدري كيف اقتَنى تلك الأفكار، ولا كيف تعلَّمها ، ولا كيف يُفسِّرُها، لأنه لم يتعلّمها من إنسان، بل من الملائكة. ولم يتعلّمها كما يتعلّم الإنسان، عادة، عن طريق تلقين العقل والذّاكرة، بل بطُرق إلهيّة لا تُدرَك. ولعلّ القدّيس إسحق يَصِف هنا خبرته الشخصيَّة.

= المقالة الثّالثة والثّمانون=

1. **في نَقاوة الذّهن**: نَقيّ الذّهن ليسَ مَن لا يَعرف الشرّ، فهذه ميزة الحيوانات. وليس هو من يُشبه الأطفال بطبيعته، أو الذي لا يُفاضل بين النّاس. نقاوة الذّهن هي التأمُّل في الإلهيّات، المُرفَق أولاً بعمَل الفضائل. هذا الأمر (نقاوة الذهن) لا يَكتسبُه الإنسان من دون تجارب فكريّة (لا يخلو من تجارب هجمات الأفكار)، و إلاّ لكان عليه أن يكون بلا جسد. التَّجارب الفكريّة لن تكفّ عن إيذاء طبيعتنا، ما دُمنا في هذه الحياة. هذه التَّجارب تؤدّي (بالمُجاهد، لأجل الدّفاع ضدَّها،) إلى التأمّل في الإلهيّات وعَمَل الفضائل 624.

2. **في مَصدر هجمات الأفكار:** لحركة (هجمات) الأفكار أربعة أسباب: [1] مشيئة الجسد الطبيعيّة. [2] تَخيُّلات الحواسّ المُتأثّرة بما تَسمع وترى من أمور العالَم [3] (خبرة وذكريات) الأعمال (الباطلة) المُقترفَة في الماضي، ومَيل النّفس إلى التَّفكير فيها وتذكُّرها. [4] هجمات الشّياطين التي تُحاربُنا بكافة الأهواء، بناءً على (ومُستَغِلَّةً) الأسباب الثَّلاثة السابقة. ويَستحيل التحرُّر من أفكار (التَّجارب) والحُروب ما دُمنا في الجسد.

الأهواء تَسري في كلّ إنسان. وعلينا أن نَتحفّظ (نَحذَر)، ليس من هوى واحد يَسري فينا بشكل ظاهر، بل من أهواء كثيرة خَفية. ويكون الانتصار على الأهواء بأن يَمتلك المُجاهد قوّةً تخطف ذهنَه (وتحوّلها عن الذكريات والأفكار الرديئة) إلى الذّكريات الصّالحة والأفكار الإلهيّة 625.

3. **في نَقاوة الذّهن ونَقاوة القلب:** نَقاوة الذّهن تختلف عن نَقاوة القلب. فالذّهن هو حاسّة من حواس النّفس. أما القلب فهو الحاضن والحافظ لحواسّ النّفس الداخليّة جميعها، (بما فيها الذّهن). القلب هو الجَذر، و إذا كان الجَذر مُقدَّساً، فكذلك تكونُ الأغصان. و إذا تَنقّى القلب، تَتنقّى جميع الحواسّ. وإذا اهتمَّ الذّهن بمطالعة الكتاب المقدّس أو تَعِبَ قليلاً بالصَّوم والسَّهر والسَّكينة، فإنه يَنسى تصرُّفاته (سقطاته) الماضية ويَتنقّى بابتعاده عن السُّلوك الرَّدئ، علماً أنه لن يَبقى في حال نَقاوة ثابتة. فكما أنه يَتنقّى بسُرعة فهو يَتدنّس بالسُّرعة عَينها. (ولهذا لا يَتنقّى الذّهن بالكليّة إلاَّ متى تَنقّى القَلب).

---

624 الأفكار الشرّيرة، من كبرياء وغَضب وحسَد ونَقمة وسوء ظنّ... لا تَنفكّ تُراود الإنسان وتُهاجمه، وهي لابُدّ منها ما دُمنا في الجسد. والدّفاع ضدَّها يكون بالتأمّل في الإلهيّات وعَمَل الفضائل، فينال المجاهد خبرةً في الجهاد ويكتسب نَقاوة الذّهن.

625 سبق للقدّيس إسحق القول إنّ مُحاربة الأفكار والذِّكريات غير المُرتَّبة يكون بالتأمل في الكُتُب المقدَّسة. المقالة الأولى، الفقرة 2.

أما القلب فيتنقّى بالشدائد الكثيرة والحرمان والتخلّي عن الدّنيويّات، و المَوت عنها. وبعد أن يَتنقّى لا تَستطيعُ التَّجارب الصَّغيرة أن تُدَنِّسَه، ولا أن تُرعِبَه الحروب الضَّروس المُفزِعة، لأن معدته أصبحت قويّة وقادرة على هضم كلّ طعام روحيّ يَعجز الضُّعفاء عنه (أي أنه اكتسب قوّةً ضدّ التَّجارب).

يقول الأطبّاء إنّ كلّ طعام عَسِر الهَضم يُنشّط أصحّاء الجسَد، ذوي المعدة القويّة. وكلّ نَقاوة (للذّهن) تحصل في وقت قَصير وتَعب قليل، تَزول بسُرعة وتَتَدَنَّس. أما النّقاوة (القلبيّة) الصّائرة بالشّدائد الكثيرة والحاصلة بَعد جِهاد طَويل، فلا تخاف من أيّ هُجوم على إحدى خلايا (قِوى) النّفس، لأن الله يَحفظُها.

= المقالة الرّابعة والثّمانون=

1. **في أنّ الذّهن مطبوعٌ على الصّلاح**: يَستطيع ذهنُنا أن يَتّجه نحو الصّلاح من تلقائه، بلا تَردُّد، ومن دُون وساطة الملائكة 626، أما الشرّ فلا يُمكن (للذهن) فِعلهُ من دون وَسيط 627. الخير مغروسٌ في النَّفس، بخلاف الشرّ. وكلّ (شَرٍّ) دَخيلٍ وغَريب يَحتاج إلى وَسيط لتَتَعرّفَ (النَّفس) عليه. أما ما هو مَغروسٌ في الدّاخل فإنّه يَسري في الطبيعة من دُون تَعلُّم. فإذا كانت حال الإنسان الطبيعيّة أن تَتحرّكَ نحو الخير بمُفردها، فإنّ نُموَّها ونُورَها مُمكنان من دون رؤية الملائكة الذين يُعلّموننا كما يُعلمون بعضُهم بَعضاً.628
2. **في استعداد الذّهن للمشاهدة الإلهيّة**: إنّ ذهنَنا يملك قوّةً طبيعيّةً للتحرُّك نحو المُشاهدَة و إننا لولا نَقص واحد (الجسد) لكنّا مُساوين للطبائع السماويّة، لأنّ النّعمة نفسَها تَجري فيهم و فينا. هذه المُشاهَدَة (تَعَلُّم الإلهيّات) لا تَتمّ، بالنِّسبة إلى الملائكة والبَشر بحالة طبيعية، بل بفعل النِّعمة الإلهيّة. لأنّ طبيعتَهم (طبيعة الملائكة والبشر)، سواء أكانوا على الأرض أم في السَّماء، تَبقى عاجزةً عن إدراك الأُمور الإلهيّة (من دون عَمَل النِّعمة).

قبلَ مجيء المسيح بالجسد لم تَكُن المُشاهدة (الإلهيّة) تَتحرّك في ذهن المصافّ السّماويّة (الملائكة وأبرار العَهد العَتيق). لكن عندما تَجسّدَ الكلمة، فُتِحَ لهم الباب بيسوع، وتَمكّنوا، بواسطة المُشاهَدَة، من الدّخول إلى الأسرار الإلهيّة629.

626في اللاهوت الشرقيّ، لا يَرث الإنسان خطيئة آدم، بل يَرِث ضعف الطَّبيعة البشريّة، و استعداداً (إمكانيّةً) للوقوع في الخطيئة. فالإنسان أساساً مَطبوعٌ على الصَّلاح.

3. **في أنّ نُور المشاهدَة يُعتَلَن بواسطة الملائكة**: يستمد القديسون نُور المُشاهَدَة من المَلائكة ليَبلُغوا بذلك النّور إلى مجد الأزليّة. وكلُّ سِرّ يُعلَن في ذهن القدّيسين يتمّ بمؤازرة الملائكة، لأنّ الله عندما يَسمح بحصُول إعلانٍ ما، تَكونُ بداءتُه من المَصفّ الأعلى (الملائكة) باتجاه المَصفّ الأدنى (البَشر)، إلى أن يبلُغ إعلان ذلك السرّ إلى جميع المُستحقّين من (أبناء) الطّبيعة البشريّة.

لكنّ هذه المصافّ ستُلغى في الدّهر الآتي، لأنّ إعلان مجد الله لن يُستمَدّ من الواحد إلى الآخر وقتئذٍ، بل يُعطى كلُّ واحد ما يُناسبُه وفق مُستوى نجاحه (في الجهاد وقدرة إدراك و استيعاب الأسرار الإلهيَّة)، وذلكَ من السيّد مُباشرةً. ولا يعود هناك مُعلِّم ومُتعلّم، ولا مَن هو بحاجة إلى إكمال نَقصه من آخر، لأنّ المُعطي هُناكَ واحدٌ (هو المسيح). وهو يُعطي المواهب مُباشرةً للذين يَستطيعون تَقبُّلَها، (أُهّلوا لتقبُّلها) ومن المسيح يَنالون الفَرَح السّماويّ، وتَتعلّقُ رغبة الجميع (بالإله) الواحد له المجد.

4. **كيف يُدرِك الإنسان أنه حَظيَ بغفران خطاياه:** عندما يُحسُّ الإنسان في نفسه أنّه أبغضَ خطيئتَه من كلّ قَلبه، و أَصبحَ سُلوكهُ الخارجيّ مُعاكساً لها، فَليَثِق أنّه حَظيَ لدى الله بالمغفرة لها، لا سيَّما أنه أبغضَها بشهادة ضَميره الذي في داخله.

627يَستحيل أن يَقبل الذّهن مَعرفة الشرّ ويَفعلَه من دون وساطة الشّياطين، ومن دون وُجود مادة التَّجربة، التي تُحرّك الذِّهن وتُثير فيه الشهوة، وتُوقظ الغَريزة.

628أنظُر المقالة 82، الفقرتين 1 و 2؛ يَكشف القديس إسحق أنّ بعض المجاهدين يتعلّمون من الملائكة، و بعضهم يتعلّم منهم بطريقة مباشرة، بالمُعايَنة؛ وعلى هذا يقول القديس يوحنا السلّمي إنه تعلَّمَ من "أفواه تَقول الصدق".

629راجع: 1 كورنتس 16 : 9 ؛ 2 كورنتس 2 : 12 ؛ كولوسي 4 : 3

= المقالة الخامسة و الثَّمانون=

1. **في الحكمة**: الحِكمة لا حَدّ لفَهمها، وتَعَلُّمُها التّام مُستحيل، وليس لطَريقِها نهاية. والقدّيسون أنفُسُهم يَظلّون عاجزين عن بُلوغ كَمال الحِكمة. لكنَّها تَرفع طالبيها حتى تُوَحِّدَهُم بالله. هذه هي مُعجِزتُها . الحكمة هي الله نفسُه630 ما هو الطّريق الأوّل الذي يَجعلُنا نَقترب من الحكمة هو أن نَتبع الحكمة بكلّ قوانا 631، ونَستمرّ في جِهادنا حتى النّهاية، و أن نُضحّي بحياتنا حُبّاً بالله إذا دَعَت الحاجة، من دون إهمال (كسَل). يُدعَى حكيماً باستحقاق مَن يُدرك أنّ

للحياة نهايةَ، فيَضعَ حدّاً لخطاياه (يَتوب عنها) 632. لا يُوجَد فَهم أو مَعرفة أسمى من أن يُفلِح الإنسان في الخُروج من هذه الحياة من دون دنَس، و بأعضاء طاهرة من اللذّة الرّديئة.

يستحيل إن يكون المرء سامي الأفكار، و أن يَلِجَ إلى أسرار الطبائع (الكائنات) كلِّها لكي يَغتني منها بواسطة الاكتشاف والمَعرفة الشَّاملة، بينما نفُسه لا تَزال مُدنَّسة بالخطيئة 633 ولم يَحصَل في نفسه على شَهادة رجاء (الدّهر الآتي) 634. ولن يبلُغ إلى الميناء الأمين (نهاية جهاده) بسلام ومن دون خوف (من الدينونة). فليس في العالم أكثرُ جَهالةً منه، لأنّ أعمالَهُ حَصَرَت رجاءُه في العالم دون سواه، لتعلُّقه به و اجتهاده المُتواصل في سبيله.

2. **في التّجارب والضّيقات** : لا يُمكن لأحد أن يَقترب من الله من دون ضِيقات، ومن دونها لا يُمكنه أن يَحفظ برَّهُ ثابتاً. الإنسان الأقوى في رُتبة مَعرفة الحقيقة الإلهيّة، يَرتاح للضيقات المؤقّتة (التي تَكمُن وراءها) الحياةُ (الحقّة) ومَجدُ الظَّفَر 635. وهو لا يَرغب في الرَّفاهيّة (الدّنيويَّة) التي تَفُوح برائحة البلبَلة وتَسقي المُنصرف إليها من (مَرارة اللذّات) وكأس النَّحيب (النَّاجم عن الهزَيمة في الجهاد والوقوع في دَنَس الخطيئة)636.

630المسيح هو " قوة الله وحِكمة الله" . (1 كورنتس 1: 24 ؛ 1 كورنتس 1 : 30؛ كولوسي 2 : 3).

631أمثال 4 : 5 – 10. والحكمة لا تعني هنا إدراك الأمور الفلسفيَّة المعقَّدة، بل اقتناء الحكمة الإلهيَّة التي تَقود إلى الملكوت، والتي هي الله نفسُه.

632" علمّنا أن نَعُدّ أيامنا [قصيرةً] ، فنأتي بقلب ذي حكمة" (مزمور 89 : 12). عندما يَضع الإنسان نصب عينيه أنّ العمر قصير، لا يعود يكترث للدّنيويّات ولا يتعلّق قلبُه بالأباطيل و الماديّات وشهوات العالم، بل يَسعى جاهداً للتّوبة عن خطاياه.

633المعرفة الإلهيّة مُحرَّمة على المُنغمسين في الخطيئة ، بحسب قول الكتاب :" سرُّ الربّ لمُتَّقيه، ولهم يُعلن عهدَه

3. **في عواقب الابتعاد عن أعمال الفضيلة**: إنّ السّائر في طريق الله، إذا ابتعدَ عن (الله وعن أعمال الفضيلة)، نَتيجة التَّجارب التي تُصادفهُ، و إذا قَطَعَ عن البرّ المَصادر التي تُنمّيه (الصلاة والجهاد الروحيّ وعمَل الفضيلة والرَّحمة) فإنهُ يَقطع عن (ذاته) ما يَحفظهُ، و يُصبح مثل كنز مُهمَل، أو مُجاهِد مُجرَّد من أسلحته، أو مثل سفينة من دون أشرعة، أو مثل واحةٍ انقَطعت عَنها المياه.

4. **في حَلاوة العالَم و شهوته**: ما هو العالم 637 وكيف نَعرفهُ، و لماذا يضرّ مُحبّيه؟ يُشبه العالم امرأةً فاسقة تَجذب بشهوة جمالها كلَّ مَن يَنظُر إليها. ومَن تَعلَّقَ قَليلاً بشوق العالم لا يُفلت من بَراثنه قبل أن يَحرمه الحياة (مع اللّه). ولا يُدرِك مَدى خِداعه (خِداع العالَم) إلا عندما يُجرِّدهُ من كلّ شيء ويُخرِجهُ من بيته (الداخليّ، بيت جهاده، ويتركه خاوياً) يوم المَمات.

المُستنير بأفكاره هو الذي توصّلَ إلى اكتشاف المرارة المُبطَّنة (الكامنة وراء) حَلاوَة العالم، وأغلقَ فَمهُ حتى لا يَشرَب من هذه الكأس 638. وهو الذي يسعى إلى خلاص نفسه، مُثابراً في مَسيرته الرّوحية حتى النّهاية ، ومُوصِداً أبواب حواسّه كي لا يَتسرَّب إليه شَوق هذه الحياة وتُسلّبَ منهُ الكُنوز (الإلهيّة) الخَفيّة.

بالرغم من كلّ جِهادات الإنسان ومُحاولاته الخُروج من ظُلمه العالَم، فلا يُمكنهُ رؤية مَكائده طالما هو مَوجودٌ فيه (أي مُتعلّق بشهواته). وعلى هذا النَّحو يُمسِك العالَم بمُريديه و أبنائه والمُرتبطين به، وحتى (الفقراء والذين تخلّوا عن المُقتنيات) الذين لا يملكون شَيئاً منه. (و يُقيِّد العالَم) النسّاك الذين قطعوا رباطاته وتغلّبوا عليه مرّةً، في بداية جهادهم (إن هُم عادوا إلى الاهتمام به). ها إنّه ابتدأ يَقتَنصُهم بطُرقٍ مُختلفة ويَسحَقُهم، جاعلاً إيَّاهم تحتَ أقدامه. 639

(مزمور 24 : 14)

634يَحيا في رجاء الدَّهر الآتي مَن جاهدَ وأيقنَ في قَراره نفسه بأنه تائبٌ عن خَطاياه.

635مَن يَحيا حياةً مُنتصرة يُجاهد طيلة حَياته ويحتمل الضّيقات لأجل المسيح، فينال مجدَه في الدَّهر الآتي.

636ربما إشارة إلى مَرارة لذّة آدم وحوّاء، و النَّحيب النَّاجم عنها. (تكوين 3 : 6)

637العالم هو مصدر التجربة: " لا تحبّوا العالم والأشياء التي في العالم. إن أحبّ أحدٌ العالم فليست محبّة الآب فيه" (1 يوحنّا 2 : 15 ؛ 1)؛ " كلّ ما في العالم من شهوة الجسد و شهوة العين وتعظيم المعيشة ليس من الآب بل من العالم" (1 يوحنّا 2 : 16). وقد خرج الرَّاهب من العالم إلى البريَّة، فكيف يعود إليه؟

5. **في عَلامة نَقاوة القلب**: نَقيّ القلب حقّاً يَرى جميع النّاس صالحين، ولا يَبدو له أحدٌ منهم مُدَنَّساً. عندما يَعتبر المرء بقلبٍ صادق أنّ الجميع أرفعُ منهُ 640، يَبلُغ مُستوى ما يقولُه النبيّ حبَقوق:" العَينُ الصّالحة لا تَرَى (أي أمر) رَديئاً"641.

6. **في عَلامة كمال السّيرة:** فَحوى (غاية وقوام) أتعاب عمَل السَّكينة التأهُّل 642 للصَّلاة المُستمرّة. فعندما يَصل الإنسان إليها يَبلُغ إلى قمّة الفضائل، وكَمال السِّيرة، ثم يُصبح مَسكِناً للروح القُدس. وحين يَحصل على نِعمة (الرُّوح) المُعزّي، يَستطيع أن يُمارس الصّلاة المُستمرة براحة (بسُهولة). فالرّوح عندما يَسكُن في الإنسان لا يَدَعهُ يكفّ عن الصّلاة، بل الرّوحُ نَفسُه يُصلّي فيه 643.

عندئذٍ لا تَنقطع الصّلاة من نفسه، لا في أثناء النوم، ولا في اليَقَظة. فإن أكلَ أو شَربَ أو مَهما فَعل، حتى لو كان في نومٍ عميق، فإنّ أريجَ الصّلاة يَرتفع من قلبه بدون انقطاع. وحتى لو بَدا أنّ الصلاة تَوقفت خارجيّاً، فإنّ فِعلَها يظلُّ فيه داخليّاً. (حتى إنّ) توقُّفَ الصّلاة عند الأنقياء هو صلاة، لأنّ أفكارَهم أصبحت حركات إلهيّة ، وحركاتُ قُلوبهم و أذهانهم الطّاهرة هي أصواتٌ وَديعة يُصلّون بها سرّياً.

638أغلقَ فَمه: مجازاً، جاهدَ ليمتنع عن ارتشاف كأس مُغريات العالَم.

639مَن يحيا في العالَم، عبثاً يُجاهد للخروج من ظلمته، ولا بُدّ من الخروج من العالم لأجل تَحقيق الاستنارة. و أن يَحيا المرء في العالم يَعني أن يكونَ مُتعلِّقاً بشهواته، ولهذا المؤمنون هم في العالم لكن لا يَنتمون إليه. فالخروج من العالم يعني بالدَّرجة الأولى عَدم تَعلُّق القلب به.

640فيلبي 2 : 3

641حبقوق 1: 13 نَقيُّ القلب لا يَحكُم على الآخرين ولا يَدينهم، ولا حتى بينه و بين نفسه، لأنّ ذلك يؤدّي إلى اعتبارهم أدنى منه مَقاماً، وربما إلى ازدرائهم، بل يترك الحُكم للّه. وربما يُحذَّر القديس إسحق هنا من الحُكم على المَظاهر.

642إحدى غايات الجهاد في السَّكينة أن يَصير الراهب مؤهَّلاً (وقادراً على مُمارسة) الصَّلاة الدّائمة.

643رومة 8: 26

= المقالة السادسة و الثَّمانون=

1. **في رحمة الضُّعفاء:** مَن يَحتقر الضّعيف لن يرى النُّور (نور الخلاص ورحمة الله)، ومَن يَصرِف وجهَهُ عمّن هُم في شِدّة، تُظلِم أيامهُ. ومَن يَحتقر صوتَ مَن هو في شَقاء يُسبّب العمى لأهل بيته (الدّاخليّ، أي تَعمى قِواه الرّوحية الدّاخليّة) 644. من دون أعمال الرّحمة، باطلٌ عمَل (الجهاد عند) الذين يُحاولون بُلوغ درجة الكمال. 645 لا شيء يُنقذ الرّاهب من شيطان الكبرياء، ويَصون عِفَّته من التهاب هوى الفِسق (خطايا الجسد)، مثل زيارة المُنطرحين على الأسرّة المُلتاعين من شِدّة الألم (فيعتَبر بآلامهم ويُدرِك ضعف جسده، ويَتنزَّه عن الشهوات).

= الرّسالة الثّالثة=

1. **على المتوحّد أن يُراقب طريقه**: كما يُراقب ربّان السّفينة النّجوم دائماً، يظلّ المُتوحّد مُراقباً بناظِره الخفيّ طَريق مَسيره على أساس الهدَف الذي وَضَعه في ذهنه مُنذ اليوم الأوّل الذي نَذَرَ نفسَه فيه للسّير في بحر السّكينة القاسي، حتى يجد اللؤلؤة التي من أجلها رمى بنفسه في عُمق بحر السّكينة الذي لا يُدنى منه. 646.
2. **في أنّ الرجاء يُخفف من مشقّة الجهاد**: إنّ الرّجاء (بالحصُول على نِعمة الله وخيرات الدّهر الآتي) يُخفّف عن المُجاهد ثِقل العمَل (الجهاد الروحيّ)، كما يُخفّف عنه (وطأة) المشقّة المليئة بالأخطار، التي تَعترضُه أثناء مَسيرته (الروحيّة). ومَن لا يَضَع هذا الهدف في نفسه مُنذ بدء سَكينته يكون عمَلُه من دون تمييز، ويُشبه مَن يُصارع الهَواء ولن يَتحرّر من رُوح الضَّجَر ما دام حيّاً.647
3. **أفكارُك تَكشفُ خَفاياك:** إنكَ تَعرِف ماهيّة خَفاياك من نوعيّة الأفكار التي تُراودُك باستمرار، وليس من الأفكار العَابرة والنّاجمة عن ظَرف طارئ 648. لا يُوجَد إنسانٌ لابسٌ جَسداً يَستطيع البقاء حُرّاً من التّحوّلات (في الذّهن) التي تَطرأ على نفسه، سواء أكانت من الصّالحات أم من السّيئات. فإن كان كاملاً (بلغ درجة مُتقدِّمة في الحياة الرّوحيّة) لا يَتأثر بها إلا قليلاً، و ذلك لقوّة طبيعته (للقوّة الروحيّة التي اقتناها). أما إذا كان ضَعيفاً فإنّه يَنجو من التحوُّلات الكبيرة بسبب خَميرة النّعمة (الخير والصلاح) الكامنة (المَغروسة أساساً) في طبيعته 649.

---

644 مَن يَصمّ أذنيه عن صُراخ المسكين، يَصرخ هو أيضاً ولا يُسمَع له (أمثال 31 : 13).

645 تُقتَنى الرَّحمة أساساً في القلب، وتُمارَس وتُترجَم إلى أعمال رحمة.

646 **إشارة إلى قول الربّ**: " يشبه ملكوت السماوات تاجراً يطلب لآلئ حسَنة، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن باع كلّ ما له واشتراها" (متى 13 : 46). يُعطي القدّيس إسحق هذا المثَل معنى نسكيّاً، ففعل البيع يُرمَز إليه بتَرك العالم والجهاد الروحيّ، والغوص في بحر السكينة يَعني مُمارَسة النسك المقدَّس.

4. **في الكلام و الصّمت:** الكلام أداةُ هذا العالم والصّمتُ سِرُّ الدّهر الآتي. 650

= الرّسالة الرّابعة=

1. في كُره الخطيئة: نحن خطأة بالفعل إن لم نَمقُت الخطيئة ونَتُب عنها، وليس إذا ارتكبناها فقط 651. [لأنّ عدم كُرهنا للخطيئة سرعان ما يجرُّنا إلى ارتكابها. فمَن يَشتهي الخطيئة هو بالفِعلِ عَينهِ خاطئ]
2. في الملكوت والطّهارة: الملكوت هو صِحّة النفس (توبتُها وخلوُّها من الأمراض الرّوحية) وطهارتُها. الابنُ المريض لا يطلُبُ من أبيه أن يَجعلهُ ملِكاً، بل أن يَهتمّ (الابن) بشفاء نفسه أولاً. وبعد أن يُشفى تُصبح المملكةُ كلُّها له. وهكذا الخاطئ التَّائب. فإنه (يجب أن يطلب الشفاء أولاً) وبعد أن يَحصل على صحّة النّفس، يدخُل مع الآب إلى بلاد الطّبيعة الطّاهرة (مَلكوت القلب) ويملِك في مجد أبيه 652.
3. في الشفاء من الأهواء و اقتبال الصحَّة: تَتجدَّد النّفس وتَتقدَّس وتُشفى جميع أعضائها (النفسيّة والرّوحية) بحالٍ سريّة عندا تُواظب على تَطبيق الوصايا الجديدة، الرّوحيّة (وَصايا العَهد الجَديد)، بمخافة الله، فكلّ وصيّة تَستطيع شفاء الهوى المُسيطر على النّفس بهدوء تام، مهما كان نوع ذلك الهوى. وهي (الوصيّة) تَجعل الشّافي والمريض على السّواء يشعُران بفِعلها ، نَظير نازفة الدّم 653. إنّ النّفس، عندما يُشفى جانبُها الشهوانيّ وتَتقدّس وتَلتصق بحياة الرّوح بحال سريّة، تَحصل على الصحَّة وتَتحرّر من الحُزن الذي تُسبِّبُه لها أُمور العالَم . 654 وشفاؤها يَتمّ بالنّعمة الإلهيّة، كما حَصَلَ للرُّسلِ المغبوطين الذين نالوا ملء المحبّة بإيمانهم بيسوع.

وتُشفى النّفس أحياناً من طريق الشريعة (حِفظ الوصايا) 655. فليَعلَم مَن تغلّب على الأهواء بحفظ الوصايا والتشدُّد في قيامه بأعمال السِّيرة الحقيقيّة، أنّه اقتنى صحّة نفسه، فانفصلَ عن العالَم وانقطَعَ عن عاداته السَّيّئة وتَجدّدَ روحياً (وعَادَ صَحيحاً) كما كان قبلاً. ووُجدَ (مُقيماً) بالنّعمة من خلال تأمُّلات إنسانه الداخليّ ، واستقبَلهُ عالمٌ جديد، بَسيطٌ غير مُركَّب (هو عالَم الملائكة والأبرار المُقيمين في المجد) 656.
4. في تطلُّع الذّهن إلى الإنسان الداخليّ: إنّ الأَشكال (التخيّلات والتصوّرات والمشاهدات) التي يَراها الذّهن تَتوقّف (تأثيراتُها) على كيفيّة تطلُّع (الذهن) إليها فعندما يَتطلّع الإنسان إلى العالَم الخارجيّ [بعينٍ بَسيطةٍ نيِّرة، فمُشاهداتُه لن تُسبّب له الأذى 657] (لكنّه) بمقدار ما يُنعِم النَّظَر في تَفاصيل الأشياء المُتنوعة (لأجل اشتهائها والاستمتاع بها)، يَجعلُ آثارَها وصُورَها وظِلالها تَنطبع في ذهنه (وذاكرته و مُخيِّلته)، فتَتحرك فيه أفكارٌ (شهوانيّةٌ) مُختلفة بحسب كثيرة تلك الأشكال ونوعيّة (وكيفيَّة) تَبدُّلها 658. [فبدلاً من أن يَتشتّت الرّاهب بكَثْرة المُشاهدات، حَريّ به أن ينظُر إلى داخِل نفسه ليَتَفحَّصَها ويُصلِحَها، فيَتوب عن الاستمتاع بُمشاهدات العَالم."] فإذا تَطلّعَ الذِّهن إلى الإنسان الدَّاخليّ

(لأجل تفحّص الذّات)، عندها، (في داخل القلب) يَقبَل المُشاهدَة البَسيطة (المُعاكسة لمُشاهدات العالَم)، والتي تُعطِّرُ حاسّةَ النَّفس وتمنحُها دالّةً في الصّلاة (فتكون مَقبولةً لدى الله) 659. بَعدها ، يَستحيل على أيّ شيء تبديل الأشكال (أشكال المُشاهدة البَسيطة المُرتسمة في الذّهن، لتُصبح مادةَ تجربة). لأنّه (في القلب)، لا وُجود لِما هو مُركَّب وقابل للتَّقسيم (والتحوّل إلى عدَّة مُشاهدات، بعضُها غير سليم)، بل المسيح هو الكُلّ في الكُلّ.

5. في أنّ المُشاهدة البسيطة غذاءُ النَّفس: المُشاهدة (البسيطة)660 وحدَها تُغذّي النّفس. (بهذه المُشاهدة) يطأ الذّهن أرض مَعرفة الحقيقية (الرّوحيّة، ويجد سبيلاً إلى إدراك الأسرار العُلويَّة)، ولا يَعود بحاجة إلى الاستفسار (عن المَعارف المُتنوِّعة). العين الجسديّة لا تَستَعلم عن الشّمس ثم تَنظُر إليها، وعَين النّفس لا تَتفحّص مَعرفة الرّوح ثم تُشاهدُها.

647أي يجري على غير هُدى، ومن دون هَدف، فيَقع في الشطط والضَّجر، على حدّ قول بولس الرسول: " لا أجري على غير هُدى [من دون هَدف] ولا أُلاكِمُ كمن يُلاطِم الهواء، بل أقمعُ جسدي واستعبِدُه مخافةَ أن أكون مَرذولاً بعدما وعَظتُ غيري" (1 كورنتس 9 : 26)؛ أنظر أيضاً المقالة 71، الفقرة 2، والمقالة 81، الفقرة 6.

648لأجل ذلك، يَدعو القدِّيس إسحق هنا، وفي مَواضع أُخرى، إلى ضرورة مُراقبة حَركات الذّهن وأفكاره.

649أُنظُر المقالة 82، الفقرتين 1و2، والمقالة 84، الفقرة 1.

650يتكلَّم القدِّيس إسحق على الصمت المقدَّس المملوء بالحُضور الإلهيّ، و الذي يُدخِل المُجاهد في سرّ الله و أسرار الدَّهر الآتي.

651يَقول القدّيس إسحق أيضاً إنّ الإنسان يَعرف أنّ خطيئته قد غُفِرَت إذا أبغضَها من كلّ قلبه. (المقالة الرَّابعة والثَّمانون، الفقرة 4).

652" إنّ ملكوت السّموات في داخلكم." لوقا 17: 21

653عندما شُفيت، شعَرت بشفاء نفسِها وجسدها، وكذلك شَعَر الشّافي، يسوع، بذلك الشفاء.

654" الحزن في سبيل الله يُورِثُ تَوبةً تؤدّي إلى الخلاص. وحُزن العالم يورثُ الموت" (2 كورنتس 7 : 10).

655الأهواء تُشفى بحِفظ الشريعة الجديدة، الروحيّة، التي بالمسيح، كما أنّ شِفاء الأهواء مُمكن بحفظ الوصايا. أنظر الحاشية رقم 207.

656هنا إشارة إلى حالة البرارة التي كان عليها آدم قبل السَّقطة، أو إلى حال المُجاهد قبل وقوعه في الخطيئة.

كذلك (يَستحيل على الذهن أن يَستعلم عن معرفة الروح ثمّ ينالها، أو أن يسأل عن إعلانات الأنوار الإلهيّة ثمّ يُشاهدُها). المُشاهدة السّريّة لا تُعلَن للذّهن قَبلَ استعادة صحّة النّفس (من خلال التطهُّر، مهما حاول الإنسان تفحُّص الحقائق السّريّة وتَقصيها والبحث عنها)661.

بالجَهل. فبولس المَغبوط عندما شاهدَ الأسرار الغامضة وسَمِعَ الأقوال غَير المنطوق بها، والتي لا يَستطيع إنسانٌ أن يُخبر عنها (لم يَلتمسها ولم يُدقِّق في ماهيّتها)، ولم يَقُل إنه رآها وسَمعها بالتعلُّم أو بوسيلة مادّة أُخرى، بل سُبَي سبياً إلى بلد الرّوح (الفردوس) وشاهَدَ إعلانَ الأسرار.

6. في هِبات الله: هل بمقدور أحد أن يَقف أمام وجه الله، (و يُسائلُه) أو يُقاوم مشيئته؟ إنه أحياناً يهَب مجاناً، و أحياناً يُطالِب بالأعمال الجهاديّة وبالطّهارة (التحرّر من الأهواء) معاً . و أحياناً لا يَمنح الطّهارة في هذه الحياة حتى بعد عَمل (الجهاد)، بل يحفظُها إلى أوانها 662. والمجدُ لربِّنا وإلهنا يسوع المسيح إلى الدُّهور. آمين.

657بحسب قول الربّ، "سِراجُ الجسد العَين" متى 6 : 22 –23. النَّظَر إلى العالم بعينٍ بسيطةٍ ونيرّة لا يترك مَجالاً لتحوُّل المُشاهدات وتعدّدها، بحيثُ يكون بعضُها مؤذياً.

658حتى المتوحّدون و النسّاك يُحارَبون المُشاهدات العالميّة. ولذلك ، فالعمَل السليم والأجدى للمُجاهد، ولكلّ إنسان، هو العِناية بضَبط حواسه، حيثُما كانت إقامتُه، "والابتعاد القلبيّ عن أمور العالم". المقالة الأولى ، الفقرة2.

659إنّ تَفحُّص الرّاهب لداخِل ذاته، حيثُ المُشاهدات الإلهيّة، يُحوِّلُه عن مُشاهدات العالم. ويَكون هذا العمَل ، إذا ثابرَ الرَّاهب عليه، بمثَابة فِعل توبةٍ مَقبولةٍ لدى الله، فيَنال منه نَقاوةً لحاسّة النَّفس، و دالّةً في الصّلاة، و مناعةً ضدّ تَجارب الحواس و المُشاهدات.

660يتَّضح ممّا سَبق أنّ المُشاهدة البسيطة هي النَّظَر إلى المحسوسات والأمور الخارجيّة بعين بسيطة نَيِّرة لا تعرف الشهوة (أنظر الحاشية 657)، والنَّظَر إلى داخِل النفس لتفحّصها ، كما شَرحنا في الحَاشية السابقة. وفي هذه الفقرة، المَعنى الثَّاني هو المَقصود.

661صحَّة النفس تَعني تطهّرها وعَدم التِماسها المُشاهدات واشتهائها والاستمتاع بها. ويَستَحيل على النَّفس أن تَنال المعارف السماويَّة والأنوار الإلهيّة قبل تطهّرها، مهما حَاولت الفَحص والاستعلام عنها والحصول عليها بالطرق البشريّة.

بهذا يَجعل القدِّيس إسحق المَعارف التي ينالها الراهب بالدَّرس والتقصي قليلة الفائدة لأجل تَقدّمه الروحيّ، وأقلّ مرتبةً من المَعارف والمُكاشفات الإلهيّة التي يَنالُها من الله بَعد تَنقية نفسه وتَطهّره.

662 عند الله طُرقٌ سريّة، خفيّةٌ، في التعامُل مع المُجاهدين، وهو يوزِّع هِباته وإنعاماته كما يشاء. ويَستشهد القدّيس إسحق لأجل ذلك بقول الرسول بولس: " ما أبعَدَ غَورَ غنِى الله وحِكمتهِ وعِلمه. وما أعسَر إدراكَ أحكامِه وتبيُّن طُرُقه. مَن عَرفَ فِكرَ الربّ، ومَن كان له مُشيراً" (رومة 11:33 –34). ومُنتهى الكلام أنَّ المُجاهد لا يَبلُغ الكمال في هذه الحياة، لأنّ الله قد حَفِظَ الكمال للدَّهر الآتي.

فهرس الموضوعات

هذه العلامة * تعني وجود موضوعات مُتقاربة المَعنى

اختلط اختلاط (بالآخرين): 124 ، 160 ، 168 ، 173، 174 ، 175 ، 125 ، 142 ، 143 .
185.

استعداد مستعد: 27 ، 29 ، 33، تجربة تجارب: 16، 25 ، 27 ، 31 ،
42، 50، 81 ، 131 ، 166. 41 ، 48، 49 ، 54، 85، 86،

إعتدال: 31 ، 120 ، 121 ، 137، 87، 95 ، 105، 106 ، 107،
160، 164 ، 171. 108، 109 ، 110، 111، 114،

*إنجيل إنجيلي أناجيل: 15 ، 59، 115 ، 116، 119، 120 ، 133،
60، 63، 89، 123. 142، 155، 157 ، 176 ، 179،
180، 186.

*الكتاب المقدّس: 16 ، 20 ، 24،
30، 42، 43، 61، 63، 83، تجرّد: 30 ، 46 ، 48، 58، 87،
85، 110، 157، 158، 172، 126، 136، 166.
175. تذمر: 94، 108، 155، 156،
165.

إيمان: 15، 16، 17، 18، 19، تراخي: 40، 43، 64، 70، 111،
22، 27، 28، 29، 38، 39، 115، 116، 117، 120، 122،
45، 46، 54، 55، 57، 89، 124، 138، 142، 143.
125، 132، 133، 134، 145، * تشوش: 26، 28، 30، 41،

146، 147، 148، 149، 150، 42، 44، 64، 65، 72، 78،
152، 185. 85، 101، 102، 105، 109.
بطن تخمة شراهة: 79، 86، 124، * تشويش: 112، 117، 120،
137. 121، 124، 128، 150، 158،
160، 163، 167، 170، 171.
تأمّل: 15، 16، 17، 20، 23، تعزية تعزيات يعزّي: 29، 33، 34،
26، 37، 43، 63، 64، 69، 35، 42، 45، 66، 67، 88، 89،
70، 74، 77، 81، 83، 84، 100، 101، 106، 107، 108،
85، 87، 90، 91، 92، 96، 109، 110، 119، 124، 125،
97، 100، 102، 124، 151، 130، 133، 134، 157، 158.
تمييز: 17، 24، 37، 40، 47، 72، 73، 86، 106، 107،
48، 67، 70، 71، 75، 82، 108، 112، 114، 116، 117،
84، 85، 87، 97، 89، 108، 126، 143، 151، 168، 175،
113، 118، 120، 121، 126، * حرب: 25، 33، 37، 54، 64،
128، 139، 141، 142، 145، 65، 70، 71، 102، 103،
170، 183. 106، 114، 115، 116، 119،
تواضع: 34، 43، 45، 51، 52، 120، 137، 150
53، 54، 56، 60، 62، 67، * حُروب: 32، 44، 48، 64،

93، 94، 100، 110، 111، 71، 72، 92، 116، 142،
112، 113، 126، 130، 137، 150، 175، 176.
140، 155، 165، 169، 170، * حرب روحية: 25، 33، 37، 54،
171. 64، 65، 70، 71، 102، 103،
توبة تاب تائب تائبون يتوب: 28، 106، 114، 115، 116، 119،
40، 60، 61، 68، 73، 75،
76، 77، 89، 90، 95، 100، 120، 137، 150.
103، 105، 117، 119، 125، * حروب روحية: 32، 44، 48،
135، 140، 143، 145، 151، 64، 71، 72، 92، 116، 142،
152، 155، 161، 164، 178، 175، 150، 176.
179، 184، 185. حزن أحزان: 22، 23، 25، 31،
32، 33، 34، 49، 50، 51،
جسد: 22، 44، 80، 121. 60، 67، 68، 72، 73، 85،
جهاد: 37، 39، 50، 51، 58، 87، 94، 95، 96، 104، 106،
93، 66، 106، 114، 115، 107، 113، 115، 126، 128،
116، 117، 120، 122، 130، 135، 136، 139، 140، 143،
132، 133، 142، 160. 145، 152، 154، 161، 164،
166، 171، 173، 185.

حديث أحاديث: 27، 40، 41،
49، 66، 73، 74، 86، 89، حَسد حَسود: 99، 105، 134،
91، 92، 102، 135، 158. 135، 138، 156، 165.
*حَارَبَ: 20، 28، 37، 38، حقد: 36، 79، 99، 134،
44، 50، 53، 57، 65، 71، 135، 139.
حكمة حكيم: 15، 20، 21، 23، خصام: 34، 35، 36.
26، 29، 30، 31، 36، 41، خلوة إختلاء: 16، 69، 123،
48، 52، 61، 69، 86، 91، 125.
103، 104، 108، 121، 124، *خوف: 22، 31، 39، 46، 51،
133، 134، 141، 145، 148، 55، 56، 65، 68، 70، 79،
150، 155، 156، 168، 80، 81، 86، 94، 96، 103،
174، 178. 108، 114، 115، 117، 121،
131، 137، 148، 152، 153،
*خاطئ: 52، 75، 77، 80، 155، 161، 171، 179.
103، 117، 143، 144، 145. *مخافة الله: 15، 17، 18، 24،
151، 161، 171، 184. 67، 94، 95، 103، 155،
*خطأة: 35، 119، 139، 140، 184.
143، 144، 145، 155، 171،
184. دالَّة: 23، 32، 33، 39، 46،
58، 59، 72، 74، 100، 101،
*خطيئة: 18، 26، 28، 31، 51،
61، 66، 71، 75، 76، 77، 136، 142، 144، 157، 186.
79، 89، 98، 99، 110، 113، دموع: 58، 70، 78، 88، 109،

117، 118، 119، 125، 127، 125، 127، 130، 141، 151، 138، 140، 143، 145، 152، 164، 171.
157، 158، 176، 179، 184، ذكر الله: 30، 31، 32، 56، 92، 185. 96، 100، 123، 140، 152،
*خطايا: 28، 35، 39، 60، 64، 158، 159، 163، 168.
68، 72، 73، 84، 85، 90، ذكريات: 19، 26، 43، 49، 66،
94، 107، 109، 112، 113، 70، 74، 76، 80، 83، 84،
117، 118، 120، 125، 136، 85، 90، 91، 99، 121، 156،
143، 151، 152، 156، 158، 157، 168، 169، 174، 175.
164، 165، 167، 170، 178، ذهن: 40، 41، 42، 43، 50،
179، 182. 60، 62، 64، 71، 78، 82،
*خطايا "صغيرة": 28، 40، 71، 84، 86، 90، 92، 99، 151،
116، 122. 174، 176، 185.
راحة: 25، 31، 32، 37، 49، سامح يسامح مسامحة: 59، 126،
50، 64، 66، 67، 70، 72، 134، 156.
92، 93، 107، 111، 114، سَكِينة: 30، 39، 40، 41، 42،
117، 119، 120، 122، 140، 49، 69، 74، 88، 89، 90،
141، 142، 143، 160، 161، 107، 142، 163، 168، 169،
170، 171، 181. 170، 171، 174، 175، 181،
182.
رأفة: 20، 21، 59، 89، 136،
157، 158. سلام: 30، 33، 38، 44، 76،
84، 85، 88، 102، 105،
رجاء يرجو: 21، 30، 31، 34، 106، 108، 121، 134، 159،

39، 46، 48، 49، 57، 58، 170، 179.
83، 87، 88، 90، 130، 131،
132، 134، 143، 148، 149، سَهَر: 33، 66، 74، 87، 98،
150، 152، 155، 163، 165، 123، 148، 162، 168، 175.
168، 179، 182. شكر: 22، 31، 39، 75، 76،
*رحمة: 20، 28، 34، 35، 43، 113، 131، 155.
45، 67، 77، 78، 81، 87، شهوة: 16، 20، 33، 36، 60،
89، 103، 125، 126، 135، 70، 84، 97، 102، 114،
140، 144، 152، 158، 164، 118، 119، 122، 124، 134،
179، 182. 137، 139، 176، 180.
*رحمة الله: 28، 54، 67، 87، شوق: 20، 39، 50، 68، 70،
89، 136، 144، 152، 172، 84، 89، 91، 96، 97، 119،
182. 141، 150، 165، 167، 168،
180.
*رحيم: 20، 45، 89، 126
144، 164. شيطان شياطين شيطانيّ: 18، 46،
50، 51، 53، 54، 55، 57،
*يرحم: 30، 35، 78، 126، 60، 84، 85، 86، 87، 90،
138، 164. 99، 105، 106، 115، 143،
زهد زاهد يزهد: 16، 49، 90، 147، 153، 160، 169، 175،
91، 92، 114، 171. 176، 182.
*(أعمال) صالحة (مشيئة، سيرة) صمت: 87، 88، 90، 100،
صالحة: 20، 27، 28، 57، 59، 101، 145، 150، 165، 172،
80، 89، 90، 113، 129، 183.

130، 132.
*(أفكار) صالحة: 39، 40، 41، 70، 80، 83، 87، 92، 93، 138، 139، 141، 155، 175.
*(الله) صالح: 141.
*صالحات: 55، 58، 66، 69، 84، 85، 93، 135، 183.
*صلاح: 22، 29، 53، 56، 107، 128، 136، 141، 142، 144، 159، 160، 169، 176، 183،
صَبَرَ صَبرٌ صابر يصبر: 24، 27، 29، 32، 34، 42، 55، 71، 76، 88، 90، 96، 106، 108، 109، 110، 111، 114، 121، 122، 126، 127، 134، 135، 139، 140، 150، 158، 163، 171.
*صلاة: 26، 33، 36، 43، 45، 54، 66، 81، 82، 87، 91، 101، 103، 104، 136، 150، 157، 161، 165.
*صلّى يُصلّي: 27، 35، 55، 60، 78، 81، 91، 106، 126،
صوم أصوام: 57، 63، 80، 125، 135، 163، 175.
صليب: 23، 25، 43، 44، 49، 106.
ضبط الحواس: 16، 17، 36، 63، 65، 88، 102، 103، 125، 142، 143، 144، 159، 160.
الضجر: 86، 88، 109، 120، 150، 183.
ضحك: 23، 72، 138.
ضِيق (بمعنى شِدّة) ضيقة مَضايق
ضيقات: 17، 18، 23، 24، 31، 32، 33، 39، 50، 67، 68، 73، 75، 76، 77، 93، 94، 95، 105، 106، 109، 117، 130، 131، 138، 168، 179.
طَاعة أَطاعَ مُطيع يُطيع: 21، 23، 32، 43، 145، 163، 165، 166.
طَالَعَ مُطالعة: 16، 30، 37، 42، 61، 63، 64، 83، 86، 124، 126 ، 157، 175.
طهارة تطهّر: 30، 32، 33، 60، 74، 82، 99، 103، 126،

136، 143، 148، 150، 157، 127، 128، 140، 161، 164، 172، 181. 168، 184، 186، 187.
ظلمة أظلَمَ يُظلم تُظلم: 37، 38، 41، 42، 43، 64، 65، 78، 89، 91، 112، 126، 127، 128، 149، 160، 180، 182
ظُلم ظالم: 29، 34، 35، 59، 60، 89، 104، 126، 127، 171.
عناية (الله): 18، 25، 30، 32، 46، 47، 48، 57، 63، 86، 72، 107، 112، 146.
عادة عادات: 20، 88، 137، 138، 141، 185.
غربة (غريب): 61، 125، 165.
غفر مغفرة غفران: 67، 73، 75،
*عايَنَ مُعاينة: 44، 45، 78، 82، 93، 110، 112، 113، 117، 99، 100، 153، 174، 177. 127، 151، 164، 166، 167،
*مُشاهدة (بمعنى مُعاينة): 44، 63، 66، 78، 81، 82، 83، 85، 88، 89، 90، 91، 92، 97، 178، 184.
فتور: 38، 45، 64، 109، 113.
فرح: 22، 25، 29، 33، 55، 99، 101، 116، 128، 161، 162، 165، 172، 174، 177، 58، 59، 60، 61، 68، 70، 186. 72، 73، 76، 77، 84، 96،
*عدالة: 39، 46، 59، 136. 100، 101، 104، 105، 110،
*عَدالة الله: 39، 59، 144. 112، 120، 121، 123، 124،
عين (الإنسان): 19، 25، 28، 45، 47، 58، 70، 78، 100، 105، 118، 130، 137، 151، 153، 156، 157، 164، 169، 172، 125، 126، 127، 128، 138، 140، 145، 151، 153، 154، 158، 160، 161، 166، 169، 170، 171، 178.

178، 180، 181، 186.
عفّة عفيف: 19، 20، 41، 60، 62، 64، 70، 88، 101، 102، 105، 125، 126، 137، 171، 184.
العالم: 34، 36، 79، 96، 100، 101، 102، 118، 158، 162، 180.
64، 165، 166، 168، 169، 174، 175، 181.
فطنة: 31، 89، 113، 160،
فقر فقير: 16، 17، 29، 30، 34، 36، 165، 170.
قِنية: 16، 29، 30، 36، 91، 170.
*كبرياء: 19، 31، 35، 39، 41، 52، 55، 56، 57، 61، 62، 87، 94، 95، 105، 107، 108، 111، 112، 120،113، 135، 136، 139، 142، 155، 156، 182.
فضيلة فضائل: 15، 16، 24، 26، 27، 31، 34، 40، 41، 45، 49، 50، 52، 53، 57، 67، 69، 74، 76، 77، 80، 93، 94، 97، 98، 99، 101، 103، 105، 106، 109، 110، 111، 113، 114، 119، 121، 123، 126، 130، 134، 159، 162،
لذة: 18، 20، 43، 61، 64، 66، 72، 88، 89، 96، 98، 114، 119، 121، 122، 124، 125، 158، 178
لِسان: 24، 60، 65، 87، 99، 100، 101، 135، 161، 141
*محبة: 21، 35، 36، 60، 72، 79، 87، 96، 102، 103، 114، 124، 135، 144، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 161، 163، 165، 166، 167، 169، 185.
*محبة الله: 16، 18، 23، 41، 45، 48، 49، 67، 82.
*محبة المسيح: 92، 94، 96،

*متكبر: 19، 41، 48، 53، 55، 62، 105، 107، 113، 114، 117، 138، 139، 140، 156، 169.
كسَل كَسول خَمول خُمول بطّال: 55، 57، 58، 64، 70، 73، 92، 116، 117، 124، 132، 133، 138، 142، 160.
كَمال: 21، 29، 52، 53، 55، 56، 59، 66، 80، 88، 111، 112، 119، 128، 129، 134، 145، 156، 164، 166، 167، 177، 178، 181، 182، 187.
*مَعونة: 35، 46، 47، 48، 49، 58.
*مَعونة (الله): 17، 27، 42، 46، 47، 48، 49، 54، 55، 56، 66، 67، 74، 81، 106، 109، 114، 116، 132، 141، 146، 157.
*موهبة: 52، 53، 70، 94، 95، 104، 107، 109، 128، 140، 142.
102، 103، 117، 123، 146، 150، 153، 154، 155، 158، 162، 166، 167
مُراقبة (الذات الذهن...): 42، 65، 118، 126، 160، 182، 183،
مَعرفة: 17، 18، 23، 24، 29، 31، 44، 47، 53، 54، 56، 58، 63، 74، 79، 85، 96، 97، 98، 103، 105، 112، 119، 124، 128، 131، 132، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 157، 158، 168، 169، 174، 178، 179، 186.
*نقيّ ، تَنقية: 32، 60، 78، 90، 91، 99، 101، 135، 159، 162، 165، 168، 174، 181.
نكران ينكر: 49، 75، 150.
نميمة نمّام: 7، 26، 138، 139، 161.
*هوى: 28، 37، 72، 80، 97، 126، 139، 151، 168، 172،

*مواهب هبات: 55، 56، 80، 82، 95، 101، 106، 107، 112، 113، 127، 128، 142، 152، 155، 157، 163، 178.
173، 175، 182، 184.
*أهواء: 16، 23، 26، 31، 33، 34، 35، 37، 36، 38، 40، 42، 44، 51، 53، 54، 56،

نعمة: 17، 18، 42، 46، 47، 48، 51، 66، 67، 73، 74، 78، 83، 86، 93، 97، 98، 104، 107، 111، 112، 113، 114، 124، 125، 132، 133، 135، 136، 137، 143، 144، 145، 151، 152، 155، 156، 158، 161، 168، 177، 181.
60، 67، 69، 71، 72، 79، 80، 83، 84، 85، 89، 91، 96، 97، 98، 99، 100، 102، 103، 112، 115، 116، 119، 121، 122، 128، 158، 161، 162، 168، 169، 170، 172، 173، 174، 175، 184، 185.

182، 183، 185.
يقظة: 23، 28، 33، 42، 43، 56، 57، 65، 66، 69، 73، 74، 78، 85، 89، 98، 103، 110، 111، 113، 115، 128، 137، 140، 142، 160، 181.

*نقاوة: 43، 46، 60، 74، 78، 83، 87، 91، 101، 103، 114، 127، 141، 158، 170، 174، 175، 176، 181.

فهرس المُحتويات

مقدّمة.....3
المَقالة الأُولى.....13
المقالة الثانية.....20
المقالة الثالثة.....21
المقالة الرابعة.....22
المقالة الخامسة.....23
المقالة السادسة.....32
المقالة الثامنة.....33
المقالة الثَّانية عشرة.....34
المقالة الثالثة عشرة.....36
المقالة الرَّابعة عشرة كاملة.....38
المقالة السادسة عشرة.....39
المقالة التَّاسعة عشرة.....41
المقالة العشرون.....46
المقالة الحادية والعشرون.....47
المقالة الثانية والعشرون.....51
المقالة الثَّالثة والعشرون.....52
المقالة الرَّابعة والعشرون.....59
المقالة الخامسة والعشرون.....60
المقالة السادسة والعشرون.....61
المقالة السابعة والعشرون.....63
المقالة الثَّلاثون.....65
المقالة الثانية والثلاثون.....70
المقالة الثالثة والثلاثون.....72

المقالة الخامسة والثَّلاثون.....78
المقالة السادسة والثَّلاثون.....79
المقالة السابعة والثَّلاثون.....80
المقالة الثَّامنة والثلاثون.....82
المقالة الثانية والأربعون.....84
المقالة الثَّالثة والأربعون.....84
المقالة الرَّابعة والأربعون.....87
المقالة السّادسة والأربعون.....90
المقالة التَّاسعة والأربعون.....93
المقالة الثَّانية والخَمسون.....96
المقالة الرّابعة والخَمسون.....97
المقالة الخامسة والخمسون.....98
المقالة السادسة والخَمسون.....102
المقالة السابعة والخمسون.....110
المقالة الثَّامنة والخمسون.....111
المقالة التّاسعة والخمسون.....116
المقالة الستّون.....117
المقالة الثَّانية والستُّون.....119
المقالة الحادية والسبعون.....124
المقالة الثَّانية والسبعون.....125
المقالة الثَّالثة والسبعون.....127
المقالة الحادية والثَّمانون.....134
المقالة الثَّانية والثَّمانون.....140
المقالة الثَّالثة والثَّمانون.....143

المقالة الرّابعة والثّمانون.....144
المقالة الخامسة والثّمانون.....146
المقالة السادسة والثّمانون.....149
الرّسالة الثّالثة.....149
الرّسالة الرّابعة.....150
فهرس الموضوعات.....154